جغرافية العهد القديم

بنو اسرائيل

جغرافية الجذور

زياد منى

Bibliotheca Alexandrina
0197699

بنو إسرائيل (جغرافية الجذور)

* بنو إسرائيل (جغرافية الجذور)

* زياد منى

* الطبعة الأولى - ١ / ١٩٩٥

* جميع الحقوق محفوظة للناشر

* الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - هاتف : ٣٣٢٠٢٩٩ - ص.ب ٩٥٠٣ - تلكس: ٤١٢٤١٦

فاكس : ٣٣٣٥٤٢٧

* التوزيع :

قسم التوزيع - الأهالي للنشر والتوزيع

دمشق - هاتف: ٢٢١٣٩٦٢ - ص.ب: ٩٢٢٣ - تلكس: ٤١٢٤١٦

تصميم الغلاف: زكريا شريف

جغرافية العهد القديم

بنو إسرائيل

(جغرافية الجذور)

زياد منى

إذا كنت تعرف أكثر مما ينبغي، فسيعلقونك على المشانق
وإذا كنت متواضعاً أكثر مما يجب، فسيسحقونك تحت النعال.

(مثل تتري)

الـفـهـرس

المقدمة ٩

الفصل الأول: العهد القديم ١١

أ ـ المعضلات البنيوية والخلفية التاريخية ١١

ب ـ الأسفار ٢٣

١ ـ التوراة ٢٣

٢ ـ أنبياء ٣٠

٣ ـ كتب ٥١

الفصل الثاني: عبريون ٧١

أ ـ مدخل ٧١

ب ـ العبريون في العهد القديم ٧٧

الفصل الثالث: بنو إسرائيل ١٠٥

الفصل الرابع: اليَهويَّة واليهودية ١٢٧

١) التوراة والتبشير لليَهويَّة ١١٣١

٢) التهود والتهويد ١٤٧

الفصل الخامس: شاول ومسألة فلسطين ١٦٥

الفصل السادس: الأسباط الضائعة! ١٨٥
- خلاصـــة ١٩٧
الفصل السابع: مـلاحــق ٢٠٣
القيمة العددية لأبجدية التوراة ٢٠٣
الأبوكريفا ٢٠٤
أعياد اليهودية ٢٠٦
القرائيون (الدعاة) ٢١٠
الفريسيون ٢١٢
الصدوقيون ٢١٣
السنهدرين ٢١٤
الترجوم ٢١٦
التلمود ٢١٨
جدول زمني ٢٢٨

المقدمة

عندما باشرت في التخطيط لكتابة مؤلفي الثاني عن جغرافية التوراة، تلاحقت علي الأسئلة الكثيرة التي طرحها العديد من الزملاء والأصدقاء الذين حظيت بالنقاش معهم في هذه الموضوعة. وقد تبين لي من خلال تلك النقاشات أن الأسلوب الذي عرض فيه موضوعة كمال الصليبي للقارىء العربي لم يكن الأمثل. وأقصد بذلك أن علم نقد التوراة مايزال أرضاً مجهولة في العالم العربي، رغم أنه موضوع يدْرَس ويُدَرْس في الغرب منذ أكثر من قرن. لذا، وفي مواجهة الاعتراضات والتساؤلات العملية المشروعة، قررت أن أقدم للقارىء العربي الموضوع بشكل مسهب، لكن متفادياً الدخول في متاهات تفاصيل التفاصيل، وموضحاً الشرعية العلمية للموضوعية، وبالتالي للمؤلف. ولابد للقاريء أن يأخذ بعين الاعتبار أن ماكتبته هو غاية في الاختصار ذلك أن المكتبة الغربية عن الموضوع تضم عشرات المؤلفات التي تنقل العديد من الاجتهادات بخصوص مسألة تناولتها في صفحة أو فقرة واحدة من عملي. وحيث أنه من غير الممكن كتابة كل شيء عن كافة المواضيع التي يشير إليها عنوان المؤلف، رأيت أن المنهجية الأفضل هي البحث في بعض القضايا التي ماتزال موضوع نقاش بين علماء التوراة. ولابد من

الاعتـراف بأن إعـادة قراءة العهـد القـديم بنيـة وجغـرافية ضمن محيطه الطبيعي في جزيـرة العـرب يتطلب عمـل مؤسسـات متخصصـة لأن الجهد الفردي ، ومهما كان معطاء ، لايمكنه تغطية المسألة برمتها .

آخـذاً النقـاط آنفـة الذكر بعين الاعتبار، فإني أتقدم للقاريء العربي بمؤلفي هذا عارضاً عليه المشكلة التي تواجه علم نقد التوراة من كافة نواحيها اللغوية والبنيوية والتكـوينيـة والجغرافية ، مرفقة بمقترحاتي لحل بعض منها . وآمل أن أكون قد مكنت القـاريء العـربي من التعـرف على هذا العلم بمـا يسـاعـد في إسهـامـات جديـدة للموضوعة تكشف لنا الجديد عن بعض من تاريخ جزيرة العرب وما أنتجته من حضارات .

د. زياد يوسف منى

برلين في تشرين أول ١٩٩٣

الفصـــل الأول

العهـد القـديم

أ) المعضلات البنيوية والخلفية التاريخية

يتكون العهد القديم من تسعة وثلاثين سفراً معتمداً مقسمة في النص الأصلي إلى ثلاثة أجزاء هي «تورة، نبي ءيم، كتوبيم»، ويعرف بلغة التوراة بالاسم المختصر «تنـك» الـذي استحـدث أخيـراً ليحل محل الاسم القديم «مقرء»، والتي هي مفردة آراميـة بمعنى «قـرآن». أمـا أقدم معلومة عن هذا التقسيم الساري حتى الآن فيرد في مقـدمـة التـرجمـة اليـونـانيـة من سفر «يسوع سيرك»[1] الذي يعود لنهاية القرن الثاني للميـلاد. لذا فقبـل استعـراض محتويات التوراة، من الضروري التعرض ولوبشكل موجز للاختلافات القائمة في ترتيبها وكذلك لعدد الأسفار في بعض النسخ القديمة المتوفرة.

يضم الجـزء الأول من النسخـة الأصليـة من العهـد القديم المسمى «توره»، وبـالعـربيـة «التـوراة»، بمعنى (تعـاليم، ترئيه)، كل من أسفار التكوين، الخروج، الـلاويين، العـدد والتثنيـة. أمـا الجـزء الثاني المسمى «نبييم»، وبالعربية (أنبياء)، فيحوي بالإضافة إلى أسفار يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول

والثاني، كتب «الأنبياء الكبار»، أو «الأنبياء المتقدمين»، وبلغة التوراة «نبييم هرءشونيم»[٢]، وهم إشعيا، إرميا وحزقيال، وكذلك «الأنبياء الصغار» أو «الأنبياء المتأخرين» أي «نبييم هـءحرونيم»؛ وهم هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي زكريا وملاكي[٣]. أما الجزء الثالث والأخير والمعروف باسم «كتوبيم»، أي «كتب»، فيضم باقي الأسفار وهي راعوت، عزرا، نحميا، أستير، أيوب، مزامير، أمثال، جامعة، أنشودة الأناشيد، المراثي، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني ودانيال.

ومن الجدير بالذكر أنه لم يتم الاتفاق بين علماء اليهودية على مكونات كتبهم المقدسة إلا في فترة متأخرة. فالتلمود البابلي على سبيل المثال، ينقل في قسم (يدايم ٣، ٥)[٤] العلم بأنه وجد جدلاً حول ما إذا وجب الاعتراف بقدسية الأسفار جامعة، أنشودة الأناشيد وأستير، والذي حل في نهاية الأمر بالقبول بها. كما أننا نعلم بأنه وجدت نقاشات أخرى حول عدد أسفار العهد القديم، فقد سجل يوسفوس فلافيوس[٥] في مؤلفه (ضد أبيون ـ Contra - Apionem)، أنه بالإضافة إلى كتب موسى الخمسة، وُجد أنبياء سجلوا أحداث عهودهم الممتدة من وفاة موسى وحتى العهد الفارسي في ١٣ كتاباً. ويضيف المؤرخ أن الكتب الأربعة الباقية تحوي تهاليل للرب وتعاليم عن الحياة اليومية للبشر. هذا يعني أن عدد أسفار العهد القديم التي كان معترفاً بها رسمياً حتى زمان يوسفوس لم يزد عن ٢٢ سفراً، لكن الإصحاح ١٤ : ٤٢ ـ ٤٦ من سفر عزرا الرابع، والذي هو من الأبوكريفا، يفيد بوجود ٩٤ كتاباً أو سفراً، منها ٧٠ تستحق المحافظة عليها، أي مقدسة.

ونحن نعلم أيضاً بأنه دار نقاش بين أحبار اليهودية حول تقسيم العهد القديم وترتيب أسفاره أيضاً بما يثبت أن المسألة كانت وحتى بداية التأريخ الميلادي ماتزال بعيدة عن الحسم النهائي داخل الأُطر الكهنوتية لليهودية. فعل سبيل المثال، ينقل التلمود البابلي في (بابا بترء ١٤، ب)، أن ترتيب جزء (أنبياء) كان على النحو التالي: يشوع، قضاة، صموئيل، ملوك، إرميا، حزقيال، إشعيا، ويلي ذلك كتب «الأنبياء الصغار»، أما ترتيب جزء (كتب) فكان وفق المصدر نفسه على نحو:

راعوث، المزامير، أيوب، أمثال، جامعة، أنشودة الأناشيد، مراثي، دانيال، أستير، عزرا وسفرا أخبار الأيام الأول والثاني.

وقد ساد اعتقاد بين علماء التوراة بأن مشكلة ترتيب العهد القديم كانت قد حُلّت في اجتماع المجلس الأعلى، أي «السنهدريون» أو «السنهدرين»[٦] الذي التأم قرب مدينة أسدود الفلسطينية في نهاية القرن الأول للميلاد. لكن الأبحاث الحديثة أثبتت خطأ وجهة النظر هذه حيث يرى أهل الاختصاص الآن أن التثبيت تم في فترة متأخرة عن التاريخ آنف الذكر.

أما النسخة اليونانية من العهد القديم المسماة «السبعونية»، والتي هي أقدم نسخة مترجمة وصلتنا، فتستمد اسمها من الرواية المُختلفة والقائلة بإنجازها - أي بترجمتها، من لغة التوراة لليونانية من قِبَل ٧٢ من رجال الديانة اليهودية في فترة ٧٢ يوماً[٧]، حيث عمل كل واحد بشكل منفصل عن الآخر. ومن الواضح أن هدف نشر هذه الرواية التي بُرهن علمياً على بطلانها، إعطاء الانطباع بأن النسخة ذات العلاقة هي نتاج إلهام أووحي روحي مقدس، وبالتالي إنهاء الجدل حول الترتيب والمحتويات. وتضم هذه النسخة ٥٤ سفراً، أي ١٥ كتاباً غير معترف به من قبل تيارات اليهودية الرئيسية حالياً. أما الأسفار الإضافية فهي: المكابيون (٤ أسفار)، عزرا ١، يهوديت[٨]، طوبيت، أدون - أي (سَيّد)، حِكَمة سليمان، يسوع سِرَك، مزامير سليمان، بَرك، رسالة إرميا، سوزان - أي (سَوْسَن، زنبقة) - وأخيراً بعل والتنين. أما سفرا أستير ودانيال فيحويان وفق السبعونية، إضافات غير معروفة في النسخ الأخرى. ومن الجدير بالذكر أن كافة هذه الأسفار كُتبت باليونانية، باستثناء كتاب يسوع سِرك الذي عثر على نسخة منه بلغة التوراة. وتقسم النسخة اليونانية العهد القديم إلى أربعة أجزاء هي الخماسية (أي الخمسة كتب)، الكتب التاريخية، الحِكَم أو الشِعْر، وأخيراً الأنبياء. لكن مؤسس التيار البروتستانتي في المسيحية مارتن لوثر، لم يعترف سوي بقدسية الكتب التي توفر منها في عصره نسخ أصلية أو آرامية، لذا فإنه حذف كافة الأسفار آنفة الذكر من ترجمته، وبقي ذلك معتمداً في الكنيسة البروتستانتية حتى الآن.

أما نسخة الكنيسة الكاثوليكية من العهد القديم المسماة فولغاتا (Vulgata)،

أي «الشعبيـة»، فتحـوي أسفـاراً أخـرى منهـا سِفـري عزرا الثـاني والثـالث وكذلك صلوات منسي والمكابيين الأول والثاني.

وبالإضافة إلى هذه النسخ المتعددة والمتباينة في محتواها وترتيبها، هناك نسخ أخـرى مأخـوذ بهـا في الكنـائس الشـرقيـة تحوي أسفاراً أخرى تطلق عليها التيارات المسيحيـة الـرئيسيـة، أي الكـاثـوليكيـة والبـروتستانتية، صفة الأبوكريفا. ومن هذه الأسفـار، التهـاليل، وصية الإثني عشر بطريقاً ـ أي أبناء يعقوب، وسفر حنوك الرابع المأخوذ به في الكنيسة الحبشية.

ومن الجـديـر بالـذكـر أن أسمـاء الأسفار تختلف في النص الأصلي عن تلك الواردة في الترجمات حيث عادة ما يُستقى الأول من كلمة واردة في الجملة الأولى من الإصحـاح الأول. فعلى سبيـل المثـال، يُطلق النص الأصلي اسم «برءشيت» على السفر الأول من العهد القديم، وهو اللفظة الأولى الواردة فيه، والتي ترجمت للعربية على نحو (في البدء)، والتي تحمل نفس المعنى الأصلي[9]. والأمر ذاته ينطبق على السفـر الثـاني الـذي أعطي اسم «وءلـه شمـوت»، أي (وهذه أسماء) ـ أنظر الجملة الأولى من الإصحـاح الأول. والحـال نفسـه يسـري على السفر الثالث الذي يُسمَّى «ويقـرء» بلغـة التـوراة، بمعنى (ودعـا) بالعربية، التي هي الكلمة الأولى الواردة في السفـر، أي أن أسمـاء أسفـار التوراة سواءاً تلك الواردة في النسخة العربية أوغيرها، ليست أصلية، وإنما موضوعة من قبل المترجمين انطلاقاً من اسم الشخصية الرئيسية فيه، أو أنها مستقاة من المحتوى الرئيسي للسفر.

الآن وقـد استعـرضنا أهم المسائل المتعلقة بالتوراة بنية ولغة، يمكننا الانتقال لمسألة تكوينها.

إن بنيـة الكتـاب المقـدس لليهـوديـة والمسيحية تعتبر العائق العلمي الرئيسي الـذي يعـرقـل من إنجـاز قراءة واعيـة ومنهجيـة له. وحيث أن التنـاقضات الواردة فيه تتجلى لأي قاريء، باشـر بعض العلمـاء من رجال الدين المسيحيين، ومن الكنيسة الـبر وتستـانتيـة تحديـداً، بالتعـامـل النقـدي معه بهدف تعميق فهمه، وبالتالي وضع أرضيـة أصلب لإيمـانهم وديـانتهم المعتمـدة على العهـد الجـديد. وقد قادت هذه الأبحـاث التي بوشـر العمـل بهـا في القـرن المـاضي، إلى ولادة (علم نقـد العهـد

القديم) على يد مجموعة من رجال الدين المسحيين القديرين. ويهدف هذا الجزء من المؤلف إلى التعريف السريع بمكونات كافة أسفار العهد القديم المعترف بها في تيار اليهودية الرئيسي، وكذلك بأهم المعضلات التي تُعقِّد إنجاز قراءة علمية له. وفي الوقت نفسه سأعمل على استعراض بعض الحلول المقترحة من قبل أهل الاختصاص لمختلف المشاكل المصاحبة وأقدم اجتهاداتي الشخصية في هذا الأمر، خاصة عندما تتضارب مع الرأي السائد حتى الآن، آملاً من خلال ذلك أن أمكن القارىء غير المتخصص من متابعة مادة وموضوعة الكتاب، ألا وهي قراءة تاريخ بني إسرائيل وجغرافية العهد القديم في ضوء جغرافية جزيرة العرب.

لعل أولى المشاكل التي واجهت علماء التوراة عند تحليلهم لتكوين التوراة، كمنت في رسم منهجية تساعد في فهم العهد القديم، وبالتالي في تحديد أصوله ومكوناته وتاريخيته خاصة في غياب أية شواهد تاريخية مباشرة. ويسود الآن الرأي بأنها تعود لتقاليد[١٠] مختلفة أولها تقليد (المصدر المستعار) الذي يرمز له بحرف (L) أو (Q) اختصاراً للمصطلح الألماني Laien أو Quelle، بمعنى (مصدر، مصدر ثانوي). أما التقليد الثاني فهو المسمى (اليَهوي)، ويرمز له في علم نقد التوراة بحرف (J)، أي Jahwist، لأنه يشير للذات الإلهية باسم «يهوه»، والذي لا ينطق إجلالاً، ولذا يكتب بالعربية (الرب). أما التقليد الثالث فهو (الإلوهيمي)، والذي يرمز إليه بحرف (E) اختصاراً لكلمة Elohist، ويتعلق أصلاً بالنصوص التي تطلق على الذات الإلهية اسم «ءلوهيم» - في الترجمة العربية (الله). وقد أعطى علماء التوراة التقليد الرابع اسم (الكهنوتي)، ويُرمز له بحرف (P) اختصاراً لكلمة Priester الألمانية بمعنى (كاهن).

ويضاف لذلك كله تقليد خامس هو (التثنوي)، وهو الذي يشار إليه بحرف (D) رمزاً لكلمة Deuteronomium التي تحمل نفس المعنى. وتفيد النظريات دائمة التجدد حول مكونات التوراة ضرورة تقسيم التقليد التثنوي إلى ثلاثة أجزاء جديدة أولها (التثنوي التاريخي)، والذي يرمز له بحرفي (.D.G)، اختصاراً للاسم الألماني Geschichte، أي (تاريخ). أما الجزآن الآخران فهما (التثنوي الكهنوتي - .D. P)،

ويليه الثالث المسمى (التثنوي الناموسي ـ .D.N) اختصاراً للمفردة اليونانية Nomos ، بمعنى (قانون، ناموس).

ويـرى علمـاء التـوراة أن كافة هذه التقاليد جُمعت ورتُبَت من قبل مصدر أخير أُطلقَ عليه اسم (المحرر)، والذي يرمز له بحرف (R) اختصاراً لكلمة Redactor .

وهناك اتجاه بين العلماء يرى بضرورة الاسترسال في هذه التقسيمات، وتجزئة كافـة التقـاليـد آنفـة الـذكـر إلى تقـاليد فرعية، لكن هذه المسألة ليست ذات علاقة بموضوعة العمل.

ومن أجـل توضيـح أبعـاد ومغـزى التقسيم الـرئيسي لنصـوص العهد القديم، وبالتالي مدى تعقد عملية فرز التقاليد عن بعضها البعض وفهم ماهو أصيل منها وماهو دخيل، أورد تالياً مثلاً استقيته من سفر الخروج ١ : ١١ ـ ١٤ .

> ١١) فجعلوا عليهم رؤ سـاء تسخيـر لكي يذلـوهم بأثقالهم فبنوا لفـرعـون مدينتي مخـازن فيثـوم ورعمسيس. «**المصـدر**» ١٢) ولكن بحسبمـا أذلـوهم هكـذا نمـوا وامتـدوا، «**اليهـوي**» فاختشـوا من بني إسـرائيل. «**الإلوهيمي**» ١٣) فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف. ١٤) ومرروا حياتهم بعبودية قاسية، «**الكهنوتي**» في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل، «**الإلوهيمي**» كل العمل الذي عملوه بواسطتهم عنفاً. «**الكهنوتي**».

ووفق ما أدري فإن هذا الفرز لم ينجز لكافة الأسفار.

وهناك آراء أخرى حول مكونات العهد القديم، ومنها الاتجاه الحديث القائل بأن العهد القديم كتب بمجمله من قبل المحرر إعتماداً على روايات قبائل رُحل.

ومن المشـاكـل الأخرى التي تواجه البحث العلمي في تاريخية وأصول كتاب اليهـوديـة المقـدس، مسألـة جذور بني إسـرائيـل التي تتمسـك التـوراة بأنهـا تعود إلى إثني عشـرة قبيلة أوسبـط. لكن واقـع الأمر أن العهد القديم يورد عدداً أكبر من الأسباط، ومن ذلـك على سبيـل المثـال عند تعرضه لمسألة تقسيم أرض الميعاد. فسفر يشوع

يذكر في الإصحاح ١٦ : ٤ العلم بوجود سبطين جديدين هما منسي وأفرايم، رغم أن المصحح جعلهما أبناءاً ليوسف[11]. ومما يؤكد صحة الرأي بأنهما كانا سبطين مستقلين تسجيل العهد القديم قيام يشوع بن النون بتوزيع الأراضي عليهم بشكل مستقل، مساوياً بذلك بينهم وبين باقي الأسباط. هذا يعني أن كاتبي ومحققي العهد القديم قد عملوا على دمج بعض الأسباط بشكل قسري حتى يختصر عددها إلى العدد السحري (١٢).

وهنا يُطرح السؤال المشروع عن سبب اكتساب هذا الرقم قدسيته لدى المصححين. رغم تعدد الآراء حول المسألة، برأيي أن كاتبي ومحققي العهد القديم الذي أنجزوا عملهم في جمع وتحقيق كتابهم المقدس بعد السبي في بابل، استقوا قدسية هذا العدد من الحضارة البابلية التي كان أحد أرقامها المقدسة إثني عشر، والذي يرمز إلى أشهر السنة. ويبدو أن هذا الرقم اجتذب مدوني ومحرري العهد القديم لأنه يُمكنهم من إعطاء انطباع مثالي عن تنظيم المجتمع حيث يفترض تبادل كل سبط قيادة المجتمع لمدة شهر من أشهر السنة، انظر مثلاً سفر الملوك الأول ٤ : ٧.

وهناك مسألة أخرى مرتبطة بتحليل، وبالتالي بفهم بعض نصوص العهد القديم، وتتعلق بالأسماء الرقمية، أي الأسماء التي تحمل قيمة عددية معينة ـ أنظر الجدول الملحق بالمؤلف. فإذا حللنا اسم إله التوراة يهوه ـ (هكذا في التوراة، يهوه) لوجدنا أن قيمته الرقمية الأساسية هي ثلاثة عشر[(١٠ + ٥ + ٦ + ٥) ÷ ٢ = ١٣]، والتي هي القيمة المضاعفة لكل من «ءدني»، بمعنى (إلهي) ٦٥ = (١٣ × ٥)؛ كذلك «مل ء ك» أي (ملاك) [٩١ = (١٣ × ٧)]؛ (أرض كنعان)، بلغة التوراة «ءرص» كنعان»، التي تحمل القيمة العددية (٤٨١)، علماً بأنها هي «أرض الميعاد»، التي يفيد العهد القديم بأنها وُعدت من يهوه لبني إسرائيل. ويضاف لذلك مجموعة أخرى من الأسماء منها على سبيل الذكر لا الحصر، الشخص الموصوف بأنه أصغر أبناء يعقوب أي يوسف (بالسامك)، وقيمته العددية (٥٦١)، أي [١٣ × ١٢]! السبط الثاني عشر؟ الإثني عشر سبطاً؟ «يصحق» أي إسحق (٢٠٨) ويعقوب «يعقب» الذي يحمل القيمة (١٨٢)، وغيرها.

ويضاف لذلك مسألة الأرقام المركبة، ومنها مايرد في سفر العدد ١ : ١ ـ ٣ عن إحصاء جماعة بني إسرائيل المسجل نتيجته في الإصحاح ٤٦ : ١ من نفس السفر، أي (٦٠٣٥٥٠)، وهو نفس العدد الذي ينتج عن جمع أسماء الأسباط ورؤ سائها ـ بلغة التوراة «كل رءش بني يسرءل»، والتي هي على النحو التالي :

كل رش		بني يسرءل	
ك	٢٠	ب	٢
ل	٣٠	ن	٥٠
		ي	١٠
ر	٢٠٠	ي	١٠
ش	٣٠٠	س	٣٠٠
		ر	٢٠٠
		ء	١
		ل	٣٠
	٥٥٠ و	٦٠٣ =	٦٠٣٥٥٠

سوف لن أسترسل في هذه المسألة، لكن وجب عدم استبعاد إمكانية أن آنفة الذكر كانت أسماء آلهة لبعض أجداد شعب التوراة من بني أسرائيل قبل التوحيد، والتي أُوِّلت في مرحلة زمنية لاحقة كأسماء للأجداد الأولين. هذا وجب أخذه بعين الاعتبار أن الاسم يعقوب على سبيل المثال، يرد في النصوص الأكادية بصيغة «يـ (خ) قب ءلء»، بمعنى (الإله يعقوب)، وكذلك في النصوص الأوغاريتية بصيغة «عبد يعقب».

ويضاف لمجموعة الاستعارات التوراتية من محيطها الحضاري في المشرق العربي حقيقة أن قصة ولادة موسى التوراة منتحلة من أسطورة سرجون الأكادي. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنه ما من نبي من أنبياء بني إسرائيل التوراة لديه أي علم بموسى، أما النص الوارد في سفر ميخا ٦ : ٤، فيتفق أهل الاختصاص على أنه غير أصلي، أي إضافة لاحقة من المحرر.

الأمر ذاته ينطبق على أسماء الأشهر حيث لايورد العهد القديم أية أسماء لها، بل أنـه يوظف أحيانـاً الأسمـاء البابلية المعمول بها حتى الآن في المشرق العربي، رغم التعـديـل الطفيف على اللفـظ أحيـانـاً. أي أنـه يشيـر لها بصيغة يسجل الشهر الثاني، الشهر الثالث. . . إلخ ـ أنظر مثلاً سفر التكوين ٧ : ١١، أو أنه يوظف أسماء أخـرى، ومن ذلـك على سبيـل المثـال شهـري «زو» و«بـول» الكنعانيين ـ أنظر سفر الملوك الأول ٦ : ٣٧ ـ ٣٦. أي أن العهد القديم لايعرف نظاماً موحداً لأسماء أشهر السنـة، بل أنـه ينقـل مالقيه محرروه في محيطهم الحضاري. هذه الحقائق وغيرها تلزم الباحث المتوخي الدقة العلمية أخذها بعين الاعتبار في كل مرة يورد فيها العهد القديم الرقم ١٢ منفصلاً أو مركباً.

كمـا أنـه من غيـر الممكن تجـاهـل هذه المسألة عندما نقرأ في العهد الجديد على سبيل المثال أن عدد حواريي أو تلاميذ يسوع بن يوسف النجار، كان إثني عشر.

ويتجدد ظهور العدد ١٢ في رواية ولادة النسخة اليونانية من العهد القديم، أي «السبعونية»[١٢] المزعوم إنجازها من قبل إثنين وسبعين عالم يهودي في فترة إثنين وسبعين يوماً. وحيث أن الرقم ٧٢ هو مضاعف الرقم ١٢، فقد وجب الاحتراس الإضافي في قبول هذه الرواية.

وهناك أيضاً معضلة الرقم (٤٠) حيث يسجل العهد القديم أن تيه بني إسرائيل بعيد خروجهم من مصريم،[١٣] قد دام أربعين عاماً، هذا عدا عن فترتي حكم كل من داود بن يسي وابنـه سليمـان، والتي امتـدت كل منهما لنفس الفترة. ويضاف لذلك فتـرة مُلْك يربعـام الثـاني بن يوآش الـذي حكم هو أيضـاً في مملكـة إسـرائيل لمدة أربعين عاماً[١٤]. ورغم عدم توفر أجوبة جاهزة لأسباب كسب هذا الرقم لسحره لدى كاتبي ومحققي العهد القديم، وبغض النظر عن تعدد الآراء في هذه المسألة، أعتقد أن جذور الحالة الأولى تعود إلى كون هذا العدد يشير لجيل، أي رمز لنمو جيل جديد في ظل الولاء لتعاليم موسى التوراة. أما فيما يخص الحالة الثانية، فأرى أن النقطة الأسـاسيـة هي أن الأربعين يعتبـر تقليـديـاً سن النضوج لدى الفـرد، آخذين بعين الاعتبـار روايـة أن داود هو مؤسس مملكـة بني إسـرائيـل تحت حكم سبـط! يهوذا،

والادعاء بأن سليمان إبنه، وثّق وحدة المملكة. ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من نقد الأخيرين في العهد القديم، فإنه لايحجب عنهما المديح أيضاً. أمّا يربعام الثاني فهو الوحيد دون ملوك إسرائيل الذي يُذكر أنه حقق بعضاً من الازدهار هناك.

ومن المشاكل الأخرى التي تعرقل قبول غير نقدي للعهد القديم مسألة تاريخية العديد من الشخصيات الأساسية في العهد القديم وعلى رأسها عزرا، والذي يقال أنه تولى منصب الكاهن الأعظم لسبايا يهوذا في بابل بُعيد سقوطها لحكم الفرس. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن عزرا هذا يعتبر مؤسس الديانة اليهودية، فإن شخصيته ماتزال غامضة إلى حد كبير، حتى بالنسبة لجامعي ومؤسسي ومصححي العهد القديم. وأحد أسباب هذا الغموض تعود لحقيقة ندرة ذكر نشاطه الديني التعبوي دون تسجيل مرافقة نحميا له[١٥]. وقد لاحظ كاتبو ومحررو العهد القديم هذه المسألة مما جعلهم يطلقون على السفر الذي يحمل اسمه في النسخة العربية المترجمة، الاسم (عزرا نحميا). كما أن العديد من أهل الاختصاص ينظرون له كشخصية أسطورية. ومما لاشك فيه أن الكثير من الأساطير أحاطت بهذه الشخصية لدرجة وجود أسفار أخرى رُبطت باسمه، على الرغم من أنه لايعترف بها حالياً في الديانة اليهودية، وإن وكما ذكرت آنفاً، قُبِلَ بجزء منها في الكنيسة الكاثوليكية.

الآن وقد قدمنا عرضاً لبعض القضايا التي وجب أخذها بعين الاعتبار في مسار البحث علمياً في التوراة، يمكننا الانتقال إلى استعراض مسهب لمكونات كتاب اليهودية المقدس.

لقد ذكرت أن العهد القديم يعرف في التراث العربي الإسلامي بالاسم (التوراة)، وفي التراث الديني اليهودي بإسم «تنك». أما جذور الاسم (العهد القديم) فهي مستقاة من التراث الديني المسيحي وتعود إليه نفسه. فسفر إرميا ٣١: ٣١ يسجل (هاأيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً)[١٦]. أي أن التراث الديني المسيحي، وفي عملية تثبيت انتهاء المرجعية الأساسية والصلاحية غير المنازعة لكتاب اليهودية المقدس، أطلق صفة «الجديد» على كتبه الدينية المقدسة، دافعاً بذلك التوراة إلى الصف الخلفي، لكن دون

إفقـادهـا بعضـاً من قدسيتها. والجديد، كما يقال، يمحو القديم. وفي الوقت نفسه فقـد أخـرجت المسيحيـة عهـد إلـه التـوراة من يهوذا، وضعته في شخص يسوع بن يوسف النجـار الـذي عُرِّف بأنه هو المسيح. وقـد تطور فهم شخصية الأخير مع مرور الزمن وأُكسبَ طبيعة ثلاثية، أي الأب والابن والروح القُدس.

ويتفق أهـل الاختصـاص أن العهـد القـديم المكـون من ٣٩ سفـراً، يحـوي خرافـات، أسـاطيـر، قصصـاً، تاريخـاً، نصوصاً قانونية، شروحاً تاريخية ذات فهم ديني، مقـولات وأمثلة أنبيـاء، شهـادات دينية وأشعارغزل أولت دينياً، وكذلك حكماً. ورغـم أن التـوراة تضم الكثيـر من الـروايـات التـاريخيـة، فإن مانقـل إلينا في شكله الحـالي يحـوي فقـط ما تمـاشى مع الفهم الـديني والسيـاسي والاجتماعي لمدونيه وجـامعيـه ومحـرريـه. بكلمـات أخـرى، إن النصـوص العتيقـة، المكتـوب منهـا والشفهي، والتي اعتمـدت مرجعـاً لتسجيـل التـوراة في شكلها الحالي، قد استثني منها ما لـم يتناسب مع الفهم الـديني السـائـد لواضعيهـا عنـد إنجـاز عمليـة الجمع والتسجيـل والتحـريـر. ونظـراً لتعدد تلك الرؤ ى والمفاهيم الدينية وتباينها، فقد ظهر للوجـود العـديد من النسخ المختلفة في عدد الأسفار ومحتوياتها، وهو الأمر الذي تم الإشارة إليه آنفاً. وبينما لايوجد مبرر للشك في قِدم المراجع الأصلية التي اعتمدت في تسجيـل بعض مقـاطـع العهـد القـديم، فإن هذه العملية لم يُباشر بها سوى بعد السبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م. ومما لاشك فيه أن الخطر الداهم والدائم الذي كان يحيط ببني إسرائيل من إمبراطوريات المشرق العربي الكبرى، أقنع حاملي وناشري ذلـك التـراث الـديني بمبـاشـرة عمليـة الجمـع والتكوين بهدف الحفاظ عليه. ومن المفيد في هذا المجال التذكير بأن أقدم المخطوطات التي تحوي نصوصاً من العهد القـديم هي (لفـائف البحـر الميت) والتي تعـود للقـرن الثاني قبـل الميلاد وتحوي نصـوصـاً محـددة تتبـاين بشكـل كبيـر عن رديفها في النسخ الحالية. كما أن نسخة التـوراة الحـاليـة والتي تعود بتاريخها إلى عام ١٠٠٨م. وتسمى نسخة «لينينغراد»[١٧] حيث النسخـة الأصليـة، تتبـاين إلى درجـة كبيـرة عن النسخـة اليونانية الأقدم، أي «السبعونية». أما أقدم نسخة بلغة التوراة فهي نسخة القاهرة التي تعود لعام ٩٩٨م.

إن سبب ظهـور هذه النسـخ المتعددة والمتباينة يعود برأيي إلى أن هزيمة بني

إسـرائيـل وسبي جزء منهم إلى بابـل ، قد فتـح أوسـع المجالات أمام ظهور التيارات والطـوائف الـدينية المنبثقة عن ديانتهم التي لم يعرف العهد القديم اسماً لها ، والتي أطلق عليهـا في مؤلفي هذا اسم «اليَهـويْـة». لقد كان ظهور تلك الطوائف الدينية ، وربمـا ذات المـرتكـزات الإثنيـة أيضاً ، عملية طبيعية متوقعة حيث تكثر الاجتهادات لتفسير أسباب الكارثة وطرق تجاوزها. كما نشأ بين بعض أتباع اليهوية تيارات دينية عديـدة تمـركـزت في بابل وفلسطين أخذت على عاتقها تطوير الديانة اليهوية مضيفة مبادىء وطقوساً وأطراً لم يعرفها العهد القديم. وحيث أن موضوعة المؤلف الرئيسية تنطلق من أن العهـد القـديم هو تسجيـل للتجربة التاريخية والدينية لبني إسرائيل في عسير، وليس في فلسطين أو أي مكان آخر، فلا بد أن اليَهوية كانت قد تمكنت قبيل السبي البـابلي من الانتشـار في مناطق عديدة في المشرق العربي ، ومن كسب أتباع ومؤيـدين ضمن أقـوام ليسـوا من بني إسـرائيل. على أية حال فحيث أن رواية العهد القديم عن مصير بني إسرائيل تنتهي بالسبي البابلي ، فإننا سنترك هذه المسألة الآن.

بعد هذا الاستعراض السريع لبعض المشاكل المرتبطة بدراسة التوراة بشكل علمي ، أنتقل لتحليل أسفار العهد القديم كلاً على حدة بهدف التعرف بأكبر قدر من الدِقَّة على محتوياته(١٨).

ب) الأسفـــار

١ ـ التـــوراة

١) سـفـر التكويـن

يضـم السفـر الأول من العهد القديم خمسين إصحاحاً، ويسمى تقليدياً سفر التكـوين. بلغـة التـوراة «بـرءشيت»[١٩]، أي (في البـداية). المحتوى الرئيسي لهذا السفـر روايـات ذات طبيعـة سببيـة تبـدأ في الإصحاحات ١ ـ ١١ برؤية مُدَوِّنيه لبدء الخلق، وينتهي بانتقال بني إسرائيل للإقامة في إقليم ماعُرف باسم مصريم[٢٠].

الجـزء الأكبـر من السفـر مخصص لحيـاة ونشـاطـات من اتُفق على تسميتهم بـ(الجـد الأعلى) أو (بالآباء الأولين) إبتداءاً من إبراهيم مروراً بإسحق وانتهاء بيعقوب، وكـذلـك لأنسـالهم (الإصحـاحات ١٢ ـ ٥٠). وتتعامل الإصحاحات ١٢ ـ ٢٥ مع قصص كل من (أبـرم) و(إبـراهيم)، بينمـا تتنـاول الفصول ٢٥ و٢٦ الروايات المرتبطة بإسحق. أما قصص يعقوب فترد في الإصحاحات ٢٥ و٢٧ ـ ٣٦، بينما أُفرد ليوسف الإصحـاحـات ٣٧ إلى ٥٠ . ومن الـواضـح لأي باحث في الموضوع أن مضمون القصة في تلك الروايات يمكن أنْ ينطبق على تجارب حياتية لبدورُحل في أي زمان كان. وهنـاك قنـاعـة بين أهل الاختصاص بأن التقليد الكهنوتي الولع بالنسب والعدد والذي هو الأحدث بين كافة التقاليد، يطغى على هذا السفر.

من المشاكل التي يلاحظها أي قاريء متمعن للسفر نقله معلومات تتناقض مع بعضها البعض. فعلى سبيل المثال، إن رواية خلق الإنسان هي جزء من قصة خلق الأرض المسجلة في الإصحاح ١ : ١ ـ ٢ : ٤[٢١]، بينما توضح الرواية الواردة في الإصحاح ٢ : ٤ ـ ٢٥ أن هذا الأمر تم عبر عملية مستقلة تماماً. هذا يثبت برأيي أن الجملة «هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت» الواردة في مطلع الإصحاح الثاني هي إكمال للإصحاح الأول. لذا وجب اعتبار باقي المقطع، أي «يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات» بداية الإصحاح الثاني.

ويلاحظ أن سفر التكوين يسجل في الإصحاح ١٢ : ٦ القول بأنه (وكان الكنعانيون «ساكنين» حينئذ في الأرض)، بما يثبت أن النص يعود لمرحلة مابعد موسى التوراة. ويضاف لذلك أن الإصحاح ٥٠ : ١٠ ـ ١٢ من السفر يشير إلى «عبر الأردن»، والمقصود به تقليدياً «شرق الأردن»[٢٢]. بما يعني أن الكاتب كان غرب الأردن. وحيث أن التوراة تفيد أن يَهوه لم يسمح لموسى بدخول أرض الميعاد، فهذا إثبات إضافي على أن النص لا يعود لموسى.

وهناك ملاحظة أخيرة تتعلق بمجمل الخماسية وهي أنها وعلى عكس باقي أسفار التوراة، تستخدم التقويم البابلي.

وهناك قناعة لدى علماء التوراة بأن الإصحاحات ذات العلاقة، تعكس أساطير وخرافات إنتقاها جامعو ومحررو السفر بطريقة تهدف إلى إرساء أرضية تاريخية لادعاء لاحق لبني إسرائيل بحق تاريخي سرمدي في كنعان كائنة أينما كانت، وقبل تكونهم كشعب فيها. وعلى الرغم من الصحة العامة لهذا الرأي، فإنه من غير الممكن تجاوز مكتشفات الأستاذ الصليبي والتي فصلها في كتابه «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل». دار الساقي، لندن ١٩٨٨. لقد بين كمال الصليبي في هذا المؤلف الهام أن سفر التكوين يحوي بالإضافة إلى القصص والأساطير، مجموعة من الخرافات التي تهدف إلى تقديم تفسيرات لمعضلات وظواهر دينية وحياتية بشرية، عدا عن قصائد شعرية وما أشبه ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن هذا السفر يحوي في الإصحاح ٣١ : ٤٧، مفردتين بالآرامية هما «يجر سهدوتا»، أي (كومة الشهادة) بما يثبت أن أصول بعض بني

إسـرائيـل كانت آراميـة وليست كنعانية ، لكني سأترك هذه المسألة الآن لأعود لها في الفصل التالي .

٢) سفـر الـخـروج

يُطلق النص الأصلي الاسم «شموت» على السفر الثاني ، ويعني ذلك بالعربية (أسماء)، بينما يعرف في كافة الترجمات المعمول بها باسم (الخروج) لأن مضمونه الـرئيسي المسجـل في الإصحـاحـات ١ ـ ١٩ يتحـدث عن خروج بني إسرائيل من إقليم عرف باسم مصريم .

تنقـل الإصحـاحـات ٧ ـ ١١ أعـاجيب موسى التـوراة التي عملهـا استعـداداً للخروج أو للفرار من مصريم ، بينما تتناول الإصحاحات ٢٠ ـ ٢٤ قضايا ذات طبيعة مسلكية وأخلاقية ، ومنها مايعرف بـ(الوصايا العشر) . ويرى أهل الاختصاص أهمية خاصـة في الإصحـاحـات ٢٥ ـ ٣١ لأنهـا تنقـل مايـرون أنـه وصف تاريخي للبَاس الأصلي للكهنـة وتعليمـات لهم حول طقوس تقديم القرابين ، وكذلك وصف لشكل المعـابـد ومـاسُمي بـ(خيمـة الاجتمـاع)، إضـافـة إلى شرح لدَور الكهنـة من بيت هارون، والتي تُكـرر مرة أخـرى في الإصحـاحـات ٣٥ ـ ٤٠ . وممـا لاشـك فيه أن الوصف الوارد هنا مبالغ فيه بدرجة كبيرة آخذين بعين الاعتبار أنه مسجل بعيد السبي البـابلي في العـام ٥٨٧ ق . م . ومما لاشك فيه أن دافع هذه المبالغة إعطاء الانطباع بأن تاريخ بني إسرائيل قبل السبي كان تليداً ، وبالتالي التحريض من أجل بعث ذلك الماضي والعمل لمستقبل أفضل وتحميسهم على إعادة بناء الهيكل .

وبمقتضى تعليمـات الإصحـاح ٣٥ ، أضحى بناء (خيمة الاجتماع)[٢٣] واجباً دينيـاً أمـر به إلـه التوراة . وهناك من أهل الاختصاص من يرى أن هذه المسألة ليست أصلية ، بل إضافة متأخرة لتبرير مركزة الطقوس الدينية فيما يعرف باسم الهيكل . أما الإصحـاحـات ٣٢ ـ ٣٤ فتشيـر لنقض بني إسـرائيـل لعهدهم مع موسى التوراة ، ثم تجديدهم له .

كمـا يسجـل هذا السفـر في الإصحاح ٢٣ : ١٤ ـ ١٧ ، ثلاثة أعياد فرضها إله

التـوراة، وأوجب على موسى وجمـاعتـه الاحتفـال بهـا. أمـا العيـد الأول فهـو (عيد الفطيـر)، (أي الخبـز دون الخميـرة)، وبلغـة التـوراة «حج همصوت». العيد الثاني الـذي فرضـه الكهنـة ونسبوه ليهوه، هو المسمى (عيد الحصاد)[٢٤]. أما العيد الثالث المسجـل في هذا السفـر فهـو (عيـد الجمـع)، أي «عيد جمع الحصاد»[٢٥]. غير أن الإصحاح **٣٤ : ٢٣** يضيف عيداً رابعاً سُمْي (عيد السبوعة)[٢٦].

وقبـل الانتقـال إلى استعـراض محتـويـات ومكـونات باقي الأسفار، أود لفت الانتباه إلى أن الأستاذ كمال الصليبي قدم في الصفحة **٢٣٣ - ٢٣٩** من مؤلفه آنف الـذكـر، متـابعـة مقنعـة لعمليـة خروج وتيه بني إسرائيل وفق الوصف الوارد في هذا السفـر، وذلـك في ضوء جغـرافية جزيرة العرب. وفي ذلك الاستعراض عَثَرَ المؤلف لغوياً على معظم الأماكن المذكورة هناك. وقد رأى كمال الصليبي في هذه المتابعة الفـذة دليـلاً على الصحـة التـاريخية العامة للمسألة. وحيث أنه لم يمكن حتى الآن حسم هذه المسألــة عبـر التنقيب الأثـري الميـداني، فقـد رأى بعض العلمـاء خطأ استبعاد احتمال أن طريق الخروج الموصوف في السفر كان من طرق الحج عند بني إسرائيل.

٣) سفر الـلاويـيــن

يستقي السفــر الثـالث من العهـد القـديم اسم الـلاويين - في النص الأصلي «ويقرء» بمعنى (ودعا) - من مضمونه الذي يتناول التعليمات الطقوسية بشكل رئيسي.

تركز الإصحاحات ١ - ٧ و ١١ - ١٥ على قضايا تتعلق بالقرابين والتطهر، بينما تتعامل الإصحاحات ٨ - ١٠ مع طقوس تخريج الكهنة. أما الإصحاح السادس عشر فمكرس ليوم التكفير أو (يوم الكُفّارة)[٢٧]. ومن الجدير بالذكر أن هذا اليوم هو الوحيد من دون أيـام السنـة المسمـوح فيه لرئيس الكهنة بالدخول إلى المكان المحفوظ فيه تابـوت العهـد والذي يعرف باسم [قدس الأقداس]. وقد لاحظ أهل الاختصاص أن الإصحاحات ١٧ - ٢٧ التي تحوي توجيهات مقدسة لبني إسرائيل عن قضايا حياتية

واجتماعية مثل الزواج والزنا وعتق العبيد . . إلخ ، هي إضافات لاحقة ، أي أنها لاتعتمد على روايات أو نصوص قديمة . ويطغى على هذا السفر الطبيعة الروائية .

تشير الإصحاحات ٢٣ : ٤ ـ ٤٤ إلى الأعياد التي فرضت على بني إسرائيل ، أو بالأحرى على يهوذا ـ قارن مع كل من أسفار الخروج ٢٣ : ١٤ ـ ١٧ ، ٣٤ : ١٨ ـ ٢٤ ، وسفر التثنية ١٦ : ١ ـ ٧ . أما الأعياد فهي (عيد الفصح)[٢٨]، وتاريخه محدد في ١٤ ـ ١٥ من الشهر الأول ، أي نيسان . ومن الضروري ملاحظة أن الأخير لا يرد ضمن الأعياد المفروضة آنفاً في سفر الخروج . أما العيد الثاني فهو (عيد الفطير) ، ويلي فصح اليهودية مباشرة . العيد الثالث المشار له في هذا السفر هو (عيد الحصاد) ، ثم (عيد الجمع) المحدد وقته في الخريف . أما العيد الرابع المذكور هنا فهو (عيد السبوعة) . العيد الخامس هو (رأس السنة)[٢٩] وفي الترجمة العربية التقليدية (محفل مقدس) . العيد السادس الوارد هنا هو يوم الكفارة[٣٠]، بينما يطلق على العيد السابع والأخير اسم (عيد المظال)[٣١] ـ أنظر سفر التثنية ٢٣ : ٣٧ ـ ٤٣ .

٣) سفر العدد

استقى المترجمون اسم هذا السفر من محتواه المخصص لإحصاء بني إسرائيل المسجل نتيجته في الإصحاح الأول ، والمكرر في الإصحاح ٢٦ ، علماً بأن الاسم الأصلي هو[بمدبر» ، أي (في برية) . وتحوي الإصحاحات ١ ـ ٩ الإحصاء وتعاليم إضافية للكهنة مما يؤكد أن هذا الجزء من السفر يعود للتقليد الكهنوتي - وتعود مسألة الخروج للظهور من جديد في الإصحاحات ١٠ ـ ٢٠ ، بينما تقدم الإصحاحات ٢١ ـ ٣٦ وصفاً لتقدم بني إسرائيل تجاه مؤاب . ومما لاشك فيه أن الهدف الرئيسي لهذه الإصحاحات وضع أرضية شرعية لمطالب الكهنة بقيادة في المجتمع .

٥) سفر التثنية

يعرف السفر الخامس والأخير مما يُسمَّى تقليدياً بـ[كتب موسى الخمسة] ،

باسم (التثنية)[٣٢]، وقد استقي الاسم العربي المترجم من الإصحاح ١٧ : ١٨، حيث ترد فيه إشارة إلى «نسخة من هذه الشريعة»[٣٣] وذلك وفق الترجمة التقليدية. لكن الرديف التوراتي للمفردة العربية (نسخة) هو «دموت» ـ أنظر سفر الخروج ٢٣ : ١، والمسجلة على نحو (شبْهنا). فلو أن المقصود بالمفردة التوراتية «مشنه»، فعلاً «صورة / نسخة»، لكان المعنى الدقيق للجملة هو (نسخة التعاليم). باعتقادي أن المقصود بهذه المفردة هنا اسم المفعول من كلمة «شنه» ورديفها في العربية (سُنَّة)، ويكون معنى الجملة ١٨ : ١٧ من هذا الإصحاح عندئذ «وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه سُنَّة التعاليم[٣٤]، في كتاب من عند الكهنة المتحولين»[٣٥]. هذه الجملة توضح برأيي مدى نفوذ الكهنة في تلك الديانة النامية، عدا عن أنها إشارة واضحة لا لبس فيها للانتقال من اليَهوِيَّة إلى اليهوذية (نسبة إلى يهوذا).

وهناك ملاحظة وجب الانتباه إليها وهي أن النص ١٧ : ١٥ ـ ١٧ يشير إلى داود كأجنبي، وكذلك لسليمان التوراة لأنه يتحدث عن مقايضته العبيد بالخيول.

يتبوأ هذا السفر مكانة خاصة في علم نقد التوراة لأنه الوحيد من كافة أسفار العهد القديم المخصص بأسره لقضايا لاهوتية بحتة[٣٦]. وهناك رأي بأن القسم الذي يتعامل مع الفرائض والاحكام، أي الإصحاحات ١٢ ـ ١٦، هو نفس سفر الشريعة الذي عثر عليه الكاهن الأعظم حلقيا، والوارد ذكره في الإصحاح ٢٢ من سفر الملوك الثاني. ويرى الكثير من علماء التوراة في هذا الكتاب غير المعروف عنه أي شيء إطلاقاً، أرضية الإصلاحات الدينية ليوشيا بن أمون الذي ملك في يهوذا (٦٣٩ ـ ٦٠٩ ق. م). ـ أنظر سفر الملوك الثاني ٢٢ : ١ ـ ٢٣ : ٣٠. لكن هذه المسألة ماتزال موضع نقاش بين علماء التوراة.

ومما يثبت عدم علاقة موسى بالسفر أن الإصحاح ٣ : ١٤، يسجل (... إلى هذا اليوم)، حيث أن هذه الصيغة تبين أن المقصود حتى الزمن الذي كُتِبَ فيه السفر.

أما الإصحاحات ١ ـ ١١ و٢٧ ـ ٣٠، فتحوي وصايا نهائية قيل أنها تعود لموسى التوراة، بينما تستأنف الإصحاحات ٣١ ـ ٣٤ الطبيعة الروائية الواردة في سفر العدد، وكذلك خطبة الوداع المنسوبة لموسى.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا السفر يحوي العديد من المعلومات التي تتضارب في جوهرها مع محتويات أسفار أخرى. فبينما يسجل سفر العدد ٢٠ : ١٤ ـ ٢١، أن موسى وجماعته اضطروا وتحت تهديد السلاح لتجنب الطريق المار بمملكة أدوم، يفيد سفر التثنية ١ : ٢ ـ ٨ وبتأكيد على القرابة بين الطرفين، بأنه سمح لهم بالمرور بسلام عبر أراضي هذه المملكة[٣٧]. كما يسجل هذا السفر في الإصحاح ١٠ : ٤ بأن موسى التوراة هو الذي سجل الوصايا العشر، متناقضاً بذلك مع رواية سفر الخروج ٣٤ : ٢٨، التي تفيد بأن يهوه شخصياً هو الذي كتبها.

لقد ذكرنا أن الأسفار الخمسة آنفة الذكر تُسمى «توره» بمعنى (تعاليم / ترئية) بالعربية، بينما يطلق عليها في التراث الديني المسيحي اسم (الخماسية/ Pentateuch)، أي، كتب موسى الخمسة، رغم أن الاسم هذا مأخوذ من السبعونية. لكني ذكرت آنفاً أن ليس كل أهل الاختصاص يقبلون بهذا التقسيم. ومن نقط الاعتراض الأولى القناعة بأسطورية شخصية موسى لأن التوراة لاتنقل عن شخصه سوى معلومة وفاته! فانطلاقاً من الصمت المطبق عن الشخصية الأولى والذي لم يقم نبي بعده في إسرائيل (التثنية ٣٤ : ١٠)، ومن حقيقة انتحال قصة ولادته المسجلة في الإصحاح الثاني لسفر العدد، من رواية ولادة سرجون الأكادي، وفي المقام الأول انطلاقاً من غياب أي أثر له أو لبني إسرائيل في النقوش المصرية القديمة وعدم توفر أية شواهد أثرية على عملية الخروج وفق الفهم التقليدي للإصحاحات ذات العلاقة، وصل علماء التوراة إلى قناعة بأن هذه الأسفار تعتمد على تقاليد كهنوتية مختلفة هدفت إلى تثبيت رؤى دينية معينة.

وقد وُجدت أسباب أخرى قُدمت كبراهين إضافية داعمة لوجهة النظر ليس هناك من داع للدخول في تفاصيلها كلها، لكني أود الإشارة إلى إثنين منها. الأولى هي الاختلاف الواضح في أسلوب الخطابة الوارد في سفر التثنية، والذي ينتقل بين أسلوب المُخاطب المفرد ـ مثلاً الإصحاح ٦ : ١٠، وبين صيغة الجمع ـ مثلاً الإصحاح ٦ : ١٦. السبب الثاني هو أن موسى التوراة لم يكن بمقدوره تسجيل خبر وفاته الوارد في سفر التثنية ٣٤ : ٥.

٢ ـ أنبيـــاء

يضم القسم الثاني من العهد القديم وفق التقسيم البروتستانتي أسفار يشوع، القضـاة، صمـوئيـل والملوك، ويعـرف في التـراث الـديني اليهـودي باسم (الأنبيـاء المبكـرون). ويـرى أهـل الاختصـاص أن هذه الأسفار تشكل وحدة متماسكة لأنها تتناول تاريخ بني إسرائيل منذ انتقالهم من حياة البدو الرُحَّل وحتى السبي البابلي عام ٥٨٧ ق. م. ومن خلال القراءة الدقيقة لهذه الأسفار، يتضح التدخل القوى للمحرر في النصـوص وفق أسلوب سفـر التثنيـة، مما جعل علماء التوراة يطلقون عليها إسم «العمل التاريخي التثنوي». لكن الأبحاث الجديدة في هذا الموضوع من قبل أتباع المـدرسـة التقليـديـة السـائـدة توجب إعـادة الـرأي في هذه المسألـة ذلك أن أسفار صـمـوئيـل والملوك على سبيل المثال، تعتبـر وحـدة متكـاملة من ناحية المحتوي. فسفرا صموئيل اللذان يردان بعد سفر القضاة من وجهة نظر ممثلي المصطلح «العمل التـاريخي التثنوي»، يسجلان أن صموئيل كان قاضياً لبني إسرائيل. هذا من ناحية، ومن ناحيـة أخـرى، فإن الـروايـة التاريخية في سفر صموئيل الأول اللاحق، أي في الإصحـاح الـرابـع، تنقـل معلومـة عن تهـديـد «فلشتيم» ـ في التـرجمـة التقليـدية (الفلسطينيين) ـ لبني إسـرائيـل، وهي المسألة التي تم التعامل معها وانتُهي منها في سفـر القضـاة ـ مثـلاً الإصحـاح العـاشـر. ومن دلائل تدخل المُحَرِّر(ين) والتثنويين القوي، الموقف النقدي للنظام الملكي الذي قيل بأنه ساد بين بني إسرائيل، وكذلك من خلال أحاديث الأنبياء المعادية لملوكهم. أخيراً وليس آخراً، كثرة التعليقات التي تـتـدخـل في النص قاطعـة بذلك سلاسته. لكن رغم الموقف السلبي لمحرري هذه الأسفـار من ملوك يهـوذا، نجـد فيهـا استثنـاء لكـل من حزقيا بن أحاز (٧٢٨ ـ ٧٠٠ ق. م) ويـوشيـا بن أمـون (٦٣٩ ـ ٦٠٩ ق. م)، بسبب مايـروى عن إصـلاحـاتهـمـا الدينية. كما استثني مـن ذلك ملكا بني إسرائيل داود بن يسي وابنه سليمان، وقُدم دعماً لأحقية سلالتهما في الحكم.

٦) سفـر يشـوع

الكتاب الأول من العمل التاريخي التثنوي هو سفر يشوع، ويستقي اسمه من الشخصية الرئيسية في روايته، أي يشوع بن نون - بلغة التوراة «يهوشع بن نون»، والذي ارتبط إسمه ونشاطه بشخص موسى التوراة.

تتناول الإصحاحات ١ - ١٢ مسألة وصول بني إسرائيل إلى الأرض التي وعدهم بها إله التوراة يهوه، بينما تنقل الإصحاحات ١٣ - ٢١ تقسيمها بين الأسباط، أما باقي إصحاحات السفر، أي (٢٢ - ٢٤)، فتورد النشاطات الأخيرة ليشوع وكذلك خطبة الوداع المنسوبة لشخصه.

كباقي أسفار العهد القديم، يحوي هذا السفر العديد من المشاكل المتعلقة بالمحتوى، ومن هذه التعقيدات أن مسألة دفن يوسف بن يعقوب الواردة في ختام سفر يشوع، تعود إلى رواية في سفر التكوين ٥٠ : ٢٤ - ٢٥ . هذا جعل علماء التوراة يعتقدون بأن هذا السفر كان في الأصل جزءاً من كتاب آخر لايعرف أوله من آخره. كما أن الإصحاح الثالث منه الذي ينقل معلومة عن عبور الشفا أو الريد[٣٨]، تتطابق مع محتوى رواية الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج عن انشقاق البحر أمام موسى التوراة وجماعته إبان فرارهم من فرعون وجيشه. كما أن قصة الإصحاح الثالث عن اللقاء المليء بالأسرار ليشوع لاتختلف في شكلها ومضمونها عما حدث لموسى التوراة، والمنقول في الإصحاح الثالث من سفر الخروج.

٧) سفـر القضـاة

يعرف الكتاب الثاني من هذه المجموعة باسم «شفطيم»، أي (قضـاة)، ويستقي اسمه من حقيقة أنه يروي أعمال ومغامرات إثني عشر! قاضياً.

تنقل الإصحاحات ٢ : ٦ ١٦ : ٣١ سرداً لمغامرات بعض هؤلاء القضاة ومنهم أهود بن جيرا من سبط بنيامين (الإصحاح ٣ : ١٢ - ٣٠)، القاضية دبورة،

باراق بن أبينوعوم من سبط نفتالي (الإصحاح ٤)، جدعون بن يوآش من سبط منسي (الإصحاحات ٦ ـ ٨)، يفتاح الجلعادي (الإصحاحين ١١ ـ ١٢)، شمشون بن منوح من سبط دان (الإصحاحات ١٣ ـ ١٦)، أبصان من بيت لحم يهوذا (الإصحاح ١٢ : ٨ ـ ١٠)، أيلون من سبط زيولون (الإصحاح ١٢ : ١١ ـ ١٢)، وتولع بن فواة بن دودو من سبط يساكر (الإصحاح ١٠ : ١ ـ ٢)، وغيرهم.

يرى أهل الاختصاص أن المقاطع آنفة الذكر وكذلك المدخل الوارد في الإصحاحات ٦ : ٢ ـ ٣ : ٦، تعود لمرحلة ما قبل السبي. كما ويلاحظ فيها سيادة التقليد التثنوي الذي يُطغي صيغة التعاقب على العصيان والعقاب والغفران. وتولي الإصحاحات ١ : ١ ـ ٢ : ٥ الانتباه لنشاطات بعض الأسباط وأحداث في الأراضي التي لم تسقط لسلطتها، بينما تتعامل الإصحاحات ١٧ ـ ١٨ مع مسألة إقامة مذبح في دان، وكذلك إلى الصراع بين سبط بنيامين من جهة، وباقي الأسباط من جهة أخرى. وبعد تحليل عميق للسفر، اقتنع معظم أهل الاختصاص بأنه لايشير سوى إلى خمسة قضاة حقيقيين.

أما الجزء المسمى بـ«ترنيمة دبورة»، والواردة في الإصحاح الخامس، فيُعتبَر أقدم النصوص الشعرية التوراتية، على الرغم من وضوح تدخل المحرر بالنص. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الترنيمة لاتشير إلى إله التوراة يهوه، عدا عن أنها تحوي دلالات ذات جوهر وثني، ومنها الإشارة في الإصحاح ٥ : ٢٠ إلى مشاركة النجوم في حروب الأسباط.

هذا السفر أيضاً يحوي العديد من المعلومات التي تتناقض في محتواها مع مايرد في أسفار أخرى. فعلى سبيل المثال يفيد سفر القضاة ١ : ٨ بأن بني يهوذا هم الذين احتلوا أورشليم، متناقضاً بذلك مع محتويات سفر يشوع ١٢ : ١٠ والمتمسك بأن ذلك تم من قبل بني إسرائيل ككل، وتحت قيادة يشوع الشخصية. هذا يبين برأيي أن المحررين أرادوا إعادة الإنجاز الأهم في تاريخ بني إسرائيل إلى سبط يهوذا. ومن الجدير بالذكر أن هذا السفر يحوي عدداً غير قليل من المفردات غير المفهومة المعنى، هذا عدا عن حقيقة أن «السبعونية»، نقلت العديد من المفردات دون

ترجمة بما يظهر عدم دراية رجال الدين اليهودي بالمقصود. ويضاف لذلك وجود نسختين من الأخيرة تتباين إلى حد كبير فيما بينها.

٨) سفر صموئيل الأول

يلي سفر القضاة الكتابان أو السفران اللذان يحملان اسم صموئيل - بلغة التوراة «شموءل ء» و«شموءل ب»، واللذان عُربا إلى (صموئيل الأول) و(صموئيل الثاني). أما «السبعونية» فتعتبر هذين السفرين والتاليين، أي سفري الملوك الأول والثاني، وحدة متكاملة، وتطلق عليها الاسم (سفر الملوك ١، ٢، ٣ و٤).

ينقل الإصحاح الثالث من السفر بأن صموئيل كان كاهناً ونبياً من أنبياء بني إسرائيل، هذا رغم عدم انتمائه للاويين. كما نبلغ في الإصحاحين الأولين أن أباه ألقانة بن يروحام الإفريمي كان كاهناً في بني إسرائيل. وتتحدث الأسفار ١ - ٧ عن فترة شباب صموئيل وبطولاته، وكذلك عن مصير «تابوت العهد» في الإصحاحات ٤ - ٦؛ أنظر سفر المزامير ٧٨: ٦٠ - ٦١. بينما تتعامل الإصحاحات ٨ - ١٥ مع قصة شاول بن قيس من سبط بنيامين الذي مُسح من قِبَل صموئيل كأول ملك على بن إسرائيل[٣٩]، لكن علاقات الملك الجديد مع النبي صموئيل تدهورت وحدثت الفرقة بينهما بما دفع الأخير لمسح داود بن يسي من سبط يهوذا كملك على بني إسرائيل. وقد فتح هذا التطور الطريق أمام صراع داخلي قضى على وحدة بنو إسرائيل الداخلية - (سفر صموئيل الأول ١٦ - ٣١). لكني سوف لن أسترسل هنا في قصة شاول وداود، وأسمح لنفسي أن أنصح القاريء بمتابعة المسألة في كتاب كمال الصليبي (حروب داود - دار الشروق، عمان ١٩٩٠)، والذي هو أفضل عرض متوفر عن الموضوع.

ولايقبل علماء التوراة قول التلمود في القسم (باب بترا ٤١ ب)، بأن مؤلف هذا السفر والتالي هو صموئيل. السبب كثرة التناقضات في محتوياته، ومنها على سبيل المثال التقييم الإيجابي الذي تقدمه الإصحاحات ١: ١ - ١٠: ١٦ لاختيار شاول رئيساً لبني إسرائيل، والذي يتناقض مع التقييم السلبي المسجل في

الإصحاحين ٨ و١٠. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هناك تناقض اخر في قصة لقاء كل من شاول وداود. فهذا السفر ينقل في الإصحاحات ١٦ : ١٤ و١٨ : ٥ رواية مختلفة تماماً عما ذكر في الإصحاح ١٧ من السفر نفسه. ولو كان صموئيل هو فعلاً مؤلف السفر(ين)، لما تمكن من تسجيل خبر وفاته المكرر مرتين في الإصحاحين ٢٥ : ١ و٢٨ : ٣.

٩) سفر صموئيل الثاني

أما سفر صموئيل الثاني فمخصص ابتداءاً من الإصحاح ١٦ من سفر صموئيل الأول لرواية أحداث عهد داود ومنجزاته، ويقسم هذا السفر على النحو التالي: الإصحاحات ١ ـ ٥ تنقل أخبار داود وملكه في حبرون وأورشليم، ثم وصوله إلى قمة مجده الشخصي في الإصحاحات ٦ ـ ١٠. وتضم الأقسام المتبقية، أي الإصحاحات ٢١ ـ ٢٤، روايات إضافية عن بعض الأحداث التي جرت في عهد داود بن يسي.

يحوي هذا السفر مجموعة من التناقضات في المعلومات أهمها مايرد عن مقتل شاول على يد أحد المحاربين من العماليق، والذي يتناقض مع خبر انتحاره المنقول في سفر ١ صموئيل ٣١ : ٤. كما ويتضح تدخل المحررين في هذا السفر من خلال نقل أخبار سوء العلاقة بين داود والمؤابيين وإستعباده لهم الوارد في الإصحاح ٨ : ٢، والمتناقض مع خبر علاقاته الجيدة معهم المذكور في سفري صموئيل الأول ٢٢ وراعوت ٤.

١٠ و١١) سفرا الملوك الأول والثاني

يضم القسم الأول من «العمل التاريخي التثنوي» سفري الملوك الأول والملوك الثاني، بلغة التوراة «ملكيمء» و«ملكيم ب»، والتي يرى فيها علماء التوراة استكمالاً لسفري صموئيل لأنها مسجلة بنفس الأسلوب الروائي.

يتناول سفر الملوك الأول في الإصحاحات ١ ـ ١١ مايمكن تسميته بمؤامرات البلاط ورواية تولي سليمان بن داود حكم بني إسرائيل، وكذلك روايات خيالية عن المباني التي بنيت في عهده وعلى رأسها الهيكل[٤٠]. ويباشر الإصحاح ١٢ عرض تاريخ مملكتي بني إسرائيل المنفصلتين ـ أي إسرائيل ويهوذا، حيث ينتهي في الإصحاح ١٧ من سفر الملوك الثاني برواية سبي إسرائيل على يد القوات الآشورية. ومن الواضح من مقطع «صلاة سليمان ليهوه» الواردة في الإصحاح ٨: ٣٣ ـ ٣٤، وكذلك «خطاب يهوه» المنقول في الإصحاح ٩: ١ ـ ٩، أنهما يتحدثان عن السبي البابلي بما يُثبت أن السفر سجل في الفترة الواقعة بعد القضاء على مملكة يهوذا.

وتعالج الإصحاحات الثمانية المتبقية من سفر الملوك الثاني تاريخ مملكة يهوذا وحتى السبي البابلي على يد قوات نبوخذنصر. ويشك أهل الاختصاص في أن مصادر هذين السفرين غير أصيلة، لأنهما يشيران إلى كل من «سفر أخبار أيام ملوك يهوذا» ـ أكثر من ٣٠ مرة، و«سفر أمور سليمان» الوارد ذكره في سفر الملوك الأول ١١: ٤١. ويتضح من تحليل النصوص أن القسم الأكبر من السفرين يعتمد على أكثر من مصدر، عدا عن أنه يعود إلى مايُعرف باسم «العمل التاريخي التثنوي»[٤١] المسجل بعد السبي البابلي. ومن هذه الأقسام الروايات عن إنجازات سليمان بن داود وباقي ملوك يهوذا وإسرائيل. ومن الواضح أن هدف محرري السفرين لم يكن عرض تاريخ بني إسرائيل بقدر ماكان إثبات أن نهاية بني إسرائيل السيئة وتدمير الهيكل لم تكن نتيجة عدم قدرة إله التوراة يهوه على حمايتهم، بل تمت بموافقة منه كعقاب لذنوب ملوكهم.

وبالإضافة لنشاطات وتعاليم ممن عُرفوا بأصحاب الرسالات التنبؤية، يضم قسم (الأنبياء المتأخرين) أقوال أنبياء بني إسرائيل، وكذلك عرضاً لنشاطاتهم وحياتهم. وهناك اتفاق في وجهة النظر بين أهل الاختصاص أن هذه الأسفار اعتمدت على نصوص تعود إلى الفترة الواقعة بين الأعوام ٧٦٠ ـ ١٨٠ ق.م.

١٢) سفر إشعيا

يحمل السفر الأول في مجموعة «الأنبياء الكبار» اسم نبي بني إسرائيل إشعيا

بن آموص «يشعيه بن ءموص» الذي يفترض بأنه نشط في أورشليم في الفترة الواقعة بين الأعوام ٧٣٦ و٧٠٠ قبل الميلاد، أي إبَّان حكم حزقيا بن أحاز «يحزقيه بن ءحز» في يهوذا[٤٢]. وهناك رأي بين أهل الاختصاص بأن هذه المقاطع تتعلق بالمعارك بين البطالمة والسلوقيين، ولكنها أولت في فترة متأخرة لكي تشير ليهوذا وبابل، أي أن النص يعود للقرن الثالث قبل الميلاد.

يتركز المضمون الرئيسي لرسالة إشعيا حول نقطتين أولهما أن يهوه سيعاقب المتغطرسين بشكل عام، والطبقة العليا في أورشليم بشكل خاص بسبب استغلالها للفقراء. وقد عبَّر إشعيا عن موقفه هذا من خلال مايعرف في هذا التهذيب العلمي باسم «أنشودة جبل الكرم» الواردة في الإصحاح ٥ : ١ ـ ٧، وكذلك عبر صرخات الألم، التهديدات، «يوم يهوه»[٤٣]. الفوضى ـ قارن الإصحاحات ٣ : ٢٥ ـ ٤ : ١، و١ : ٢١ ـ ٢٦، ووقوف أورشليم أمام محكمة الطهارة ـ مثلاً الإصحاح ٣ : ١٦ ـ ٢٦.

وتتمحور الموضوعة الثانية حول نقد سياسة ملك يهوذا حزقيا التي حاولت إنهاء سلطة آشور على المنطقة عبر التحالف مع مصر. وقد عارض إشعيا هذه السياسة، وسُجِّلت نبوءته بفشلها في الإصحاحات ٢٨ : ١٤ ـ ٣١ : ٣؛ أنظر أيضاً الإصحاحات ١٠ : ٥ ـ ١٩ و١٣ : ١٠ ـ ١٥. ومن المعروف أن سياسة حزقيا إنتهت بهزيمة يهوذا وباستسلامه لأشور ـ أنظر الإصحاحات ١ : ٤ ـ ٨ و٢٢ : ١ ـ ١٤ من السفر.

كما وتضم الإصحاحات ١ ـ ١٢ من سفر إشعيا توبيخاً وتهديداً لكل من يهوذا وأورشليم، وكذلك إشارة لـ«يوم يهوه» في ٢ : ٦ ـ ٢٢. وبينما تنقل الإصحاحات ٩ : ١ ـ ٦ وصفاً للمسيح المنتظر، نقرأ في المقاطع ١٣ ـ ٢٣ تهديدات ضد الشعوب الغريبة، ومنها بابل وآشور وفلشتيم[٤٤]. ويطلق أهل الاختصاص على محتويات الإصحاحات ٢٤ ـ ٢٧ إسم «رؤيا إشعيا». أما مضمون الإصحاحات ٢٨ ـ ٣١ فهو توبيخ جديد لأورشليم، بينما تنقل الإصحاحات ٣٢ ـ ٣٥ وبشكل عام، طمأنة وبركات.

أما الإصحاحات ٣٦ ـ ٣٩ فتقطع سلاسة النص لتنقل رواية عن إشعيا والملك

حزقيا[٤٥]. ويلاحظ أن الإصحاحات ٣٦ ـ ٣٩ التي تورد أساطير عن إشعيا هي تكرار لمحتويات سفر الملوك الثاني ١٨ ـ ٢٠.

وهناك مشاكل أخرى متعلقة ببنية السفر منها أن الإصحاحات ٤٠ ـ ٤٢ لاتتعامل مع مسائل تعود للقرن الثامن، أي للفترة التي قيل أن إشعيا نشط فيها، وإنما لمرحلة السبي ومابعده، أي للقرن السادس. ومن دلائل ذلك أن هذه الإصحاحات ترثي أورشليم التي سقطت بيد قوات بابل. ويضاف لذلك مسألة الإصحاحات ٤٠ ـ ٥٥ التي تنقل الأمل في كون كورش ملك الفرس هو المسيح المنتظر[٤٦] الذي سيعيد مجد إسرائيل الضائع. لذا هناك اتفاق بين علماء التوراة على أن هذه الإصحاحات لاتعود لإشعيا، وإنما لنبي غير معروف من يهوذيي السبي ـ نسبة إلى يهوذا، نشط في بابل. لذا فإنهم يطلقون على هذا القسم اسم «إشعيا التثنوي» أي «إشعيا الثاني». ويحوي هذا القسم في الإصحاحات ٤٢ : ١٠ ـ ١٣ و٤٤ : ٣٢ مثلاً، ترنيمة عن قرب إنتهاء السبي والعودة إلى الأرض الموعودة التي استعادت الخُضرة والخصوبة[٤٧]. كما يحوي هذا السفر في الإصحاحات ٤٢ : ١٤ ـ ١٦، ٤٣ : ١٦ ـ ٢١ و٤٩ : ٨ ـ ١٣، وعد ذلك النبي المجهول بقرب الصلاح. ويضاف لذلك نبوءة أخرى بالصلاح في الإصحاح ٤١ : ٨ ـ ١٣ وغيره. كما يُعبر ذلك النبي المجهول في هذا القسم من السفر عن إيمانه بأن عودة بني إسرائيل إلى أرض الميعاد مرتبطة بعودة إله التوراة يهوه إلى صهيون[٤٨] وسيادة مملكته على كافة الشعوب ـ إشعيا ٥٢ : ٧ ـ ١٠، وكذلك إعادة بناء أورشليم ـ إشعيا ٥٤ : ١١ ـ ١٧، وعودة الخصوبة إليها في إشعيا ٥١ : ٣، وتكاثر بني إسرائيل هناك ـ إشعيا ٤٩ : ١٩ ـ ٢١.

أما المقاطع الموجهة ضد الأصنام[٤٩] فتعود وفق رأي أهل الاختصاص إلى فترة متأخرة. السبب هو أن التنبؤات الواردة في هذا القسم تشير إلى انتصار فارس وسقوط بابل لسيطرتهم، بما يثبت أنها لم تكتب قبل الأعوام ٥٤٦ و٥٣٩ قبل الميلاد.

ويضم القسم الأخير من هذا السفر الذي يسمى «إشعيا الثالث» أي الإصحاحات ٥٦ ـ ٦٦، تنبؤات بعودة مجد أورشليم والهيكل وعودة المسبيين

إليهـا ـ أنظـر إشعيـا ٥٧ : ١٤ ـ ١٩ ، و٥٨ ـ ٥٩ ، ٦٠ ـ ٦٢ و٦٥ : ١٦ ب[٥٠] ـ ٢٤ . وقــد تبين أن الإصحـاحين ٥٨ : ٨ و٦٢ : ١٠ من السفـر هي نقـل منسـوب لإشعيـا ومسجـل في الإصحـاحـات ٥٢ : ١٢ و٤٠ : ٣ بمـا يقـوي الاعتقاد بأن صاحبه كان تلميذاً لكاتب «إشعيا الثاني» .

ومن الجدير بالذكر أن هذا السفر يحوي نصوصاً أضيفت في فترة لاحقة ، ومنها مايُسمى بـ«إنشـودة التضـرع» إشعيـا ٦٣ : ١٥ ـ ٦٤ : ١١ ، وكـذلـك التضـرعـات والتنبؤ ات التهـديـديـة الواردة في الإصحاحات ٥٦ : ٩ ـ ١٢ و٥٧ : ٣ ـ ٦ ، وقصيدة عن قدوم إلـه التـوراة يهـوه لإبادة الشعوب الأخرى المسجلة في إشعيا ٦٣ : ١ ـ ٦ ، وأخيراً وعد بأن التعبد ليهوه في أورشليم سيكون أبدي ـ إشعيا ٦٦ : ٢٠ ، ٢٢ ـ ٢٤ .

١٣) سفـر إرميا

يطلق على السفـر الثـاني من مجمـوعـة (الأنبيـاء المتأخـرين) إسم إرميا ـ بن حلقيـا «يـرميـه بن حلقيهـو» ، من سبـط بنيـامين ، والـذي يصفـه العهـد القـديم في الإصحـاح ١ : ١ بأنـه كاهن . ويستفـاد من الإصحاح ١ : ١ ـ ٣ أن نبي بني إسرائيل هذا نشـط في يهـوذا إبان حكم يوشيا بن أمون في الأعوام ٧٢٦ ـ ٦٨٥ ق . م ، علماً بأن الإصحاح ١٠ : ١١ مسجل بالآرامية .

يضم هذا السفـر الـذي يعتبـر أحد ثلاثة كتب تعود لأنبياء بني إسرائيل الكبار ، تنبؤ ات كارثيـة وتـوبيـخ وتهديد لبني إسرائيل من العدو القادم من الشمال ـ إرميا ١ : ١٣ ـ ١٤ ، ٤ : ٥ ـ ٢٩ ، ٥ : ١٥ ـ ١٧ ، و٦ : ١ ـ ٨ وغيـرهـا ، وكـذلـك للشعـوب الأخـرى والـواردة في المقـاطـع ٢٥ : ١٥ ـ ٢٨ . ويعقب ذلـك تنبؤ بالصـلاح في الإصحـاح ٢٦ : ٣٥ ، بينمـا تنقل الإصحاحات ٢٦ ـ ٢٩ ، ٣٢ و٣٤ ـ ٤٥ معلومات عن نشـاط ومصيـر إرميـا . أما التنبؤ ات الجديدة عن مصير الأمم أو الشعوب الأخرى فقد وجدت مكانها في المقطع ٤٦ ـ ٥١ .

ومن الـواضـح أن الإصحـاح ٥٢ الـذي يحوي نبوءة عن نهاية مملكة يهوذا ، منقول عن سفر الملوك الثاني ٢٤ : ١٨ ـ ٢٥ ، ٣٠ . ومن المثير للانتباه أن هذا الجزء ينقل في

المقطع ٣ : ١٦ ـ ١٧ مقولة هامة ترفض، «تابوت العهد» وتتنبأ بأنه سوف لن يُتذكر ولن يُعتنى به.

لكن استشارة سفر إرميا في نسخة «السبعونية»، توضح أن بنية هذا القسم كانت أقرب في ترتيبها إلى كتب الأنبياء سابقة الذكر بما يقوي الانطباع بخضوعه لقلم المحرر(ين) المزاجي. ووفق ترتيب أو بنية «السبعونية»، فإن السفر يبدأ بتوبيخات لبني إسرائيل، ويعقبها لعنات على الأمم والشعوب الأخرى في الإصحاحات ٢٥ : ١٥ ـ ٣٨ و٤٦ ـ ٥١، وأخيراً تنبؤات بالصلاح الواردة في ٢٦ ـ ٣٥. وقد أضيف إلى الجزء الأخير ملحق يحوي روايات عن معاناة إرميا الشخصية ٣٦ ـ ٤٥. وإنطلاقاً من هذه البنية، يمكن تقسيم السفر إلى ثلاثة أجزاء أولها كلمات إرميا ـ الإصحاحات ١ ـ ٢٣ و٤٦ ـ ٤٩. أما الجزء الثاني فسجل في الإصحاحات ٣٧ ـ ٤٣ وتنقل أخبار معاناته، بينما يكون الجزء الثالث والأخير وفق ترتيب «السبعونية»، عمل تحريري تثنوي وضع على مايبدو قبيل مايقال عن انتهاء السبي. ويرى أهل الاختصاص أن اختلاف أسلوب هذا القسم عن باقي أجزاء السفر إثبات على أن واضعيه ينتمون للتقليد (التثنوي). وتعتبر هذه الإضافة إثباتاً بأن إرميا كان معارضاً لتعاليمهم.

أما أهم عمل قام به المحررون فهو قلبهم لرأي إرميا بالتوبيخ اللامشروط لبني إسرائيل إلي وعد بالمغفرة للتائبين ـ قارن إرميا ١٧ : ١٩ ـ ٢٧، ١٨ : ٧ ـ ١٢ و٢٢ : ١ ـ ٥[٥١].

ويعتبر إرميا من الشخصيات أو من ممثلي تيار التحالف مع بابل، على الرغم مما يروى عن رفضه عرضها لاستضافته بعيد السبي. ويتضح من تحليل هذا السفر أنه كان عرضة للملاحقة الدائمة من البلاط.

١٤) سفر حزقيال

يحمل السفر الثالث في هذه المجموعة اسم آخر أنبياء بني إسرائيل الكبار المسمى حزقيال بن بوزي ـ «يحزقءل بن بوزي» من يهوذا، والذي يوصف بأنه كان

كاهناً. ويفترض أن حزقيال نشط في الأعوام ٥٩٣ ـ ٥٧١ق. م. بين السبي الأول في بابل حيث رُحل إليها مع ملك يهوذا يهواكين بن يهواقيم (٦٩٨ ـ ٦٩٧ ق. م) الذي استسلم لقوات نبوخذ نصر. ويشابه هذا السفر في تقسيمه الكتابين السابقين.

ينقل الجزء الأول من السفر، أي الإصحاحات ١ ـ ٢٤ أقوالاً تعود لفترة ماقبل السبي، يسبقها مقدمة تحوي وحياً يناديه في ١ : ١ ـ ٣ : ١٥ . ويتنبأ حزقيال فيها بحصار أورشليم وسقوطها للقوات البابلية ـ أنظر الإصحاحات ٣ : ٢٢ ـ ٥ : ١٧ ، ٢١ .

بالإضافة إلى توبيخ للأنبياء الرسميين[٥٢] الوارد في الإصحاح ١٣ ، يحوي الإصحاح السادس من السفر مقولات تحوي تهديداً ووعيداً لجبال إسرائيل! وهناك دعوات ضد الآثام الاجتماعية ورجاسات مدينة الدم أورشليم، في الإصحاح ٢٢ . ويُوظِّف إرميا في الإصحاح ١٥ تعبيرات تصويرية في خطاب عن أورشليم كعود عارٍ، وكزوجة غير وفية في الإصحاحات ١٦ و٢٣ . وينقل الإصحاح الثامن رؤ يا عن الرجاسات الدينية في أورشليم. أما الإصحاح ١٨ المخصص لقضايا التعامل الفردي الاجتماعي فيعود إلى فترة لاحقة، أي أنه لايعتبر جزءاً من تعاليم حزقيال.

أما الجزء الثاني فيضم الإصحاحات ٢٥ ـ ٣٢ والتي تنقل تهديدات للشعوب أو الأمم المجاورة، بينما يتعامل الجزء الثالث المشكل من الإصحاحات ٣٣ ـ ٤٨ مع رؤى مستقبلية عن صلاح إسرائيل. ويرى أهل الاختصاص أن الشكل الحالي للسفر لايعود لحزقيال نفسه، وإنما من عمل تلاميذه على مايبدو.

أما كتب «الأنبياء الصغار» أو «الأنبياء المتأخرين»، فتحوي أقوال أربعة عشر نبياً موزعة على إثني عشر سفراً.

١٥) سفر هوشع

يتكون السفر الأول من مجموعة «الأنبياء الصغار» من ١٤ إصحاحاً، ويحمل اسم نبي التوراة هوشع بن باري. [٥٣] ويتضح من محتويات السفر أن هذا النبي نشط في إسرائيل إبان حكم يربعام بن يواش (٧٨٧ ـ ٧٤٧ ق. م)، والذي يتصادف مع حكم

كل من عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا في يهوذا. ويعتبر يوشع أكثر أنبياء بني إسرائيل ممارسة لنقد الملكية في بني إسرائيل، هذا رغم مما ينسب له في الإصحاح ١ : ٧ من مديح ليهوذا.

يقسم هذا الكتاب إلى أجزاء عديدة يضم أولها الإصحاح ١ : ١ ـ ٣ المسجل بصيغة المفرد الغائب، والذي ينقل قصة زواج هوشع. ويتكون هذا الجزء من أقسام أخرى منها التقرير بصيغة الغائب عن ذلك النبي[٥٤]. ويليه في الإصحاح ٢ : ٤ ـ ٢٥ الرواية عن إسرائيل المصورة كزوجة غير وفية، وأخيراً التقرير بصيغة المُتكلم والوارد في السفر الثالث. ويرى بعض أهل الاختصاص أن الزواج والأطفال الناتجين عنه يرمزون إلى الأنبياء وإلى وحي يهوه. كما ويلاحظ وجود تقريرين مختلفين عن زواج هوشع حيث لايوضح النص فيما إذا كان المقصود تقريرين مختلفين عن زواج واحد، أم أنهما خبر زواج بامرأتين مختلفتين. المسألة الأخرى غير الواضحة هنا والتي ماتزال تعيق فهماً متكاملاً لهذا السفر فمتعلقة أيضاً بطبيعة الزوجة (تين)؛ فهل كانتا مومستين عاديتين، أو أنهما كانتا من بغايا المعابد.

أما الإصحاحات ٤ ـ ١٤ فمخصصة للتشنيع والتشهير بمملكة إسرائيل، ومن ذلك الإشارة إلى عبادة العجل في الإصحاحات ٨ : ٥؛ ١٠ : ٥ و١٣ : ٢. ويضاف لذلك الإشارة للخيانة والكفر والذنب والقتل والسرقة والفسق فيها والمسجلة في الإصحاحين ٤ : ١ و٢. ويتضح من خلال تحليل مختلف النصوص أن هوشع يتنبأ بزوال إسرائيل بسبب عدم تقيدها بالتعبد ليهوه[٥٥].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن تعرض النص لتحرير مستمر يجعل من مسألة التعرف على أقوال هوشع نفسه مسألة غير ممكنة. أخيراً، على الرغم من أن هوشع نشط في إسرائيل، إلا أن أقواله جمعت في يهوذا بعيد سقوط شمرون لقوات سرجون.

١٦) سفر يوئيل

يعرف السفر الثاني من مجموعة «الأنبياء الصغار»، بالاسم يوئيل، ويعود لنبي

بني إسـرائيـل يوئيـل بن فتوئيل «يوءل بن فتوءل». يقسم السفر إلى أجزاء عديدة أولها ينقـل مطـالبـة هذا النبي يهوذا بالتأمل بسبب اقتراب وبائي الجراد والجفاف، والذي رأى فيهما علامات «يوم يهوه». ويتنبأ يوئيل وفق ماينقل عنه في الإصحاح ٢ : ١ ـ ١١ بأن هذا اليوم سيشهد قدوم جيش جرار إلى يهوذا، لذا فإنه يناشد ملّته التوبة. وحيث أن الإصحاح ٢ : ١٨ ـ ١٩ ينقل تراجع إله التوراة يهوه عن إيقاع الضرر بيهوذا، فإنه يقرر بدلاً من ذلك تدمير هذا الجيش الزاحف من الشمال ويعيد للأرض خصوبتها[٥٦] ويتحـدث السفـر الثـالث عن «يـوم يهـوه» الآتي حيث ستعـود يهـوذا وأورشليم! إلى موطنهمـا، وستحـدث فيـه الأعـاجيب ويفني أعـداءهـا حتى تعيشـا في سلام. ومن الجـديـر بالـذكر أن هذه الرؤيا شكلت أرضية لأدب القيامة[٥٧]. وهناك اتجاه قوي في علم التـوراة يرى أن الـرؤيا القيامية ليوئيل كانت في الأصل تتعلق ببلاء الجراد الذي هاجم يهوذا، لكنه أعيد تفسيره وتأويله ليشير إلى أنه سيلحق بشعوب أخرى.

وهنـاك بعض أهـل الاختصـاص من يرى أن السفـر يعـود للقـرن الـرابـع قبل الميـلاد. ومن البـراهين المقدمة دعماً لذلك أن الإصحاح الثاني يتحدث عن هجوم الأمم على أورشليم وتـدميـرهـا، وكـذلـك عن وجود سور حولها ـ (٢ : ٩). والحجة الثـانيـة هي وجـود المفـردة الأوغاريتية «هسلح» ـ في الترجمة العربية (الأسلحة) في النص. ورغم قدم هذه المفردة، فإنها لاتوظف إلا في النصوص التوراتية المتأخرة.

١٧) سـفـر عامـوس

السفر الثالث والأقدم من هذه المجموعة، أي «الأنبياء الصغار»، يحمل اسم النبي عاموس[٥٨] من يهوذا والذي كان من الرعاة ـ أنظر الإصحاحات ١ : ١ و٧ : ١٤.

وقـد مارس عامـوس نشاطه التنبؤي في مملكة إسرائيل المعادية ليهوذا ابتداءاً من العـام ٧٥٠ ق.م. تقـريبـاً، حيث ينسب له مطـالبتـه بإعـادة الحكم هناك لنسل داود!! ورغم الالتـزام التقليـدي بنبـوة عاموس، يلاحظ أنه لم يعتبر نفسه كذلك، بل وينقل عنه قوله في الإصحاح ٧: ١٤ بأنه ليس بنبي ولا بابن نبي.

ينقل الإصحاح ٧ : ١٠ ـ ١٧ معلومات شخصية عن عاموس والتي تفيد بانتهاء نشاطه التنبؤي هناك بعد طرده منها إبان حكم يربعام بن يواش (٧٨٧ ـ ٧٤٧ ق . م) . لكن حيث أن النص هو بصيغة الغائب، فمن الواضح أن المعلومات لا تعود له .

يتكون هذا السفر من تسعة إصحاحات يقسمها علماء التوراة إلى ثلاثة أجزاء . يضم الجزء الأول الإصحاحين الأول والثاني ، والتي تحوي مقولات متناسقة في نظمها، وتتنبأ بكوارث ستحل على يهوذا وإسرائيل والشعوب المجاورة .

ويضم الجزء الثاني الإصحاحات ٣ ـ ٦ ، والتي تنقل ٢٥ مقولة منفردة ذات ضروب متباينة ، منها تحذير وتذكير وتنبؤ بالكوارث . ويعيد عاموس أسباب تلك المصائب إلى سوء حكم الطبقات الحاكمة في بني إسرائيل وابتعادهم عن الصراط المستقيم الذي أمرهم به إله التوراة يهوه . أما الجزء الثالث والأخير فيضم بالإضافة إلى مقولات عن كوارث قادمة وتصرفات قبيحة واردة في الإصحاحات (٨ : ٤ ـ ٦ و٩: ٥ ـ ٦) ، خمس رؤى كارثية بصيغة المتكلم المفرد[٥٩]، بالإضافة إلى رواية بصيغة المفرد الغائب في الإصحاح ٧ : ١٠ ـ ١٧ عن تناقض مع الكاهن أمصيا . ويُختتم هذا السفر بمقولات مسجلة في المقاطع ٩ : ١١ ـ ١٢ و٩ : ١٣ ـ ١٥ تعد بصلاح الأمور من جديد . ومن الجدير بالذكر أنه ينظر للأخيرة كدعوة لسيادة مُلك نسل داود على كل بني إسرائيل .

ونظراً لتباين صيغ السفر[٦٠]، فمن الواضح أنه لايعود لعاموس نفسه وإنما هو مجموعة من الأقوال جُمعت عبر فترة طويلة ونسبت له .

١٨) سفر عوبديا

يحمل السفر الرابع في مجموعة الأنبياء الصغار إسم النبي عوبديا «عبديه» . وحيث أن السفر مكون من إصحاح واحد يضم ١٢ جملة ، فإنه أصغر كتب العهد القديم .

المادة الرئيسية لهذا السفر ترد في المقاطع ١ ـ ١٤ ، ومادتها الرئيسية التنبؤ بخراب أدوم لمشاركتها بابل في تدمير أورشليم . كما تحوي هذه الجمل توقع عوبديا

حلول «يـوم يهـوه»، حيث سيحـاسب إلـه التـوراة كافة شعوب الأرض. لكن القسم ١٧ ـ ١٨ يتنـاقض مع ماسبق لأنـه يتنبأ بصـلاح إسـرائيل، بينما يظهر أن الجزء ١٩ ـ ٢١ إضافة لاحقة.

إن القـراءة المتمعنـة للسفـر توجب تأريخه لمرحلة مابعد السبي البابلي. ومن دلائل ذلك الإشارة في الإصحاح ١٥ للكارثة التي لحقت بيهوذا.

ومن الجـديـر بالـذكـر أن السفـر لايحوي أية تعاليم دينية ذات مغزى، بيد أنه أضيف للعهد القديم بسبب مايحمله من لعنات على أدوم وباقي الأمم.

١٩) سـفـر يونـان

يُطلق على السفـــر الخـــامس من مجمـوعـة «الأنبيـاء الصغـار»، أو «الأنبيـاء المتأخرين» اسم يونان، وذلك نسبة إلى نبي بني إسرائيل يونا «يونه بن ءمتي». لكن علماء التوراة يتعاملون مع محتويات السفر على أنها أسطورة ليس إلاّ.

يتبـوأ هذا السفـر مكـانة خاصة من ناحية المضمون لأنه الوحيد الذي لايحوي أقوالاً منسوبـة لهذا النبي، بل أنه سرد لقصته المذكورة في سفر الملوك الثاني ١٤ : ٢٥. وحيث أن كمـال الصليبي تعـامـل مع الجـانب الأكبـر من محتـويات السفر في مؤلفـه آنف الـذكـر، فإني سأتجنب الخـوض في مضمـونها وأعيد القارىء للمرجع السابق ذكره.

لكن هناك أمراً جديراً بالملاحظة وهو أن الصلوات المنسوبة ليونان هذا ترد في المزامير التي قيل أنها من نظم داود بن يسي، ومن ذلك على سبيل المثال (دعوت من ضيقي الـرب فاستجـابني) الـواردة في يونـان ٢ : ٢، والتي نعثـر عليهـا فوراً في سفر المـــزاميـــر ١٢٠ : ١؛ ١٨ : ٥ ـ ٧؛ ٣١ : ٢٢. ويضـــاف لذلـك الإصحـاح ٢ : ٣ والمزامير ٤٢ : ٧؛ يونان ٢ : ٨ والمزامير ٣١ : ٦؛ يونان ٢ : ٩ والمزامير ٥٠ : ١٤؛ ١١٦ : ١٧ ـ ١٨، وغير ذلك من الأمثلة.

٢٠) سفر ميخا

يطلق على الكتاب السادس من مجموعة «الأنبياء المتأخرين» اسم نبي بني إسرائيل ميخا بن يملة ـ الأصح (ميكا بن يمله)[٦١]، من يهوذا. وينقل الإصحاح ٢٢ : ٨ [٦٢]. من سفر الملوك الأول بأن ميخا نشط في يهوذا إبان حكم كل من يوثام بن عزيا (٧٥٦ ـ ٧٤١ ق.م)، أحاز بن يوثام (٧٤١ ـ ٧٢٥ ق.م)، وحزقيا بن أحاز (٧٢٥ ـ ٦٩٧ ق.م).

يحوي هذا السفر أقوالاً تنتقل بين الوعيد (الإصحاحات ١ ـ ٣؛ عدا ٢ : ١٢ ـ ١٣)، ثم الوعد في الإصحاحين الرابع والخامس، ثم الوعيد مرة أخرى (الإصحاحات ٦ : ١ ـ ٧ : ٧)، ثم الوعد من جديد في الإصحاح ٧ : ٨ ـ ٢٠. ووفق الرأي السائد بين علماء التوراة، فإن هذه الأقوال لاتعود لميخا نفسه، بل من عمل المحررين في فترة متأخرة بعد السبي البابلي. ويتوعد ميخا في الأقوال المنسوبة إليه في الإصحاحات ٢ : ١ ـ ٥؛ ٦ ـ ١١ و٣ : ١ ـ ٤ الطبقة الحاكمة في أورشليم بسبب حبها للتملك والرشاوى التي أفقرت صغار الفلاحين الصغار في يهوذا. ويضاف لذلك توعد الأنبياء الرسميين! الذين يسيئون استخدام مناصبهم من أجل جمع الثروات (٣ : ٥ ـ ٨). وينقل هذا السفر في الإصحاح ٣ : ٩ ـ ١٢ تنبؤ ميخا بأن هذه التصرفات ستقود إلى كوارث وإلى دمار أورشليم. وبالإضافة لذلك، يتنبأ ميخا في الإصحاح ١ : ٨ ـ ١٦ بخراب شمرون[٦٣]. وبتدمير يهوذا. وبينما يقيم الرأي التقليدي الإصحاحات الأخيرة بأنها تعود إلى ميخا نفسه، فمن الواضح أن الأقسام التي تشير إلى انتهاء السبي ـ مثلاً الإصحاحات ٢ : ١٢؛ ٤ : ٦ ـ ٨ و٥ : ٦ ـ ٨ هي من عمل المحققين الذين أضافوها بعد السبي بفترة طويلة. ويضاف لذلك المقاطع المتعلقة بعودة داود، والمسجلة في الإصحاح ٥ : ١ ـ ٤؛ وتطهر إسرائيل ٥ : ٩ ـ ١٣، وأخيراً عن الشرور التي اجتاحت الأرض في الإصحاحات ٧ : ١ ـ ٧.

٢١) سفر ناحوم

يحمل السفر السابع من مجموعة «الأنبياء الصغار» اسم ناحوم، والموصوف بأنه «ألقوشي»[٦٤]. ووفق ماتفيده التوراة، فإن ناحوم كان أحد أنبياء بني إسرائيل ونشط في يهوذا في القرن السابع قبل الميلاد.

مادة سفر ناحوم الرئيسية هي نبوءة ضد مدينة نينوى عاصمة الآشوريين. ويبدو من القراءة المتمعنة للسفر بأنه سُجل في الفترة الواقعة بين سقوط مدينة طيبا المصرية للقوات الآشورية في العام ٦٦٣ ق.م. وبين تدمير بابل لتلك المدينة عام ٦١٢ ق.م ـ أنظر ناحوم ٣: ٨.

يضم المقطع ١: ٢ ـ ١٠ من السفر قصيدة تهليلية تبشر بقدوم يهوه لتدمير أعدائه. أما الإصحاحات ١: ١١ ـ ١٤ و٢: ١ ـ ٣، فتنقل مقولات غير متناسقة منسوبة له، ويعقبها ثلاث[٦٥] مقولات تهديدية ضد نينوى تحمل وصفاً دراميا لسقوط آشور والمدينة، ويختتم السفر بلعنة نبوية تصب على نينوى (الإصحاح ٣: ١٨ ـ ١٩). لكن تحليل أعمق للنصوص يشير إلى خطأ استبعاد احتمال أن الإصحاحات ٣: ١ ـ ٥ و٨ ـ ١١ كانت موجهة أصلاً ضد أورشليم ويهوذا، ثم أولت من قبل المحرر(ين) لتشير إلى نينوى.

٢٢) سفر حبقوق

السفر الثامن في مجموعة «الأنبياء الصغار» يحمل إسم نبي بني إسرائيل حبقوق الذي كان قد نشط في يهوذا في السنوات ٦٠٨ ـ ٥٩٨ ق.م. علماً بأن الاتجاه التقليدي في علم التوراة يرى بأن المقصود بالكسديم هم الكلدانيون. ومن الجدير بالذكر أن السبعونية تسجل إسم هذا النبي بصيغة (أمبكوم ـ Ambakoum).

يتكون هذا السفر من ثلاثة أجزاء أولها شكوى تأخذ شكل مناجاة أو حوار يشارك فيه حبقوق ـ الإصحاحات ١: ٢ ـ ٤، وأخرى حول صمت إله التوراة حيال

تفوق أعدائه في الإصحاحات ١ : ١٢ ـ ١٧ . ويتلقى حبقوق تأكيداً لنبوته عبر وصف مسيرة النصر الكسدية في الإصحاحات ١ : ٥ ـ ١١ ، ثم تطميناً في الإصحاحات ٢ : ١ ـ ٥ بأن العادلين ، أي يهوذا؟ سيبقون على قيد الحياة بسبب إخلاصهم لربهم .

ويحوي الجزء الثاني من السفر، أي الإصحاحات ٢ : ٦ ـ ١٧ شكوى من ، وإدانة لغطرسة وتكبر الأقوياء. ويضم هذا القسم إضافات لاحقة في الإصحاحات ٢ : ١٨ ـ ٢٠ تحوي إدانة عبادة الأصنام وأمر بإجلال إله التوراة .

ووفق التقسيم المعمول به في «علم نقد التوراة» ، فإن الجزء الثالث يضم الإصحاح الثالث ، والذي ينقل تهليلاً سيء الترتيب عن عقاب يهوه لمسببي الظلم .

> ومن الضروري إثارة الانتباه هنا إلى أن صلاة حبقوق المسجلة في الإصحاح ٣ : ٣ من السفر، تنقل علمه بأن إلهه جاء من تيمان ، وأن قدوس أتى من جبل فاران . وقد علمنا أن المؤرخين العرب سجلوا أن تيمن كان اسماً يطلق على طرف من إقليم اليمن . أما جبل فاران هذا فنجد إشارة له عند ابن منظور على سبيل المثال الذي يسجل أن «فاران إسم عبراني لجبال مكة المكرمة» .

٢٣) سفر صفنيا

يحمل المقطع الأول من هذا السفر، وهو السابع في المجموعة ، اسم النبي صفنيا بن كوشي بن أمريا بن حزقيا[٦٦] . ويبدو أن نبي التوراة هذا نشط في يهوذا إبان حكم يوشيا بن أمون (٦٢٦ ـ ٦٢٢ ق . م) ، علماً بأن العهد القديم يسجل قيام الأخير بإدخال العديد من الإصلاحات الدينية مما أكسبه مديح كاتبيه ومحرريه . في الوقت نفسه ، فإن إشارة صفنيا إلى الإشراك بيهوه في عهده ، والواردة في الإصحاح ١ : ٤ ، تشير إلى احتمال أنه نشط قبيل الإصلاحات الدينية هذه .

ومن الجدير بالذكر أن اسم والد صفنيا يُظهر أن هذا النبي لم يكن من بني إسرائيل، ذلك أن الفهم التقليدي لجغرافية العهد القديم تُعَرِّف كوش بأنها الحبشة. وقد أشرت في مؤلفي الأول عن الموضوع، والذي صدر عن (الريس للكتب والنشر؛ لندن ـ ١٩٩٤) تحت عنوان «مصر وبنو إسرائيل في عسير»، أن العرب سجلت أن كوش هي بأرض اليمن.

يضم هذا السفر وعيداً ليهوذا وأورشليم مسجلة في الإصحاحات ١ : ١ ـ ٢ : ٣، ملحق به وعيد للأمم الأخرى ترد في المقطع ٢ : ٤ ـ ١٥. ويلي ذلك وعد بالبركات في الجزء الثالث والأخير، أي في الإصحاح الثالث. لكن هذا الترتيب والأقوال الواردة فيه تعود لفترة متأخرة عن صفنيا، أي أنها منسوبة له. ومن الأقوال التي يعتقد بأنها تعود له، اللعنات المصبوبة على عبادة الأصنام في يهوذا المسجلة في الإصحاح ١ : ٤ ـ ٥، وعلى الأجانب في بلاط الملك ١ : ٨، والظالمين والغشاشين ١ : ٩، والساخرين والمتهكمين ١ : ١٢ ـ ١٣، وعلى موظفي بلاط ملوك يهوذا والكهنة والأنبياء الرسميين ٣ : ١ ـ ٤. ويفيد هذا السفر أن صفنيا تنبأ بأن نتيجة هذا الفجور ستكون كارثية على أورشليم ويهوذا. ويتوج نبوءته بترنيمة «يوم يهوه»، لكن هذا يتناقض مع قول الإصحاح ٢ : ١ ـ ٣ بوجود أمل للمسترحمين والخاشعين.

أما الأجزاء التي تتحدث عن ويلات ستصيب كافة البشر، والواردة في الإصحاحات ١ : ٢ ـ ٣، ١٧ على سبيل المثال، وتلك المتنبئة ببعث أورشليم، فلا تعود لصفنيا. كما ويبدو أن الإصحاح ١ : ١٣ منقول عن سفر عاموس ٥ : ١١.

٢٤) سفر حجي

يحمل السفر الثامن في هذه المجموعة اسم نبي بني إسرائيل «حجي»،

والذي نشط وفق الرأي التقليدي في أورشليم في السنة الثانية من حكم ملك الفرس داريوس (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م). ولاتورد التوراة أية معلومات أخرى عن شخصه!

رغم أن هذا السفر ينقل مجموعة من الأقوال منسوبة لهذا النبي، لكن يلاحظ تدخل المحرر فيها عبر تعليقات عديدة منها الواردة في الإصحاحات ١ : ١؛ ١ : ١٢ ـ ٢ : ١ و٢ : ١٠.

المجموعة الأولى من الأقوال المنسوبة لحجي ترد في الإصحاحات ١ : ٢ ـ ٨ و١ : ٩ ـ ١١. وترجع هذه الأقوال سبب سوء الحصاد ووضع يهوذا البائس لإهمال قضية إعادة بناء الهيكل الذي دمرته قوات نبوخذنصر، رغم أن الإصحاحات ١ : ١٢ ـ ١٥ تنقل خبر مباشرة العمل فيه. ويلي ذلك مقولة منسوبة لحجي في الإصحاح ٢ : ٢ ـ ٩ تحوي تحميساً لبناء الهيكل ووعداً بحدوث منعطفاً وزلزالاً يغير مسار العالم ويُمَجِّد الهيكل. أما الإصحاح ٢ : ١٠ ـ ١٩ فينقل النبوءة بزوال الآثام من الأرض وبانتهاء الحصاد السيء يوم وضع حجر أساس الهيكل الجديد.

ويضاف لذلك نبوءة بأن إله التوراة يهوه سيُحدث منعطفاً في العالم عبر اختياره زر بابل بن شألتيئيل «زربيل بن شرء لتي عل» هذه المرة كالمسيح المنتظر[٦٧].

٢٥) سفر زكريا

أما سفر زكريا بن برخيا بن عدو «زكريه بن بركيه بن عدو»، وهو التاسع في هذه المجموعة، فيحمل اسم نبي نشط إبان حكم ملك الفرس داريوس، ويكون بالتالي معاصراً لسابقه.

يضم هذا السفر في الجزء الأول (الإصحاحات ١ ـ ٨) مجموعة من الأقوال منسوبة لزكريا تحوي بالإضافة إلى مداخلة أولى تذكيرية (١ : ١ ـ ٦)، رؤياه لحلول زمن الصلاح، والذي نقله عبر ثمان صور تصويرية نجدها في الإصحاحات ١ : ٧ ـ ٦ : ٨. ويلي ذلك إعلان في المقطع ٦ : ٩ ـ ١٥، تسلمه وحياً من يهوه لتجهيز تيجان ذهبية وفضية لكل من زربابل بن شألتيئيل والكاهن الأعظم يهوشع بن يهوصادق «يهوشع بن يهوصدق» ـ أنظر سفر حجي ١ : ١. أما القسم المتبقي من

الجزء الأول، فيحوي مقولات متأخرة مُدخلة ومنسوبة لزكريا تعد بتمجيد يهوذا وأورشليم. لكن أهل الاختصاص يرون أن هذه المقولات وغيرها المتخللة إصحاحات الرؤيا لاتعود لزكريا، وإنما لمصدر آخر.

ويقسم أهل الاختصاص الجزء الثاني من السفر إلى قسمين يضمان الإصحاحات ٩ - ١١ و١٢ - ١٤، والتي تعود للقرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، ويُطلق أهل الاختصاص على مؤلفيها اسم (زكريا الثاني - Deutro-Sacharja) و(زكريا الثالث - Trito-Sacharja). وتحوي هذه الأجزاء نبوءة باندثار فلشتيم[٦٨]. ثم عودة بني إسرائيل من السبي وثأرهم من أعدائهم - الإصحاحات ٩ : ١١ - ١٧ و١٠ : ٣ - ١٢. كما تحوي هذه الأجزاء[٦٩] نبوءة أخرى بأن يهوه سيدمر جيوش جميع الشعوب الأخرى على أبواب أورشليم، والتي تتناقض مع نبوءة أخرى عن نفس المسألة واردة في الإصحاح ١٤ : ١ - ٥. وهناك أيضاً نبوءة بتطهر أورشليم ورؤياه لمجدها القادم، والواردة في المقاطع ١٣ : ١ - ٦ و١٤ : ٦ - ٢١ على التوالي.

٢٦) سفر ملاخي

يعرف السفر الأخير في مجموعة «الأنبياء الصغار» باسم ملاخي، بالأحرى (ملاكي) - في النص الأصلي «مل‌ءكي» بمعنى (رسولي) بالعربية، وبه تختتم النسخة العربية من التوراة.

يتبوأ هذا السفر مكانة خاصة في علم التوراة انطلاقاً من حقيقة عدم وجود أي دليل على توظيف العهد القديم لاسم علم بهذه الصيغة بما أقنع علماء التوراة بأن بني إسرائيل لم يعرفوا نبياً بهذا الاسم، وأن الشخصية المركزية في هذا السفر هي رمزية.

يتبين من تحليل محتويات السفر أنه يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً، وأنه يحوي مجموعة من الأقوال جمعت ووضع لها العنوان الذي هو الجملة الأولى من الإصحاح الأول، أي «وحي كلمة يهوه لإسرائيل عبر ملاكي» - أي (رسولي)، والمستقاة من الإصحاح ٣ : ١.

يبدأ هذا السفر بكلمات تتضمن تهديداً أو تحذيراً وضعت في الإصحاحات ١ : ٢ ـ ٤ : ٤ ، ويتحدث عبرها المخاطب أو النبي بالنيابة عن يهوه شاكياً من الكهنة الذين أهملوا واجباتهم التي يفرضها عليهم منصبهم الديني ، وكذلك من استفحال الطلاق والتشكيك في يهوه . وتنتقل الشكوى إلى مسألة امتناع العامة عن تقديم الضريبة العشرية . ومن الواضح أن التبشير بقدوم النبي إيليا يوم الحساب والوارد في الإصحاح ٤ : ٥ إضافة لاحقة للنص .

٣ ـ كتب

٢٧) المزامير

يطلق على السفر الأول من قسم «كتب» الاسم مزامير، وبلغة التوراة «تهليم»[٧٠]، ويحوي مائة وخمسين مزموراً، والتي تختلف محتوياتها في الترجمة اليونانية عن رديفها في النص المعتمد. وتعتبر مسألة تقسيم هذه المزامير من المشاكل المعقدة في علم التوراة، لكن هناك نوعاً من الاتفاق بين أهل الاختصاص على تقسيمها إلى خمسة أجزاء أو مجموعات رئيسية مرتبة وفق جملة تكرر في نهاية المجموعة ، أي (آمين آمين) .

يعرف الجزء الأول من هذا السفر باسم «مزامير داود» ، والتي وُضِعَت في الإصحاحات ١ ـ ٤١ . أما الإصحاحات ٤٢ ـ ٨٣ فتسمى في هذا العلم بـ«مزامير إلوهيم» ، لأنها تطلق على الذات الإلهية الاسم (إلوهيم) ـ في الترجمة العربية «الله» .

يضم الجزء الثاني الإصحاحات ٤٢ ـ ٧٢ ، بينما يحوي القسم الثالث الإصحاحات ٧٣ ـ ٨٩ . أما المزامير ٧٣ ـ ٨٣ فتعرف باسم «مزامير آساف» ، بينما يطلق على الإصحاحات ٨٤ ـ ٨٨ اسم «مزامير قورح» . الجزء الرابع يضم الإصحاحات ٩٠ ـ ١٠٦ ، وتسمى الإصحاحات ٩٣ ـ ٩٩ باسم «مزامير يهوه/ الملك» . الجزء الخامس والأخير من المزامير يضم باقي الإصحاحات، أي ١٠٧ ـ

١٥٠ ، ويقسم إلى «مـزاميـر المـديـح» المسجلة في المقـاطع ١١١ ـ ١١٨ و١٤٥ ـ ١٥٠ ، وكذلك «مزامير الحج» المعطاة الأرقام (١٢٠ ـ ١٣٤).

بتحليـل السفـر يظهـر أن بعض محتوياته تتناقض هي أيضاً مع بعض المسائل المشار لها في إصحاحات سابقة . فالمزمور ٣٤ يسجل على سبيل المثال أنه (لداود عند تظاهره بالجنون أمام أبيمالك)[٧١]، وهي إشارة لحادثة مسجلة في سفر صموئيل الأول ٢١ : ١١ ـ ١٦ . لكن الأخير يورد أن تصرف داود الآنف الذكر كان أمام أخيش ملك جت. كما تحوي المزامير تعليمات دينية ليس لها علاقة بداود، ومن ذلك على سبيل المثال مايرد في المزمور ٤٠ من أن تقديم الذبائح لم يعد أمراً مُهماً ، والذي هو إشـارة واضحـة إلى محتـويـات الخطاب المنسوب لصموئيل الوارد في سفر صموئيل الأول ١٥ : ٢٢ ـ ٢٣ .

ومما يساعد في التثبيت من المرحلة التاريخية التي كتبت فيها بعض من هذه المزامير، الإشارة إلى أن تلك التي تحمل الأرقام ٧٤ ، ٧٩ و٨٩ ، تطالب بإعادة بناء أورشليم التي دمـرت على يد قوات نبـوخـذنصـر البـابلي عام ٥٨٦ ق . م ، أي بضعة مئات من السنين بعد وفاة داود.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المزامير تحوي نُظم وفق الترتيب الأبجدي ، أي (ء، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط. . . . إلخ) . وهذه المزامير هي ٩/ ١٠، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩ ، و١٤٥ . كما توجد العديد من المزامير المكررة في السفر نفسه، وهي التالية:

المزمور ١٤	مكرر في المزمور ٥٣ .
المزمور ١٨	مكرر في سفر صموئيل الثاني ٢٢ .
المزمور ٤٠ : ١٤ ـ ١٨	مكرر في المزمور ٧٠ .
المزمور ٥٧ : ٨ ـ ١١	مكرر في المزمور ١٠٨ : ١ ـ ٥ .
المزمور ٦٠ : ٦ ـ ١٢	مكرر في المزمور ١٠٨ : ٧ ـ ١٣ .
المزامير ١٠٥ + ٩٦ + ١٠٦	مكررة في سفر أخبار الأيام الأول ١٦ : ٨ ـ ٣٦ .

سوف لن أذهب أبعد من هذا لأن المسألة على جانب كبير من التعقيد.

٢٨) سـفـر أيـوب

الكتـاب الثـاني في مجمـوعـة «كتب»، هو السفـر الـذي يحمـل اسـم أيـوب «ءيـوب». وبنـاء على أصله الـوارد في الإصحـاح ١ : ١، يتبين أن الـرواية عن هذه الشخصيـة منتحلة من محيـط بني إسـرائيـل. السبب يكمن في أن الـرأي التقليدي يحـدد «أرض عوص» بمنطقـة شرقي فلسطين[٧٢]. وممـا يؤكـد طبيعـة شخص أيوب عدم ورود إسم يهوه في الجزء الرئيسي من السفر، ويقتصر ذلك على المدخل ١ ـ ٢ والخـاتمـة الـواردة في الإصحـاحات ٤ : ٧ ـ ١٧. وبغض النظر عن الهوية الحقيقية لصاحب السفر، فإننا مدينون للعهد القديم لأنه حفظ لنا تراثـا أضحى فيه أيوب مثلاً للرجل المؤمن الصابر على المصائب ـ قارن الإصحاحات ١ ـ ٢ ؛ ٤٢ : ٧ ـ ١٧، وكذلك سفر حزقيال ١٤ : ١٤، ٢٠.

يتشكـل سفـر أيـوب من مدخـل نثري وُضع في الإصحاحات ١ ـ ٢، وكذلك أبيات شعر في المقاطع ٣ : ١ ـ ٤٢ : ٦، وأخيراً الخاتمة في ٤٢ : ٧ ـ ١٧.

يتحدث المدخل عن تعرض أيوب لاختبار السماء عبر مجموعة من المصائب التي أُلحقت به من قبل الشيطان، وبموافقة من يهوه إله التوراة. وفي الأجزاء الثلاثة ٣ ـ ١١ ؛ ١٢ ـ ٢٠ و٢١ ـ ٢٧ يتنـاقش أيـوب مع ثلاثـة أصـدقـاء حول مغـزى هذا العذاب. لكن القسم الأخير تعرض لتحرير مُكَثَّف بما شوه أسلوبه بطريقة تظهر حتى في النص المترجم.

وبينمـا يعبـر أيـوب في هذه المناقشات عن قناعته بعدم وجود سبب لمعاناته، يُبدي أصـدقـاؤه الـرأي التقليـدي المتمثـل في القـول بأن الحظ وسوءه هما نتيجة تصـرفـات الفـرد. ويعقب ذلك شكوى في الإصحاحات ٢٩ ـ ٣٠. ويتبعها بتحدي لإلهه في القسم ٣١.

ومن الـواضـح أن الإصحـاح ٢٨ الذي ينقل أغنية عن الحكمة وكلام اليهوبن زرخئيـل البـوزي[٧٣]، مُدخـل على النص الأصلي. وتنقـل الإصحـاحات ٣٨ ـ ٣٩ جواب إلـه أيـوب بمثـال الخَلق، مبيناً جهالة الثاني، يعقبها منطقياً اعتراف أيوب في

الإصحاح ٤٠ : ٣ ـ ٥ بضعف قدراته كبشر. وفي مواجهة الخطاب الثاني لإلهه، والواردة في الإصحاحات ٤٠ : ٦ ـ ٤١ : ٢٦، يعلن أيوب خضوعه التام لربه.

وهناك تشابه بين بعض محتويات سفر أيوب وكتب توراتية أخرى. ومن ذلك على سبيل المثال الإصحاح ٣١: ٧ ـ ٣٤ من جهة، وبين المزمور السابع المنسوب لداود من جهة أخرى. وهذا دليل جديد على أن الكثير من هذه المزامير ليست من نظم الأخير، وإنما منسوبة له.

وحيث أن القسم الأخير من المنظومة يشير إلى عودة الحظ إلى أيوب، يبدو أن الشاعر الذي نظم هذه الملحمة الدينية أراد القول بأن الرب يهتم دوماً بأمور ماخلق. ويرى أهل الاختصاص أن الأقسام المنظومة في الإصحاحات ٣: ١ ـ ٤٢ : ٦ تعود إلى الفترة الواقعة بين القرن الخامس والثالث قبل الميلاد.

٢٩) أمثال

يطلق على السفر الثالث من قسم «كتب» اسم (أمثال)، بلغة التوراة «مشلي»، والتي يعود جامعوها ومحرروها إلى كل من سليمان بن داود وحزقيال(٧٤)، لكن أهل الاختصاص يرفضون هذا القول ويثبتون تسجيله لمرحلة مابعد السبي.

يحوي السفر مجموعة من الأقوال ذات ضروب متباينة تتراوح بين الأمثلة الشعبية وحتى الشعر المنظوم. ويقسم أهل الاختصاص هذه الأقوال إلى تسعة أجزاء(٧٥). كما يرى أهل الاختصاص في المجموعة ٣٠ : ١ ـ ١٤ تأملات وصلوات؛ ٣٠ : ١٥ ـ ٣٣ أمثلة عددية؛ وتحذير للملوك بأن يقودوا حياة استقامة في الإصحاحات ٣١: ١ ـ ٩. ويضاف لذلك أمثلة أبجدية لسيدة البيت الفطنة في الإصحاحات ٣١: ١٠ ـ ٣١؛ أنظر الإصحاحات ١ ـ ٩ التي تحوي صلاة تحذيرية من الآثام والطلاق .والمرأة الأجنبية الغريبة. ويبدو من صيغة الحديث في الإصحاحات الأخيرة أن المتحدث إمرأة ـ أنظر على سبيل المثال الإصحاح السابع.

يحوي الجزء الرئيسي من السفر، أي (الإصحاحات ١٠ ـ ٢٩)، أمثلة مكونة

من سطـر واحـد ـ مثـلاً ١٦ : ١٠ ـ ٢٢ ؛ وأمـثـلة من سطـريـن أومقطعـيـن في الإصحاحات ٢٣ : ١٧ ـ ٢٤ : ٢٢ ، لكنها مُجَمْعة دون أي مبدأ . ويستثنى من ذلك المقاطع ١٦ : ١٠ ـ ١٥ و٢٥ : ١ ـ ٧ ، والتي يبدو أنها أمثلة ملوك . كما يحوي السفر قسماً كبيراً مخصصاً للأشعار ـ مثلاً المقاطع ٢٤ : ٣٠ ـ ٣٤ ، وعن مدمني الخمر في الإصحاحات ٢٣ : ٢٩ ـ ٣٥ .

ويطلق التراث الديني اليهودي على الأسفار الخمسة التابعة من جزء كتب اسم «اللفـائف» ، والـوارد ذكـره في الإصحـاح ٣٦ من سفـر إرميـا ، والمتـرجم للعـربيـة (درج سِفـر) ـ بلغة التوراة «مجلت سفر» ـ (بـالسـامـك) . ويضم هذا القسم الأسفـار التي تحمـل اسم راعوث ، أنشودة الأناشيد ، جامعة ، مراثي إرميا وأستير . وقد وضعت هذه الأسفار في قسم خاص ومنفصـل لأنهـا لاتحـوي أي تأويـل تاريخي ، وكذلك لكونها تُقرأ في احتفالات دينية خاصة سيتم التعامل معها لاحقاً .

٣٠) سـفـر راعـوث

يحمـل السفـر الأول في مجمـوعـة «لفـائف» اسم روت (روت) ـ في الترجمة العربية (راعوث) ، ومشكل من أربعة إصحاحات .

يستمـد هذا السفـر اسمـه من الشخصية الرئيسية فيه أي روت مؤابية الأصل ، وتدور أحداثه إبان عهد القضاة ، أي قبيل قيام مملكة داود . ولايوجد في هذه القصة الطـريفـة مايستحق البحث ، ويبـدو أن الهدف الرئيسي من إدخالها في العهد القديم التذكير بأن أصل داود بن يسي كان مؤابياً ، آخذين بعين الاعتبار أن روت كانت جدته الأولى . أي أن داود كان ابن يسي بن عوبيد إبن روت من زواجها بالشخص المسمى بوعز ـ «بعز» من عشيرة أبيمالك . وأعتقد أن سبب إلحاق هذا السفر بالعهد القديم هو تبرير تعاون داود مع المؤابيين إبان خلافه ومحاربته لشاول ، وهو أمر تم التعامل معه في قسم سابق من هذا الفصـل . هذا لابـد من أخـذه بعين الاعتبـار خاصـة أن سفـر التثنية ٢٣ : ٣ يمنع قبول انضمام المؤابيين إلى بني إسرائيل .

كما ويتعامل هذا السفر مع مسألة الموحدين الذين لم يعرفوا إلههم باسم يهوه، ويحرض على ضرورة معاملتهم بالمثل. وحيث أن هذه المسألة معقدة سأتعامل معها تفصيلياً في فصل لاحق. ومن الجدير بالذكر أن هذا السفر يُقرأ في «عيد السبوت»[٧٦] الذي يعتبر يوم ولادة ووفاة داود.

٣١) أنشودة الأناشيد

يطلق على السفر الثاني في مجموعة «لفائف»، إسم (أنشودة الأناشيد)[٧٧]، المنسوبة لسليمان بن داود، وهو الرأي غير المقبول من أهل الاختصاص آخذين بعين الاعتبار أن القبول بقدسية السفر بقي حتى القرن الأول محط جدل بين مختلف الطوائف اليهودية.

يحوي هذا السفر مجموعة من الأشعار الغزلية التي يمكن وصف البعض منها بالإباحية من وجهة النظر الدينية. ويبدو أن هذا الرجز أو الشعر كان يغنى في الأعراس ذلك أنها تتحدث جميعاً عن غرام رجل وامرأة. ورغم محاولة بعض علماء التوراة تأويل هذه الأشعار دينياً، والتعامل مع المتغزل كيهوه والمتغزل بها إسرائيل، تبقى الحقيقة أنها شعر يتغزل من خلالها الشاعر بحبيبته أو معشوقته[٧٨]. كما تنقل هذه الأشعار في المقاطع ١ : ٢ ـ ٤ ؛ ٣ : ١ ـ ٥ ؛ ٧ : ١١ ـ ١٣ و٨ : ١ ـ ٤ شوق الحبيب للاتحاد بحبيبته، وكذلك مدى تأثير الحب على العاشق ـ أنظر الإصحاحات ٨ : ٦ ـ ٧[٧٩].

٣٢) سفر جامعة

السفر الثالث في مجموعة «مجلة» أو «لفائف»، يحمل اسم (جامعة) ـ بلغة التوراة «قهلت».

يتكون السفر من ١٢ إصحاحاً ويقرأ في عيد اليهودية المسمى «حج هسكوت» ـ (بالسامك)، أي (عيد المظال)[٨٠]. ومن المفيد التذكر بأن هذا السفر، مثل باقي أسفار المجموعة، لا يذكر اسم إله التوراة يهوه.

يستقي هذا السفر اسمه من الكلمة الثانية في السفر والتي تعني (رئيس تجمع، منادي) ـ بالعربية الجنوبية «قهلت/ قهل»، بمعنى (اجتماع، مجمع، جماعة دينية)[٨١]. وحيث أن السفر يسجل أن هذا القهل هو ابن داود، فقد أخذ على أنه إشارة لسليمان، لكن هذا الرأي مرفوض من قبل علماء التوراة الذين يحددون كتابته في القرن الثالث قبل الميلاد. وانطلاقاً من حقيقة احتواء السفر للكثير من مبادىء الفلسفة اليونانية، فإن بعض أهل العلم يفضلون تأريخه لفترة الحكم السلوقي، أي بعد العام ١٩٧ ق.م.

يضم هذا السفر مجموعة من التأملات يقوم فيها القهل أو الناسك بدور المتشكك، ويعلن فيها رأيه بعدم إمكانية التعرف على قانونية الظواهر الطبيعية وبعدم إنتفاع الإنسان من عمله. أي أن الكاتب ينقل الرسالة بعدم إمكانية التعرف على حكمة إلهه. لكن الكاتب لا يشكك في الأخير رغم أنه أضحى بعيد المنال، لذا لايبقى أمام الإنسان سوى الابتهاج بقبول ماأعطي له ـ أنظر الإصحاحات ٣: ١٢ - ١٣ و٩: ٧ ـ ١٠.

٣٣) مراثي

السفر الرابع في مجموعة «لفائف» هو (مراثي إرميا). وتعيد اليهودية هذا الكتاب للنبي إرميا، ربما بسبب إشارة الإصحاح ٣٥: ٢٥ من سفر الأيام الثاني إلى (مراثي إرميا)[٨٢]. أما الاسم الأصلي للسفر، أي «ءيكه»، فهو الكلمة الأولى في الإصحاح الأول والمترجمة للعربية (كيف)، علماً بأن المفردة تستخدم أيضاً للتأوه، أي (آخ) بالعربية. وينظر لهذا السفر على أنه مرثاة لتدمير أورشليم أولاً على يد قوات بابل، ثم على يد القوات الرومانية. لذا فإن الاحتفال به يعتبر بالإضافة إلى رأس السنة المسمى «يوم كفور»، أي «يوم الكفارة» أو «يوم الغفران»، أهم أيام الصوم في تيار اليهودية السائد حالياً والمعروف بالفريسي[٨٣] وبمقارنة أسلوب النص في الأصل فإن هناك قناعة بأن السفر يعود لمجموعة من المؤلفين.

تقسم المراثي إلى خمسة إصحاحات! ويطلق على الأربعة الأولى منها اسم

«الأغاني الأبجدية» لأنها مرتبة اصطناعياً وفق الأبجدية ـ أي، «بجد هوز حطي» . . إلـخ. وتشكـل الأحـرف الأولى من كل جملة من النص الأصلي للإصحاح الخامس جملة قائمة بذاتها.

موضوعة المراثي هي أورشليم الأرملة (١ : ١ ـ ٢٢)؛ أورشليم المدمرة (٢ : ١ ـ ٢٢)؛ شكاوي الأفراد (٣ : ١ ـ ٦٦)؛ مصير الأطفال وخطايا الأنبياء والكهنة التي قادت للكارثة (٤ : ١ ـ ٢٢)، أخيراً مصير الشعب ككل في الإصحاح الخامس والأخير.

٣٤) سـفـر أسـتـير

يستمـد السفـر الخـامس والأخيـر في مجمـوعـة «لفـائف» اسمه من شخصيته الـرئيسيـة المسمـاة أستيـر، والتي يطلق عليهـا أيضـاً إسم هدسة ـ «عستر/ هدسه»ـ بالسـامـك. ولاينقـل العهـد القـديم أيـة معلومة عن هذه الشخصية سوى أنها كانت عذراء وجميلة من يهوذيي السبي؛ هذا رغم تذكر كاتبيه بأن عمها مردكاي (مردخاي) ابن يائـير بن شمعي بن قيس كان رجـلاً يمنيـاً ـ من سبـط بنيامين؛ يمني؟ على أية حال يسجل هذا السفر نجاح أستير في كسب ود إمبراطور فارس الذي تسميه التوراة أحشـويـروش[٨٤]، وصعـودها في بلاطه لتضحي زوجته المحظية وتنقذ أبناء ملتها من تآمـر الـوزير الفارسي هامان عليهم. وينقل السفر أنه بعيد تمكنها بمساعدة من عمها مردخـاي من إحبـاط تلك المؤ امـرة لتصفيـة اليهـوذيين في الإمبـراطورية الفارسية، استحصلت إذناً بتصفية كافة أعداء يهوذا هناك. وبمناسبة هذا النصر، تم تثبيت عيد الفوريم[٨٥]، كأحد الطقوس الجديدة في الديانة النامية التي تعرف الآن باسم اليهـوديـة. ومن الجـديـر بالـذكـر أن سفر المكابيين الثاني ١٥ : ٣٦، والذي هو من الأبـوكـريفـا، يطلق على هذا اليـوم اسم «يـوم مردخاي». وعلى الرغم من أن العهد القديم يسجل أن هذا اليوم (١٤ / ١٥ آذار) يحتفل به لتذكر إنقاذ اليهوذيين من تآمر أعـدائهم داخـل الإمبراطورية الفارسية ـ أنظر الإصحاح ٩ : ١٧ ـ ٣٢، إلا أن علماء التـــوراة لايقبلون بذلـك ويعيـدون أصـولـه لعيـد الـربيـع في فارس. كمـا أن أهـل

الاختصاص على قناعة بأن هذا السفر الذي لايحوي أي إشارة لإله التوراة، سجل في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بهدف وضع أرضية شرعية للاحتفال بعيد الفوريم - صيغة الجمع من «فور». كما وأنهم يجمعون على أن أستير هذه هي شخصية غير تاريخية. ومن الجدير بالذكر أن اسم عم أستير هذه، أي مردخاي، يُذَكِّرنا فوراً بالإله البابلي مردوك. وبالإضافة لذلك، فإن الاسم (أستير) هو شكل من كلمة «ستري» الفارسية، والتي تعني (عذراء)[٨٦]، هذا عدا عن حقيقة أن اسم الوزير (هامان) هو الإسم العيلامي (هومان). في كافة الأحوال من الواضح تماماً أن مضمون السفر مختلق ويفتقد لأية أسس تاريخية.

٣٥) سفر دانيال

يحمل السفر الخامس والثلاثون من العهد القديم اسم دانيال «دني ءل»، ويتكون من ١٢ إصحاحاً، علماً بأن الإصحاحات ٢ : ٤ - ٧ : ٢٨ مسجلة باللغة الآرامية.

يستقي السفر اسمه من الشخصية الأولى في السفر، أي (دانيال)، والذي يوصف في السفر بأنه وأصدقاؤه كانوا «فتيانيا من يهوذي السبي البابلي، من نسل الملوك - أي داود (ز. م) - لاعيب فيهم حسان المنظر حاذقين في كل حكمة وذوي فهم بالعلم»[٨٧]. ويفيد السفر بأن دانيال عمل كمستشار لبابل والماديين والفرس مقدماً لهم بذلك الدعم الإلهي.

يعتبر الجزء المسجل بالآرامية هو الأقدم، والذي أضيف له مقدمة بلغة التوراة. أما القسم الثاني، أي الإصحاح ٧ - ١٢ المسجل بصيغة المتحدث المفرد، فيعود إلى فترة حكم السلوقيين في فلسطين وأقاليم أخرى من المشرق العربي، وينقل الرسالة بإرادة يهوه بتعاقب حكم بابل والماديين والفرس والإغريق على العالم. ويستخدم هذا السفر من قبل البعض لحساب يوم القيامة عبر تقديم تفسيرات مختلفة للمالك المذكور فيه... إلخ.

٣٦) سـفـر عـزرا

السفـر السـادس والثـلاثون من العهد القديم يحمل اسم عزرا ـ «عزرء» الذي على ماتقـولـه التوراة، كان كاهناً عمل ككاتب في بلاط ملك فارس كورش ـ الأول؟ (٤٥٨ ق.م)، كورش الثاني؟ (٣٩٨ ق.م).

من الجـديـر بالـذكـر أن العهـد القـديم يعيد أصول عزرا إلى الكهنة من بيت هارون، ويسجل اسمه الكامل (كذا) عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا بن شلوم بن صادق بن اخيطـوب بن أمـريـا بن عزريـا بن مرايـوث بن زرحيـا بن بزي بن بقي بن ابيشـوع بن فينحـاس بن العـازار بن هرون الكـاهن[٨٨]. ووفق مايـرد في السفر، فقد سُمح لعزرا بالتوجه إلى أورشليم لبناء؟ إعادة بناء؟ الهيكل. كما يفيد السفر بأن عزرا توجه إلى هناك مع مجموعة من أتباعه في موكب يشابه في وصفه موكب خروج موسى من مصـريم، ثم تسلَّم موقـع الكاهن الأعظم لبني ملته. ويورد الإصحاح الثامن من سفر نحميا بأن عزرا تلى على يهوذيي السبي الملتئمين في اجتماع حاشد بأورشليم سفر شريعة موسى. ويعتبر هذا العمل ذا مغزى لأنه إدخال لقوانين التثنويين الذين تم إنجازه في بابل، ولأنه أضحى قانوناً مُلزماً للديانة اليهوذية أو اليهودية. ولا يورد العهد القديم أية معلومات إضافية عن عزرا أو مصيره.

يتكـون سفـر عزرا من قسمين متبـاينين عن بعضهمـا البعض يضم أولهمـا الإصحـاحـات ١ ـ ٦ والتي تتحـدث عن عودة المسبيين إلى أورشليم والمصـاعب السيـاسيـة التي واجهت عزرا، وأخيراً تدشين الهيكل في الأقسام ٦ : ١٣ ـ ١٨. أما الإصحاحات ٧ ـ ١٠ فتتناول نشاط عزرا في أورشليم.

أمـا أهـل الاختصـاص فيشكون بأنه وجد في الأصل سفر منفصل يحمل اسم عزرا، ويـرون أن هذا الكتـاب كان ملحقـاً أوجزءاً من سفر أخبار الأيام الثاني ـ قارن عزرا ١ : ١ ـ ٣ مع سفـر أخبـار الأيـام الثـاني ٣٦ : ٢٢ ـ ٢٤. كمـا يبدو أن جزءاً من السفر قد فصل وألحق بسفر نحميا ـ الإصحاحات ٨ ـ ١٠.

المـلاحظـة الأخيـرة الـواجب تذكرها في هذا المجال هي أن التأريخ في هذا السفر غير واضح على الإطلاق.

٣٧) سـفـر نحميا

يحمـل السفـر السابع والثلاثون اسم شخصية من يهوذا هي نحميا بن حكليا ـ «نحميه بن حكليه» ـ نحميا ١ : ١، والذي كان ساقياً لملك فارس أرتحشستا. ويفيد سفر نحميا أن الأخير حصل على إذن من إمبراطور فارس بترميم سور أورشليم.

تشكـل المـذكـرة المسجلة في الإصحـاحـات ١ ـ ٦؛ ١٢ : ٢٧ ـ ٢٩ و١٣، أسـاس السفـر حيث يقـدم فيـه تقـريـراً لإلهـه حول إعادة تأسيس أورشليم[٨٩]، ومن الـواضـح أن هذه الأقسـام أضيفت لجـزء «العمل التاريخي التأريخي» بهدف إعطاء الانطبـاع بأن الطقـوس الجـديـدة التي أدخلهـا عزرا إرتبطت زمنيـاً وتاريخياً بالنشاط السياسي. ومن الجدير بالذكر أنه باستشارة النسخ الأقدم من سفر عزرا، يتبين أن هذه الأقسـام فصلت من هنـاك وأضيفت كالإصحـاح العاشر من سفر نحميا. الهدف من وراء هذا التـلاعب الـواضح في ترتيب ومحتويات السفرين إعطاء انطباع بأن مشاركة عزرا ونحميـا اللذين يعتبـران الشخصيتان الأهم ليهوذيي السبي، شكلت ذروة ولادة إسرائيل الجديدة بعد السبي.

٣٨ و٣٩) سـفـرا أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني

أما سفرا أخبار الأيام الأول والثاني ـ «دبري هيميم ء و ب»، فيقع ترتيبهما في نهاية النسخة الأصلية من العهد القديم. ومن خلال تحليل لغة وأسلوب النص هناك قناعة بأن السفرين جُمعا وكُتبا في القرن الرابع قبل الميلاد.

تتعامل الإصحاحات ١ ـ ٩ من سفر أخبار الأيام الأول مع خلق البشر من آدم وحتى نسـل بني إسـرائيـل إنتهـاءاً بشاول، بينما تخصص الإصحاحات الأحد عشر التـاليـة لعهد داود. وتنقل الإصحاحات ٢٢ ـ ٢٦ الاستعدادات لبناء هيكل يهوه إبان عهد سليمان، بينما تنقل الإصحاحات ٢٧ ـ ٢٩ تعليمات داود النهائية وحتى وفاته.

ويلاحظ أن القسم الأكبر من سفر الأخبار الأيام الثاني، أي التسعة إصحاحات

الأولى، مخصصة لفترة حكم سليمان، بينما تتعامل باقي الإصحاحات وعددها سبعة، مع مجمل تاريخ يهوذا. كما ويلاحظ أن الإصحاح ٣٦ : ٢٢ - ٢٣، يقفز إلى مرحلة الحكم الفارسي وبناء الهيكل في أورشليم. كما وقد تم تجاهل تاريخ مملكة إسرائيل بشكل كامل في هذا السفر، مُثبتاً بذلك أن الأخيرة لم يكن لها علاقة بيهوه وعبادته من وجهة نظر كاتبي ومحرري العهد القديم.

وعلى الرغم من أن السفر يدعي بالبدء من عهد شاول، إلا أن المصادر الموظفة فيه لاتعود لتلك المرحلة. كما تم سحب كافة الملاحظات السلبية عن كل من داود وسليمان من هذين السفرين. ويبدو أن هدف كاتبيهما تقديم الانطباع بأن عمل الإنسان، وبالتالي الملوك، يتطابق مع نتيجته. لذا فإن كاتبي ومحرري ومصححي السفر أدخلوا العديد من القصص على مصادرهم لتأكيد وجهة نظرهم هذه؛ قارن مثلاً سفر الأيام الثاني ٢٦ : ١٦ - ٢١ مع الملوك الثاني ١٥ : ٥؛ سفر الأيام الثاني ٣٣: ١١ - ٢٠ مع الإصحاح ٢١ : ١٠ - ١٨ من سفر الملوك الثاني.

وينقل سفر أخبار الأيام الأول في الإصحاح ٣ : ١٠ - ١٦ أسماء ملوك يهوذا ابتداءاً من رحبعام، لكنه لايذكر يهوحاز بن يوشيا المفترض أنه حكم في عام ٦٠٩ ق.م! كما ويلاحظ التدخل القوي للمحررين في هذا السفر عبر إدخال تعديلات ذات طبيعة دينية. ومن هذا التدخل السافر تسجيل أن اللاويين هم الذين كانوا حاملي تابوت العهد[٩٠]، مناقضين بذلك ماورد في سفر صموئيل الثاني ٥ : ١٠ الذي يعيد هذا التكريم الديني إلى داود. كما أن هذا السفر غَيْر من عدد الأضاحي الواجب تقديمها - أنظر سفر صموئيل الثاني ٦ : ١٣ بالمقارنة مع سفر أخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٦.

ملاحظة أخيرة بخصوص السفرين، وهي أنهما يشيران إلى أسفار أخرى لايعلم عنها شيء، ومنها التالية:

١) سفر ملوك إسرائيل	أخبار الأيام الأول ٩ : ١.
٢) أخبار صموئيل الرائي	أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩.
٣) أخبار ناثان النبي	أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩.

٤) أخبار جاد الرائي	أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٢٩ .
٥) نبوة أخيا الشيلوني	أخبار الأيام الثاني ٩ : ٢٩ .
٦) رؤى يعدو الرائي	أخبار الأيام الثاني ٩ : ٢٩ .
٧) أخبار شمعيا النبي وعدو الرائي	أخبار الأيام الثاني ١٢ : ١٥ .
٨) مدرس النبي عدو	أخبار الأيام الثاني ١٣ : ٢٢ .
٩) أخبار ياهو بن حناني	أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ٣٤ .
١٠) مدرس سفر الملوك	أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ٢٧ .
١١) سفر موسى	أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٤ .
١٢) أمور عزيا التي كتبها النبي إشعيا بن آموص	أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٢٢ .
١٣) سفر ملوك إسرائيل	أخبار الأيام الثاني ٢٧ : ٧ .
١٤) سفر ملوك يهوذا	أخبار الأيام الثاني ٢٨ : ٢٦ .
١٥) أخبار ملوك إسرائيل	أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٨ .
١٦) أخبار الرائين	أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٩ .
١٧) سفر الشريعة / سفر العهد	أخبار الأيام الثاني ٣٤ : ١٥ .
١٨) كتاب حروب يهوه	عدد ٢١ : ١٤ .
١٩) نشيد القوس	صموئيل الثاني ١ : ١٨ .

بهـذا نكـون قد قدمنـا عرضـاً سريعاً لمحتويات العهد القديم ولأهم المشاكل والمعضـلات التي تجعـل قبوله غير المشروط أمراً غير ممكن. وآمل أن هذا سيسهل على القاريء متابعة الفصول القادمة من هذا المؤلف.

هوامش العهد القديم

١ - في الترجمة التقليدية (يشوع بن سيراخ).

٢ - انظر «رئيسيين» بالعربية.

٣ - من الجدير بالملاحظة ذكر التوراة أن بني إسرائيل عرفوا مجموعة من النبيات مثل خلدة (الملوك الثاني ٢٢ : ١٤)، نوعدية (نحميا ١٦ : ١٤)، زوجة إشعيا (إشعيا ٨ : ٣)، مريم (الخروج ١٥ : ٢٠) ودبورة؟ (القضاة ٤ : ٤). انظر أيضاً سفر حزقيال ١٣ : ١٧ - ٢٣.

٤ - كافة الاستشهادات من التلمود البابلي المسجل باللغة الأصلية إلى جانب الترجمة الألمانية، والصادر تحت عنوان : Der Babylonische Talmud- «Mit Einschluss der Vollstaendigen Mischnah». By: Lazarus Goldschmidt. Berlin& Wien 1925.

٥ - كان من الكهنة الأرستقراطية الفريسية، واسمه الأصلي (يوسف بن مطاتي / ٣٧ - ١٠٠م). قاد إحدى المجموعات اليهودية في التمرد ضد القوات الرومانية بمنطقة الجليل شمالي فلسطين والتي كان حاكماً لها. عندها غير من ولائه وانضم للقوات الرومانية عام ٦٧ وأخذ الاسم اللاتيني لسيده حيث أضحى يعرف باسم يوسفوس فلافيوس.

٦ - انظر الملحق عن الموضوع.

٧ - أو ٧٠ شخصاً في فترة سبعين يوماً.

٨ - أي (يهودية).

٩ - أنظر (يرأس) بالعربية.

١٠ ـ مؤسس هذه النظرية المستشرق وعالم التوراة الألماني يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen وسجلها في كتاب (مدخل لتاريخ إسرائيل ـ Prolegomena to the History of Israel)، لايبزغ ١٨٨٢ . وقد تعرض هذا المستشرق وعالم التوراة الرائد إلى هجوم عنيف من قبل الكنيسة، كما واتهم بالتهمة إياها، أي «معاداة السامية». بعد هذا الهجوم، ترك علم التوراة وتفرغ لأبحاث عن العرب ما قبل الإسلام. أما نظريته فقد أخذ بها عالمياً بعدئذ، واستمرت بحيث أنها ماتزال المرجع الأساسي لعلم التوراة حتى الآن.

١١ ـ أنظر أيضاً يشوع ١٧ : ١ ـ ٣.

١٢ ـ الاسم اليوناني هو السبتواجنت ـ Septuagenta ، ويرمز لها بالرقم اللاتيني LXX .

١٣ ـ في النص العربي المترجم، دائماً (مصر).

١٤ ـ ٧٨٧ ـ ٧٤٧ ق.م.

١٥ ـ مثلاً سفر نحميا ٨ : ٩.

١٦ ـ قارن العهد القديم، سفر ٢ كورنثوس ٣، وعبرانيين ٨ : ١٣ .

١٧ ـ اسمها الكامل BIBLIA HEBRAICA Stuttgatensia .

١٨ ـ هناك عمل مسهب عن الموضوع موجه للمتخصصين من تأليف ج. ألبيرتو سوجين، أستاذ اللغة والأدب «العبري» في جامعة روما بإيطاليا. ورغم أن المؤلف تقليدي، إلا أنه يحوي العديد من المعلومات المفيدة. كما أن هذا الكتاب مفيد من ناحية أنه يظهر مدى تغلغل الفكر السياسي التعسفي في علم التوراة. فبغض النظر عن إعلاناته التسامحية تجاه الإسلام، قرر الكاتب، كغيره، تجاهل إسهامات الدكتور الصليبي لعلم نقد التوراة. وبالإضافة لذلك، فإن ألبيرتو سوجين لم يقم حتى بمحاولة لفت انتباه القارىء للفرق بين بني إسرائيل وبين اليهود، رغم إن هذه المسألة لانقاش حولها أبداً في هذا العلم. أما النقطة السلبية الثالثة التي أود لفت الانتباه إليها، فهي تصريحه الوارد في ص ١٦٤ ـ ١٦٦ من المؤلف المذكور في نهاية هذه الملاحظة بأن الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، وعلى عكس دول الإقليم، ذا طبيعة علمانية (كذا). وحيث أن موضوعة هذا العمل، علم جغرافية التوراة، وليس بيانات سياسية، فإنه لامجال للتعامل مع هذه المسألة. لكن من الواجب التذكر أن فكرة تأسيس دولة لليهود هي نتاج الحركة الصهيونية والتي هي أقصى درجات تسييس

الـدين. فالصهيـونية حركة دينية أصولية، وليس أي شيء آخر. في الوقت نفسه، من المعـروف أن مصـادر القـوانين الاجتمـاعيـة في الكيـان الصهيـوني نابعة من المشنا والتلمـود. أمـا الخطـان الأزرقـان اللذان تتـوسطهمـا نجمـة سداسية على علم هذا الكيـان، فيشيـران إلى نهـري النيـل والفرات؛ قارن الترجمة التقليدية لسفر التكوين ١٥ : ١٨. النقطة الأخيرة التي أود الإشارة لها هي أن الآباء الأولين للصهيونية قرروا إعطاء كيانهم الاسم «إسرائيل»، وليس «يهوذا»، لأن الأول، وعلى عكس الأخير، ذا محتوى ديني ـ أنظر سفر التكوين ٣٢ : ٢٧ ـ ٢٨. أما إسم الكتاب فهو: Jiu Alberto Soggin: «Introduction to the Old Testament» from the Italian. Louisville, Kentucky 1989.

١٩ ـ قارن (برأس) في اللغة العربية.

٢٠ ـ في النسخة العربية المترجمة يسجل الاسم دوماً (مصر).

٢١ ـ حتى «هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت».

٢٢ ـ المقصود بالطبع «شرقي الشفا».

٢٣ ـ تعتبر اليهودية (خيمة الاجتماع) أصول لمجلس الكهنة الأعلى المسمى السنهدرين. أنظر الملاحظة عن المادة في الملحق في نهاية المؤلف.

٢٤ ـ بلغة التوراة «حج قصير»، أنظر بالعربية «القصيل»، بمعنى (ماقتطع من الزرع أخضر).

٢٥ ـ «حج هـ ء سف / بالسامك».

٢٦ ـ «حج شبعت»، قارن بالعربية «سبعة».

٢٧ ـ «يوم كفور».

٢٨ ـ في النص الأصلي، «موعد فصح ليهوه».

٢٩ ـ في النص التوراتي «روش هشنت».

٣٠ ـ المسمى «يوم كفورة ـ أنظر بالعربية «القفر» بمعنى (السّتْر)، والمعروف تقليدياً باسم (يوم الغفران).

٣١ ـ «حج هسكوت»، بالسامك.

٣٢ ـ في النسخة الأصلية «دبريم»، بمعنى (كلام) بالعربية.

٣٣ ـ ««مشنه هتوره».

٣٤ ـ أي التوراة.

٣٥ ـ أنظر فصل لاحق عن مسألة المتحولين.

٣٦ ـ باستثناء الإصحاحات ١ : ١ ـ ٤ : ٨ الحاوية خطاباً منسوباً لموسى.

٣٧ ـ أنظر أيضاً سفر التثنية ٨: ٣٢.

٣٨ ـ في الترجمة التقليدية «الأردن».

٣٩ ـ من المفيد الإشارة هنا إلى أن طقوس تعيين الملك وفق رواية العهد القديم، كانت تتم عبر مَسح رأس المُرشح بالزيت المقدس، ومنها بدأت صفة المسيح وتطورت.

٤٠ ـ الإصحاحات ٦ ـ ٨.

٤١ ـ أنظر قسم «المعضلات البنيوية والخلفية التاريخية».

٤٢ ـ يفترض أنه حكم في السنوات ٧٢٥ ـ ٦٩٧ ق.م. ـ أنظر سفر الملوك الثاني ١٨ : ٣ و٥.

٤٣ ـ أي «يوم القيامة».

٤٤ ـ في الترجمة العربية، (الفلسطينيين).

٤٥ ـ أنظر سفر الملوك الثاني ١٨ : ١٣، ١٧ ـ ٢٠ و١٩.

٤٦ ـ إشعيا ٤٥ : ١.

٤٧ ـ أنظر أشعيا ٤١ : ١٧ ـ ٢٠، ٤٩ : ١٤ ـ ٢٦ و٥٢: ١١ ـ ١٢.

٤٨ ـ في التوراة «صيون»، أما النطـق العربي فمأخوذ من الشكل الآرامي.

٤٩ ـ مثلاً الإصحاحات ٤٤: ٩ ـ ٢٠ و٤٦: ٥ ـ ٨.

٥٠ ـ أي بدءاً من (من الضيقات الأولى).

٥١ ـ أنظر أيضاً إرميا ٢٣ : ١ ـ ٤، ٢٤؛ ٣٠: ٨ ـ ٩؛ ٣١ : ٢١ ـ ٣٣ و٣٢: ٣٧ ـ ٤١.

٥٢ ـ أعتقد أن المقصود هنا المتنبئون أو المنجمون.

٥٣ ـ «هوشع بن بءري».

٥٤ ـ الإصحاح الأول.

٥٥ ـ مثلاً الإصحاح ٩: ١١ ـ ١٣.

٥٦ ـ الإصحاح ٢ : ٢٠ ـ ٢٧.

٥٧ ـ Apocalyptic literature.

٥٨ ـ «عموس» ـ بالسامك.

٥٩ ـ في الإصحاحات ٧: ١ ـ ٣؛ ٤ ـ ٦؛ ٧ ـ ٩؛ ٨: ١ ـ ٣ و٩: ١ ـ ٤.

٦٠ ـ مثلاً عاموس ١: ١ و٧: ١٠ ـ ١٧.

٦١ ـ في النص الأصلي، «مكيهـو بن يلمـه». أمـا تحـول حرف الكاف إلى خاء فناتج عن تبني العلماء للنطق الآرامي للحرف.

٦٢ ـ قارن ميخا ١: ١.

٦٣ ـ في النسخة العربية «السامرة».

٦٤ ـ «نحوم هـءلقوشي».

٦٥ ـ الإصحاحات ٢: ٤ ـ ١٤؛ ٣: ١ ـ ٧ و٨: ١٧.

٦٦ ـ الإسم في النص الأصلي يرد بصيغة «صفنيه بن كوشي بن جدليه بن ءمريه بن حزقيه».

٦٧ ـ قارن الإصحاح ٢: ٢٠ ـ ٢٣.

٦٨ ـ في الترجمة العربية، «الفلسطينيين».

٦٩ ـ الإصحاح ١٢: ١ ـ ٨.

٧٠ ـ قارن المفردة العربية (تهاليل).

٧١ ـ في الترجمة العربية، (عندما غير عقله).

٧٢ ـ وهناك من يحددها باليمن.

٧٣ ـ الإصحاحات ٣٢ ـ ٣٧.

٧٤ ـ الإصحاح ٢٥: ١.

٧٥ ـ الإصحاحات ١ ـ ٩؛ ١٠: ١ ـ ٢٢: ١٦؛ ٢٢: ١٧ ـ ٢٤: ٢٢؛ ٢٤: ٢٣ ـ ٣٤؛ ٢٥ ـ ٢٩؛ ٣٠: ١ ـ ١٤؛ ٣٠: ١٥ ـ ٣٣؛ ٣١: ١ ـ ٩، وأخيراً ٣١: ١٠ ـ ١٣.

٧٦ ـ أنظر الملحق.

٧٧ ـ أو (نشيد الإنشاد)، في النسخة الأصلية، «شير هشريم».

٧٨ ـ أنظر مثلاً الإصحاحات ٤: ١ ـ ٧؛ ٦: ٤ ـ ٧ و٧: ١ ـ ٦.

٧٩ ـ أنظر أيضاً كمال الصليبي: التوراة جاءت.... ص ٢٨١ ـ ٢٩٣.

٨٠ ـ أنظر سفر عزرا ٣: ٤.

٨١ ـ بالعربية «قهل» هو (اليُبْسَ من العبادة)، أي زاهد أو ناسك.

٨٢ ـ بلغة العهد القديم «قينوت» ـ قارن في العربية (القنوط)، أي اليأس من الخير.

٨٣ ـ أنظر الملحق عن المسألة.

٨٤ ـ ٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق.م.

٨٥ ـ من الجدير بالذكر أن كلمة «فور». هي المفردة الأكادية الآشورية «فو ـ رو»، بمعنى (وعاء)، لكنها وظفت في العهد القديم بمعنى (قرعة) ـ أنظر مثلاً أستير ٣: ٧ و٩: ٢٤.

٨٦ ـ وهناك رأي بأن الاسم (أستير)، هو نفسه (الإلهة عشتار).

٨٧ ـ أنظر الإصحاح ١: ٣ ـ ٤.

٨٨ ـ في النص الأصلي: «عزرا بن سريه بن حلقيه بن شلوم بن صدوق بن محيطوب بن ءمـريه بن عزريه بن مريوت بن زرحيه بن عزي بن بقي بن ءبيشوع بن فنحص (بالسامك) بن ءلعزر بن ءهرون».

٨٩ ـ أنظر الإصحاحات ٣: ٣٦ ـ ٣٨؛ ٥: ١٩؛ ٦: ١٤ و١٣: ٣١.

٩٠ ـ سفر أخبار الأيام الأول ١٥: ٢٧.

الفصل الثاني

عبريون

أ) مدخل

يسود اعتقاد عام بأن شعب التوراة المسمى إسرائيل/ بني إسرائيل هو مجموعة إثنية أو عرقية عبرية تُعرف الآن باسم اليهود، والذين حافظوا على نقائهم العرقي عبر عشرات القرون. وقد تعودت آذاننا على سماع مصطلحات مثل «اللغة العبرية»، و«الشعب العبري» وما إلى ذلك، واختُرِق وعي الإنسان العادي بمفاهيم أقل ما يقال عنها أنها غير علمية. كما تنضح أجهزة الإعلام بمختلف ضروبها وألوانها وإنتماءاتها القومية والسياسية، بمصطلحات منها «الدولة العبرية» للدلالة على الكيان الصهيوني، بما يعني أن هذا المصطلح يعني في نظر مطلقيه أن سكان فلسطين المحتلة من غير العرب، هم نفسهم العبريون أو العبرانيون. وبكلمات أخرى، فمن الواضح أن المفردة «عبري» «عبراني» تستخدم كاسم جنس. لكن القبول بتطابق المصطلحات الثلاثة، عبرانيين، بني إسرائيل، يهود، يعني الانصياع للمقولة بأن اليهودية ديانة مبرمجة لتناسب عقلية عنصر بشري محدد، ولا يمكن استيعابها من قبل آخرين؟

وحيث أن هدف العمل ليس البحث في شعارات، فمن الضروري التعامل مع هذه المسألة عبر إستشارة العهد القديم نفسه، وبكل الانفتاح العلمي المطلوب.

ينقسم «علم نقد التوراة» بخصوص معنى «العبريين»، فبينما يشدد قسم من أهل الاختصاص بأن المقصود اسم جنس لمجموعة إثنية محددة، يرى اتجاه آخر أنه مصطلح يشير إلى بدو أو أعراب - أي اشتقاق من الفعل «عبر» الذي يرد في العهد القديم بمعنى عَبَرَ. أي أن الاتجاه الأخير لا يرى أي أصول عرقية أو إثنية مشتركة لـ«عبريين»، وإنما وصف لحالة اجتماعية محددة. وهناك اتجاه ثالث في علم التوراة يرى وجوب البحث في المعنى الصحيح لـ«العبريين» في المفردة «عَبْر» بمعنى «الطرف الآخر»، وهو فعل مشهود بهذا المعنى في التوراة وفي اللغة العربية. هذه التعددية في الآراء تثبت ضمن أمور أخرى بأن المفاهيم التقليدية للعهد القديم ما تزال عاجزة عن تقديم حل متماسك للموضوع، بما يستوجب إعادة قراءة النصوص التوراتية ذات العلاقة، وبأكبر قدر ممكن من الانفتاح الذهني والتجديد اللغوي.

ومما يزيد من تعقيد قبول لامشروط لأي من الآراء السائدة، درج الكثير من أهل الاختصاص على خلط العديد من المصطلحات ببعضها البعض متجاوزين بذلك حداً أدنى ومعقولاً من القواعد العلمية. والنتيجة المتوقعة هي أن معظم الكتابات الحالية في الموضوع أضحت أكثر مدعاة للارتباك منها للتنوير. لذا فإن الفهم الصحيح للعهد القديم يستدعي في هذا المقام التعامل ببعض الإسهاب مع بعض المصطلحات ذات العلاقة بما يسهل مسألة استيعاب ماأرادت التوراة نقله لنا عن هذه المسألة، ومن ثم التعرف الصحيح والدقيق على أصول بني إسرائيل. أي أن حسم هذه القضية علمياً يلزمنا بأن نترك للتاريخ في التوراة بأن يبلغنا ماإذا كان له دراية بأية معلومات عن المصطلحات الثلاثة عبريين، بني إسرائيل ويهود. وحيث أن موضوعة العمل تنطلق من أن المحيط الجغرافي للعهد القديم كان جنوب غربي جزيرة العرب، فإن هذه القراءة يجب أن تتم ضمن البيئة الاجتماعية هناك. وسأعمل في الصفحات التالية على تقديم قراءتي مستعيناً ببعض النصوص التوراتية بلغتها الأصلية بهدف التوصل لفهم المعنى الصحيح لبعض القصص المرتبطة بالموضوع، وشرح مالم يفهمه جامعو التوراة ومحرروها، أو مالم يرغبوا في فهمه.

لكن حيث أنـه عثـر على نصـوص أثـرية تعود لبعض ممالك المشرق العربي القـديمـة تشيـر إلى مجمـوعـات من النـاس عُرفت بأسمـاء مختلفـة مثـل «عفرم»، «خبيرو»، «خفيرو»، س ء. ج ءز»، «عفر. و»، والذين يعتقد بعض أهل الاختصاص بأنهم اكتشفـوا فيهم «العبـريين»، وجب أولاً إلقـاء نظـرة أقرب عليهم، للتعرف على هويتهم لحل هذا الإشكال بما يمكننا من التفرغ لبحث موضوعة الفصل الرئيسية.

تفيد العديد من النقوش القديمة المؤرخة ابتداءاً من الألف الثانية قبل الميلاد بوجـود مجمـوعـات من اللصـوص وقطاع الطرق والمرتزقة في المشرق العربي كانت تعيش على هامش المجتمـع. وقـد عُرفت هذه التجمعـات في النقـوش السـومـريـة العـائـدة للفتـرة الـواقعـة بين الأعوام ٢٠٥٠ ـ ١٩٣٠ و١٩٣٠ ـ ١٦٩٧ ق.م، باسم «س ء. ج ءز». وقـد تبين من تحليـل النصـوص ذات العـلاقة، بأن المجموعات آنفة الـذكـر كانت تتقاضـى أجراً عينياً عن الخـدمـات التي كانت تؤديها، أي أنها كانت مجمـوعـة من المـرتزقة المعتمدة على المملكة القديمة لكسب قوتها اليومي. وهناك من أهل الاختصاص من يرى أن الاسم السومري «س ء. ج ءز»[1] مُشتق من المفردة الأكـاديـة «شجـج ءشو» بمعنى (قتلة). كما قُريء الاسم أحياناً «خبب ءتو»، بمعنى (لصوص)، (بدو رحل).

وبمقـارنـة «قوائم الآلهة الحثية»، و«قائمة الضرائب» الأوغاريتية، اقتنع بعض أهـل الاختصـاص بأن المجموعات التي عُرفت بالاسم السومري «س ءز. ج ءز» هي نفسهـا المشـار إليهـا بالاسم الأكـادي خفيـرو «خ ء ـ في ـ رو»، و«خبيـرو»، والـذي يسجل أحياناً «خ ء ـ بي ـ ري»، «خ ء ـ ء ـ بي ـ رو» و«خ ء ـ ء ب ـ بي ـ ري». لكن بعـد مقـارنـة النقـوش المصـريـة والأوغـاريتية التي يرد فيها الاسم، رفض الكثير من العلمـاء قبـول الـرأي القائل بأن الاسم (خبيرو) هو نفسه (خفيرو)، لأنه لم يعثر على برهـان لغـوي مقنـع بحـدوث ظاهـرة قلب بين حرفي البـاء والفاء في لغات المشرق العربي القديمة.

وهنـاك اتجاه في هذا العلم يرى أن الاسم «خبيرو» مشتق من المفردة «حبر»، بمعنى (يربط)، (يوصل)، أو من المفردة «عبر» بمعنى (عَبَرَ)، بما يعني أن المقصود «حبـريم»، أي (المتحـالفين)، أو «خبـريم» بمعنى (البـدو المتنقلين). ويرى اتجاه

آخر أن المعنى الصحيح للاسم «عفر»[٢] هو (مُغَبَّرين). وانطلاقاً من حقيقة أن البدو، أي العرب، في حالة ترحل مستمرة، فقد أوّل ممثلو هذا الاتجاه المعنى ليشير إلى «بدو رُحَّل». ومن الجدير بالذكر أنه تمت قراءة الاسم بصيغته الأخيرة في نصوص مملكة ماري[٣] العائدة للنصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، والتي فهم منها أن المقصود بذلك مرتزقة أو عصابات تتعيش من نهب المدن.

ويعود الـ«خفيرو» للظهور من جديد في نصوص عديدة تعود إلى مملكة ألالاخ[٤]، حيث يسجل النص المؤرخ في القرن الثامن عشر قبل الميلاد توقيعهم لاتفاقية سلام مع حكم تلك المملكة، بما يظهر أنهم شكلوا حينئذ قوة عسكرية هامة ومستقلة. كما يعود الـ«خفيرو» للظهور من جديد في نصوص المملكة ذاتها والعائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهذه المرة كقوة عسكرية متمركزة في المدن، حيث عُرف أن بعضاً منهم كان ينتمي لطبقة الكهنة، ويتم مدحهم في نص ثالث لاستضافة الملك المعزول إدرمي.

أما النصوص العائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد والتي عثر عليها في مدينة بوزي الواقعة في القطر العراقي، فتظهر أن الـ«خفيرو» وضعوا أنفسهم كأشخاص أو مجموعات بتصرف الدولة كمرتزقة وخدم، بينما تثبت وثائق أخرى أنهم كانوا رقيقاً وظفوا في الخدمة المنزلية.

وتعود هذه المجموعات للظهور من جديد في «رسائل العمارنة»[٥] العائدة للنصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م، بصيغة «س ء. ج ء ز». ويرى أهل الاختصاص أن تلك الوثائق تظهر تشكلهم من أمراء وسكان مدن، أي أنهم كانوا من أهل الحواضر. كما وتبين تلك الرسائل أن تلك المجموعات، والتي رأى فيها أهل الاختصاص نفس «خفيرو» النصوص الأكادية، أنهم لم يكونوا متمردين فحسب، وإنما وظفوا أيضاً كمحاربين مرتزقة مما جعل كاتبي الرسائل نعتهم بصفة (كلاب) و(كلاب ضالة)[٦]. أما النقوش الحثية فتشير إلى «س ء. ج ء ز» كمجموعة طبقية صُنفت بين «النبلاء» والعامة.

كما عُثر على إشارة لـ«عفرم» في النصوص الأوغاريتية[٧] فُهم أن المقصود بها

جمـاعـات مستقـرة المسكن تدفع الضرائب، وأن رئيسهم الموصوف بـ«رب عفرم»، كان يتمتع بموقع محدد في إدارة المملكة.

وتسجـل النقـوش المصـريـة العـائدة للفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثاني عشر ق.م، وجود مجموعة مشابهة من السكان المحليين في فلسطين؟ أطلق عليهم اسم «عفـر. و»، كجمـاعـة من الـرقيق والعملة الأسـرى، وقـد سجـل الأثـر المسمى، «نقش أمنوفيس»، أخذ ذلك الملك المصري مجموعات من الـ«عفر. و» كأسرى وأحضارهم لمصر.

بغض النظـر عمـا إذا كانت النصـوص التـاريخيـة الأثـريـة آنفـة الـذكـر تشير لمجموعة واحدة أو أكثر، يتبين بجلاء أن المصطلح أو الاسم لم يوظف للدلالة على مجموعة إثنية معينة مرتبطة بموقع جغرافي محدد. في الوقت نفسه فإن كافة النقوش آنفة الذكر لاتحوي أي إشارة كانت إلى أحداث أو أمور ورد ذكرها في العهد القديم. هذا كله يقود إلى أن الرأي القائل بأن هذه المجموعات هي فعلا «العبريون» لايستند إلى أيـة براهين مبـاشرة كانت أو ظرفية بما يبرر إهماله الكامل. بالتالي يمكننا التفرغ تالياً لبحث المقصود بـ«عبِري» كما هو وارد في النصوص الأصلية للعهد القديم.

ب) العـبريون في العـهد القديـم

يقول الرأي التقليدي بأن جذور إسرائيل / بني إسرائيل، تعود لمجموعات أو قبائل عبرية عُرفت في التوراة باسم «عبريـم»، وأن الأخير ومشتقاته المكرر ٣٤ مرة في العهـد القـديم، هو إسم مجموعـة إثنيـة محـددة انتسبت لجد أعلى اسمه (عابر / عبـر)[٨]. وممـا شجع بعض أهل الاختصاص على التمسك بهذا الرأي وصف العهد القـديم لابـرام بأنه «العبري»[٩] كما إكتسب هذا الرأي دعماً إضافياً من التوراة، ومن سفـر التكـوين ١٠ : ٢١ و٢٤ تحـديـداً لأنـه يقـول بأن سام هو (أبـو كل بني عابـر)، وكـذلـك يذكر جداً أعلى باسم عابر «عبر»، الـذي هو إبن شالح. ومن المهم الآن التـذكيـر بأن المصطلح «ءبـرم هعبري» والمترجم إلى «أبرام العبري» لا يرد سوى مرة واحدة؛ فقط في سفر التكوين ١٤ : ١٣.

لكن بمراجعة «السبعونية»، نجد أنها تورد المصطلح آنف الذكر ٢٨ مرة فقط، حيث فُهم أن المقصـود بالمقـاطـع الستة الباقية «عبديم»، بمعنى (عبيد)، و(مارَّة / عَابرين). أي افتراض حدوث خطأ إبان نقل النص الأصلي بسبب التشابه بين حرفي الـدال والـراء في لغـة التـوراة، أو أنه كان لديهم نسخة أخرى من كتابهم المقدس، وهذه مسألة هامة. ذلك أن التناقض بين النسختين يظهر أن المعنى لم يكن واضحاً لرجال الديانة اليهودية حتى في تلك الفترة المبكرة.

لكن هل هذا صحيـح؟ أي هل من الصحيـح النظـر إلى المفـردة «عبـري / عبـريم» كاسم جنس منسـوب إلى عابـر، والـذي أعطى اسمـه لنسله من بعده الذين عرفو كشعب «عبريين»؟

للوهلة الأولى يبدو أن لاغبار على الفهم التقليدي للنص، لكن القراءة الدقيقة للعهد القديم باللغة الأصلية ستوضح إن وجد فعلاً شخص باسم «عابر» في تاريخ الأسباط بشكل عام، وفي (قوائم الأجداد) أو (الأباء الأولين) بشكل خاص، أو أن وجد شعب باسم العبريين تميز عن محيطه البشري بخصائص إثنية محددة. وحيث أن الأمر لا يمكن حله بالتخمين، فمن الأفضل أن نترك للتوراة نفسها أن تعطي الإجابة التي يمكن إستقاؤها عبر قراءة نقدية للنصوص التي ترد فيها الإشارة إلى (عابر) و(عابريين)، والمسجلة في سفري التكوين وأخبار الأيام الأول. هذا يعني ضرورة أن نترك للنصوص نفسها أن تبوح لنا بما تحويه من معلومات عن المسألة، ودون أن نحاول إجبارها على الإفضاء بما لاتتضمنه. قبل ذلك من الضروري لفت الانتباه إلى أنه عندما يتحدث العهد القديم في (قوائم الأجداد) عن أبناء وآباء وأجداد، فإن المقصود بهم تفرعات قبيلة وليس أشخاصاً حقيقيين.

يرى كاتبو ومحررو العهد القديم بشكل عام، و«قائمة الأجداد» أو «الآباء الأولين» الوارد ذكرها في سفر التكوين ١٠ : ١ ـ ٤ تحديداً، بأن أصول البشرية تعود لأبناء نوح الثلاثة الذين تسميهم سام «شم»، حام «حم» ويافث «يفت»، والذين تفرقت منهم الأمم والشعوب. لكن بإلقاء نظرة تفحصية على القائمة التي هي جزء من واحدة أطول مذكورة في المقطع ١ ـ ٢٩ من نفس الإصحاح، نلاحظ فوراً أنها مركبة من نصوص أو تقاليد متباينة دمجت من قبل المحرر لإعطاء الانطباع بوحدة أصولها. ومما يؤكد ذلك انتقال أسلوب رواية الإصحاح ١٠ : ١٥ ـ ١٨ المخصص لسرد أسماء أبناء كنعان من ذكر الأسماء المجردة إلى عرضها بصيغة النسبة؛ قارن الانتقال من الأسماء الجغرافية مثل صيدون «صيدن» وحثا «حت» المسجلة دون أداة التعريف، إلى صيغة النسبة وبأداة التعريف، أي اليبوسي «هيبوسي ـ بالسامك»، الأموري «هءمري»، الجرجاشي «هجرجشي» إلخ. كما أن إقحام نص يحوي وصفاً لتخوم الكنعاني «هكنعني»، في الإصحاح ١٠ : ١٥ قبل الانتهاء من عرض الأسماء، هو قطع لسلاسة الرواية بما يعطي برهاناً إضافياً على تلاعب التقليد «المحرر» بالنص. وهنا يبدو أن المحرر الذي لم يستوعب أصلاً معنى المفردة

«عبري»، حاول فرض فهمه الشخصي له، أولنقل أنه حاول إعطاء الانطباع بأنه فهم المفردة كاسم جنس.

وبمتابعة قراءة المقاطع ١٠: ٢١ - ٢٩ من نفس الإصحاح والمخصصة لتسجيل أسماء أبناء سام التوراة، نلاحظ أن الجملة الأولى تقطع من جديد بالتعليق بأن الأخير هو (أبو كل بني عابر) - في النص التوراتي، «ءبي كل بني عبر» - قارن هذا مع سفر التكوين، الإصحاح ١٠: ٢، ٦ - ٧. إن هذا القطع المزاجي والتعسفي لسلاسة النص يستدعي الاستجواب العلمي لصحة هذا الادعاء، أي هل كان سام هذا هو فعلاً (أبو كل بني عابر). برأيي أن الإجابة هنا بالنفي. ودون الغرق في تفاصيل مملة، فلو كان سام فعلاً جداً أعلى لشعب عرف بالاسم «عبري»، فقد كان من المنطقي أن يوسم «عابر» هذا في المقطع ذاته بأنه «سامي»، وذلك نسبة إلى الجد الأعلى «سام»، وهذا مالم يحصل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه لايوجد أي مبرر منطقي لحصر وصف سام بأنه (أبي كل بني عابر)، وتجاهل أنه «أبو» باقي «الأبناء» المذكورين في القائمة. ويضاف لذلك حقيقة هامة أخرى هي أن تعليق المحرر بأن - «سام أبو كل بني عابر» - أقحم قبل أي ذكر للابن المزعوم، وقبل استعراض باقي أسماء «أبناء» سام[١٠]. هذا عدا عن حقيقة أن النص لايصف أياً من «ابني» عابر، أي فالج ويقطان، وأبناء الأخير[١١]، بأنهم (عبريون)، بما يؤكد أن هذا التقليد حاول إيهام القارىء بأن المقصود اسم جنس وحصره في مجموعة قبلية محددة كذلك.

برأيي أن الحقائق آنفة الذكر تبين أن «المحرر»، حار في أمر المفردة «عبري»، بما دفعه لإستباق أي اجتهاد مستقل بالخصوص عبر اقحام جد أعلى باسم عابر. هذا مكنه من فرض رأيه بخصوص المعنى المقصود، والتمويه على القاريء عبر إعطاء الانطباع بأنه إسم لشعب أو قبيلة انتسبت لجد أعلى بالاسم. لكن هذا الفهم لم يتمكن من السيادة دون معارضة حيث أشرت آنفاً لفهم مختلف للمسألة في «السبعونية».

ويتجدد تجلي التلاعب الفاضح للـ«محرر»، بالنص الأصلي من خلال قراءته بلغة التوراة، والوارد على نحو: «ولشم يلد جم هوء ءبي كل بني عبر ءحي يفت هجدول»، والتي وجب أن تترجم للعربية على نحو (ولسام يولد كثير هو أبو كل بني

عابر أخويافت الكبير»[٢٢]. ويتضح من تركيب الجملة أن المحرر أدخل التعليق (أبو كل بني عابر) بطريقة خرقاء تفتقد للرشاقة اللغوية بعثرت بنية الجملة، بما يظهر جهله ليس بمعنى «عبري» فحسب، وإنما أيضاً بقواعد لغة التوراة. فلو كانت الجملة بشكلها الحالي فعلاً أصيلة، لكانت قد سجلت على نحو «وشم ءحي يفت هجدول، هوء ءبي كل بني عبر، ويلد جم»، بمعنى (وسام أخويافت الكبير هو أبو كل بني عابر، وخلف كثيرين).

كما ويلاحظ أن إدخال التعليق «أن شالح وَلَدَ عابر» جاء بعد انتهاء النص الأصلي في المقطع المخصص لسرد أسماء أبناء وأحفاد سام التوراة في الإصحاح ١٠ : ٢٣ من سفر التكوين. في هذه الحالة، وجب تسجيل أن «عابر» كان (شالحي / شلحي) نسبة إلى أبيه، لكن هذا أيضاً لم يحصل بما يثبت عدم ثبات رأي التقليد المحرر هنا على معنى محدد للمصطلح.

وفي حالة التعامل مع القائمة ١٠ : ٢١ ـ ٣٠ كوحدة متكاملة، فإن المنطق يقول بأن «سام»، وليس «عابر»، كان الجد الأعلى، لأن اسم الأخير يرد في وسط القائمة. فمنطقية التسلسل كانت تقتضي وصف عابر بأنه «سامي»، لأن التوراة تقول أنه كان (أبو كل بني عابر).

ويزداد الأمر اتضاحاً في الإصحاح ١١ : ١٠ ـ ٢٦ من سفر التكوين الذي يذكر أسماء أجداد «العبريين» وغيرهم، وهم باختصار سام، أرفكشاد، شالح، عابر، فالج فلج»، رعو «رعو»، سروج «سروج»، ناحور «نحور»، وأخيراً تارح «ترح». ويضيف الإصحاح بأن الأخير خلف بدوره كلاً من أبرام «ءبرم»، ناحور «نحور»، وهاران «هرن». وهنا يلاحظ أن النص لايقول بأن سام هو (أبو كل بني عابر)، بل يذكره كفرد في سلسلة طويلة، هذا عدا عن إحجامه عن وسم باقي الأبناء والأحفاد بما فيهم أبرام و«أخواه» ناحور وهاران بأنهم (عبريون)، أوحتى تاريحيون) ـ نسبة لأبيهم. كما يتجنب النص تسجيل بأن تارح كان (عبرياً). هذا أمر جدير بالملاحظة ويبين بما لايدع للشك أن راوي أومُحرر هذا المقطع لم يكن لديه أي علم بأن (عبري) هواسم شعب، وهذا ماجعله يتجاهل المسألة كلياً. وهذا برهان جديد على

أن العهـد القـديم لا يعـرف شعبـاً أومجموعة إثنية باسم «العبريين» ، عدا عن أنه لم يوجد جَد أعلى باسم عابر.

وبـإلقـاء نظرة تفحصية أخرى على «قوائم الأجداد» أو«شجرة العائلة» العائدة لأبرام وأخويه ناحور وهاران، نلاحظ قول سفر التكوين ١٠ : ٢٢ أنه كان لسام خمسة أبناء، هم عيلام، أشور، أرفكشاد، لود وأرام، بينما لايعرف سفر التكوين ١١ : ١٠ سوى اسم ابن واحد هو أرفكشاد، بما يوضح مجدداً الخلط المتعمد لقوائم مختلفة. وحيث أن سفر أخبار الأيام الأول ١ : ١٧ ينقل معلومة بأن أبناء سام لـم يكونوا خمسة، وإنمـا تسعـة، وهم عيـلام، أشـور، أرفكشـاد، لود، أرام، عوص، حول، جاتـر ومـاشـك، فإن هذا يحسم بأن النصـوص التي تحـوي «قوائم الأجداد»، مشكلة من عدة روايـات متبـاينـة المحتـوى، وأنها أدمجت ببعضها البعض بهدف نقل الانطباع بوحدة الرواية وأصول شعوب التوراة.

كمـا أن تسجيـل سفـر التكـوين في الإصحاح ١٠ : ٢٤ ـ ٢٥ معلومة بأن عابر خلف «إبنين»، هما فالج ويقطان، يتناقض مع معلومات سفر التكوين ١١ : ١٦ عن وجـود ابن واحـد لعـابر هو فالج. وهذا إثبات إضافي على عملية الدمج المتعمدة من قبـل «المحرر» لنصوص متباينة بهدف إعطاء انطباع بأن (عبري) هو اسم جنس يشير لمجموعة إثنية محددة.

هذه من ناحيـة، ومن ناحيـة أخرى، فإن مسايرة محرري العهد القديم وقوائم الأجـداد تحـديـداً التي أُدخلت بشكل اعتباطي في التوراة، تستدعي متابعة التعرف على باقي أبناء عابر المزعومين لإثبات أن المصطلح لايحمل أية معان إثنية أو قومية. فعلى سبيل المثال، يسجل العهد القديم في سفر التكوين ١٠ : ٢١ بأن سام هو(أبو كل بني عابـر)، ثم يستـرسـل في عرض الأسمـاء التي يصل عددها إلى ٢٥ شعباً أو قبيلة، لكن دون وصف أي منها أبداً بأنها (عبرية)، وهذه مسألة تدعو فعلاً للعجب. برأيي أن التقليد «المحـرر» الـذي لم يفهم معنى «عبـري»، لم يحـاول فرض رأيـه بخصوص المعنى فحسب، وإنما حاول حصره في مجموعة محددة.

في كافة الأحوال، سيزداد وضوح هذه المسألة في الصفحات التالية، لذا فإني سأتجنب الاستـرسـال في المـوضوع لتفادي أي تعقيد في ذهن القارىء. المهم في

الأمـر هو تبيين أن بعض رواة ومحـرري العهد القديم الذين ووجهوا بمعضلة المصطلح أو المفـردة «عبـري» ، رأوا أن المقصود جد أعلى سمي (عابر) ، مما جعلهم يضيفون اسمه حيث أمكن في بعض «قوائم الأجداد» . لكن هذا التحرير أنجب محاولة شرح قسـريـة ومصطنعـة تظهـر فوراً للقاريء . أو لنقل أن بعض محرري التوراة فهموا أن المقصـود بـ(عبـري / عبـريـون) شعب أو قبيلة انتسبت لجـد أعلى باسم عابر، بما جعلهم يدخلون تعليقـاتهم على النصـوص آنفة الذكر. وحيث أنه تم تسجيل التوراة في بابل بعيداً عن البيئة التي نشأت فيها بجزيرة العرب ، ومن قبل أجيال لم يكن لها درايـة بالمحيـط الحضـاري الـذي نشأ فيـه الأسبـاط ، فإن الكثيـر من المصطلحات والمفردات كانت مبهمة المعنى بالنسبة لهم مما استدعى إضافة تعليقات بين الحين والآخـر. إذن ، إن النصـوص التي تشير إلى جد أعلى باسم عابر هي إضافات لاحقة من قبل «المحرر» ، ولايمكنها بالتالي أن تكون مرجعاً في البحث عن أصول الاسم أو المصطلح «العبريون» .

لكن إذا نظـرنـا لهـذه القوائم بالمقارنة مع المجتمع العربي في الجزيرة عشية الإسـلام وبعـده ، والـذي حافـظ على خصـائص ثابتـة لعشرات القرون ولم يتعرض لمؤثرات خارجية إلا أخيراً ، فإنه يضحي بالإمكان التعرف على جذور نشوء (قوائم الأجـداد) أو (قـوائم الآبـاء الأولين) هذه ، واستيعـاب أسبـاب الاختـلافـات بينها . وإليكم اجتهادي بخصوص المسألة .

من الحقـائق المعـروفـة لأي باحث في تاريـخ الإقليم قبل الإسلام أن الاسم «عـرب» ، لم يوظف من قبــل سكـانـه للتعـريف بأنفسهم ، هذا رغم أنـه ورد عنـد الآشـوريين والإغـريق من بعـدهم ، للدلالـة على سكـان جزيرة العرب الرُحل ، وقد تعـاملت ببعض الإسهـاب مع هذه المسألـة في مؤلفي الأول عن جغـرافيـة التوراة . وبـالاستيقـاظ الأولي للوعي القـومي العـربي إبان مواجهة سيف بن ذي يزن للحبشة الغـازيـة ، ووصـولـه لذروته بالإسلام والانقسام حول مسألة السلطة بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب ، فإن بعض القبائل أو التحالفات القبلية العربية المحكومة بالعقلية العشـائـريـة رفضت المجتمـع الجديد حديث التكون مبررة معارضتها هذه ومطالبتها بمـوقـع قيـادي فيـه عبـر «العـودة» لأصولها ، حقيقية كانت أو وهمية . هذا قاد بطبيعة

الحـال إلى بروز العـديـد من (قـوائم الأجداد) أو (الآباء الأولين) عند بعض العرب، والتي تتضـارب فيمـا بينها. فإذا أخذنا حالة (القحطانيين) الذين قُسموا إلى (العرب النزارية) و(العرب اليمانية)، وعُرفوا بأنهم «العرب العاربة»، يُرجع الإخباريين الاسم إلى قحطان بن عابر بن شالخ. . إلخ؛ قحطان بن هود بن شالخ. . إلخ؛ قحطان بن هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد. . إلخ؛ قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسمـاعيـل؛ قحطـان بن يمن بن قدار. كمـا أن بعض الإخبـاريين العـرب جعلوا لقحطـان المـزعوم عدة أبناء منهم يعرب، جرهم، لؤي (لاويي العهد القديم)؟، خابر (خبيـرو النصـوص القديمة المشار لهم آنفاً)؟، التلمس، العاض، غاشم، المعتصم، يأمـن، يغـوث، هذرم، ظالم، المـوداد[١٣] يكلأ، غوث. . إلـخ. أمـا «العـرب المستعـربـة»، أي (العـدنـانيـون)، فقد نسبهم الإخباريون إلى عدنان وأبنائه يشجب، حيـدان، وائـل، كعب، جنادة. . إلخ. ومن الجدير بالذكر أن قوائم «الآباء الأولين» للعرب تتباين عن بعضها البعض تبعاً لانتماء الراوي أو عواطفه. هذا لايعني أبداً أن أسباب بروز قوائم الأجداد عند العرب وفي التوراة متطابقة، ولكن فقط القول بأنه من الممكن فهم جذور هذا الاتجـاه فقـط عند أخذه ضمن المحيط الحضاري العربي، وضمن نطـاق بيئتـه الأصلية بجزيرة العرب حيث من الواضح أن القبائل أو بعضها لـم يكن لهـا درايـة بأصـول أسمـائها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ظهور قوائم الآباء الأولين عند العرب جاءت رداً على الدول المركزية التي نشأت بالإسلام، بينما ألحقت القوائم بالتوراة بهدف الإيماء بوحدة الأصل.

لقد سجلت هذا لتذكير القاريء بأننا نتعامل مع التوراة كنصوص ذات أصول مختلفة دمجت ببعضها البعض، وقدمت مايكفي من البراهين في مطلع العمل. أما النتيجـة الهـامـة الأخـرى التي استقينـاهـا من إلقاء نظرة نقدية تفحصية سريعة على شجـرة العـائلة المنسوبة لأبرام / إبراهيم، فهي عدم إمكانية فهم التناقضات فيها إلا إذا نظرنا إليها ضمن المحيط الحضاري العربي في موطنه الأصلي، أي في جزيرة العرب.

وقبـل استئنـاف البحث في أصل المصطلح «عبري»، من الضروري تسجيل وجود تيار في علم الإستشراق المعاصر، والذي هو ابن ضال للجيل الأول من مبدعي

القـرن المـاضي ، يقـول بأن العـرب إستحدثت هذا النسب بعد الإسلام في مواجهة يهود الجزيرة الذين كان لهم كتاب يحفظون فيه أنسابهـم . هناك العديد من الأسباب التي تجعلني أرى أن هذه المقـولـة التي رددت أيضاً في (المفصل في تاريخ العرب قبـل الإسـلام)(١٤) للأستـاذ الـراحل جواد علي ، تحوي قدراً كبيراً من التعسف ، عدا عن إفتقـارهـا لحـد معقـول من البـرهان العلمي والتماسك المنطقي . السبب الأول لعدم إتفاقي مع هذا الرأي هو أن يهود جزيرة العرب وتجويفهـا الشامي لم يشكلوا أية قوة ، أدبية كانت أو مادية ، ليضطر عرب الإسلام لمواجهتهم . هذا عدا عن حقيقة أن العـرب لم ينظـروا لليهـود كمثـل يُحتـذي به ، وليبتـدعوا أصولاً للتعارك ولسفك دماء بعضهم البعض عليهـا . السبب الثـاني هو أن الإسـلام لم ينظـر لليهود على أنهم قوة معنـويـة تحتـاج للمواجهة أو الاحتذاء ، بل أنه فرق تماماً بين بني إسرائيل ، أو بعض منهم ـ (ولقـد آتينـا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) ـ سورة الجاثية / الآية ١٦ ، وبين اليهود(١٥) ـ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ـ سورة المـائـدة / آيـة ٨٢ . وبـالإضـافة لما سبق ، فإنه ماكان للتنافس الدموي الطويل بين تجمعـات قبليـة عربيـة لينـدلع ويستمر لولا وجود أسس له في فكر وعقل حامليه . أما غياب أية آثار أدبية تظهر أن العرب عرفت هذا النسب قبل الإسلام ، وهو القاعدة التي يستنـد إليهـا الـرأي آنف الـذكـر ، فلا يعني شيئـاً . فالعصبية القبلية والافتخار بالآباء والأجـداد ، حقـيقيين كانـوا أو وهميين ، ماكـان لينفجـر في ظل التشـرذم القبلي والعشائري وغياب الدولة المركزية والوعي القومي الجماعي . أما ظهوره بعد الإسلام فقـد كان النتيجـة الطبيعيـة لطرح مسألة السلطة ، أي من سيقود العرب والمسلمين ، وبالتالي سيستحوذ على الثروة الجديدة الهائلة التي أنتجتها الفتوحات .

بالعـودة لمـوضـوع «العبريين» أعتقد أننا أوفيناه تفصيلاً بما يكفي لإثبات أن القوائم آنفة الذكر لاتحوي أي دليل على صحة المقولة بأن أبرام / إبراهيم كانا ذوي انـتمـاء عرقي أو إثني «عبـري» أو غيـره . هذا عدا عن غيـاب حد أدنى معقـول من البرهان العلمي بأن شعب التوراة عرف جداً باسم (عابر / عبر) ، أو أنه كانت للأخير أصولاً إثنية ما .

الآن يمكننـا التفـرغ للتعـامـل مع الـرأي الآخـر في علم التوراة الذي يرى أن

المصطلح (عبــري) هو اشتقــاق من المفـردة التـوراتيـة «عبـر»، أي (عَبَـرَ)، بمعنى (المنتقـل / عربي)، ذلـك أن العهد القديم يسجل أن أبرام / إبراهيم كان في حالة تنقـل مستمـرة، ولنـا عودة لاحقة للمسألة. وحيث أن هدف هذا الفصل ليس البحث في جغـرافيـة المـوضـوع، فسأركـز هنـا على التعامل مع كيفية توظيف العهد القديم للمفردة من خلال التعرف أولاً على معانيها ومشتقاتها. وبما أن العهد القديم لايورد معنىً واضحـاً للمفـردة، وآخـذين بعين الاعتبار ماذكرته آنفاً من أن الترجمات المختلفة لكتـاب اليهـوديـة المقـدس لاتـوافق دوماً على الفهم التقليدي، أجد من الضروري استشارة اللغة العربية لعلها تساعد في حل هذه المعضلة.

لاشك أن المفردة التوراتية «عبر»، مثل رديفها العربي (عَبَرَ)، تعني (التنقل، المـرور)، وكثيراً ماوظف العهد القديم هذه المفردة للدلالة على المعنى الآنف الذكر. وبمـراجعـة القواميس العربية المتخصصة، يتضح هذا الأمر حيث نقرأ أن (عَبَرَ) تفيد العـديـد من المعـاني منها «الاعتبار»؛ «القطع من مكان إلى آخر» ـ أي «المار». أما «العبـار» فهي (الإبـل القوية على السير). كما نعلم أيضاً أن «الرجل العَبْرُ والعِبْر» هو (الجريء على الأسفار الماضي فيها القوي عليها). ويضاف لذلك أن «العُبْر» يعني (الكثير من كل شيء، وقد غلب على الجماعة من الناس)، وكذلك (السحائب التي تسيـر سيـراً شديـداً). ونـلاحظ أن هذه المصطلحات أو المفردات، تحمل مضمون الحركة في معانيها.

لكن المعـاجم تضيف أيضـاً أن «العَبرْ» هو (جانب الشيء، نهراً كان أو واد أو طريق أو غيـره). ومن طريف الأمـور في هذا المجـال، ذكـر أن بعض أهـل الخليـج العـربي يطلقـون على الشخص الـواقف على الطـرف المقـابـل من الطـريق منتظراً لمواصلات تنقله مصطلح (عبري).

وحيث أن المفـردة «عبـر» ومشتقـاتهـا تحمـل أيضـاً مضمـون الحـركة، فمن الضروري التقدم خطوة للأمام والبحث في معنى «عرب» حيث تفيد بعض المعاجم المتخصصـة أنـه اسم جنس، ومن المصـادر التي لا أفعـال لهـا. وقيل أيضاً (أنه إذا أفصـح الـرجـل قيـل له عربي أو عربـاني اللسـان). لكن لم يحصـل إجمـاع بين الإخباريين العرب على أصل التسمية «عرب»، وإن ورد في بعض المراجع أن أجداد

العرب نشأوا بـ(عربة)؛ وهي من تهامة، فنسبوا إلى بلدهم، وقيل أيضاً أن «العربي» هو (من نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً) - (كذا). أما الأعرابي، (فهو من كان بدوياً صاحب نعجة و انتواء وارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث، سواءً كان عربياً أو من مواليهم)! وذهب البعض للقول بأنه إذا قيل للأعرابي ياعربي فرح بذلك وهش له، والعربي إذا قيل له ياأعرابي غضب له!

لكننا لنغفر لأصحاب المعاجم من الإخباريين العرب إنحيازهم لسكان الحضر وتحاملهم على أهل المَدَر، ولنستشر مراجع أخرى.

نحن نعلم أن النقوش العائدة لبعض الممالك المجاورة لجزيرة العرب وظفت المفردة «عرب» للإشارة إلى سكان جزيرة العرب كأعراب. وهذا أمر بدهي لأن السكان المستقرين يُنسبون وينتسبون إلى مدنهم أو إلى الأقاليم التي ينتمون إليها. ومن الأمور المعروفة أن العربي يأنف من صفة «الأعرابي»، ويرجع انتماءه لقبيلته أو عشيرته. فإذا ضربنا صفحاً عما تقوله المعاجم التي وضعت من قبل مؤلفين حضر، ونظرنا إلى الوضع العملي، فإننا نعرف أن التعبير الموظف لوصف البدو الرحل هو (عرب)، ومن ذلك على سبيل المثال عرب السعديين، عرب الطياحة، عرب الأحيوان، عرب التعامرة، عرب الكعابنة . . . إلخ، وكلها من قبائل جنوب فلسطين. ومن المعروف أن ابن خلدون وظف المفردة «عرب» للدلالة على البدو[١٦]. وهذه مسألة حاسمة بالنسبة لهذا البحث لأن العهد القديم لا يشير إلى أي من أفراد الأسباط إلا بإلحاق انتمائه القبلي، أو بذكر اسم المدينة أو الموقع الذي جاء منه، وهذه مسألة جديرة بالملاحظة. وحيث أننا لاحظنا أن العرب لم تُعرف نفسها بالاسم إلا بعد الإسلام، وأنه وُظِّف قبل ذلك للدلالة على أهل البادية الرحل أو المنتقلين، أي وصف لحالة اجتماعية معينة وليس اسم جنس، فهذا يوضح برأيي أن (عرب) و(عبر) كانا، وإلى حد ما، مازالا مصطلحين مترادفي المعنى في اللغة العربية. ومنعاً لأي التباس، أسجل هنا أني أوظف المفردة (عرب) في هذا القسم من العمل كمصطلح لدلالة على الأعراب، وليس كاسم جنس.

هذا يعني أنه من الخطأ إهمال الاحتمال القوي والمبرر علمياً بأن

المصطلحين (عـرب) و(عبـر)، وُظِّفتا في التوراة للدلالة على معنى واحد، رغـم أنها توظف المصطلح الأول بمعنى (أعــراب). لكن حيث أن العهــد القــديم تعــرض لعمليـات تحـريـر و«تصحيح» لا نهاية لهما، وهو الأمر الذي تعاملت معه في الفصل الأول من العمـل، إضـافـة لحقيقة عدم معرفة وبالتالي غياب رأي التقليد «المحرر» بخصـوص أصـل المفـردة «عبـري»، فممـا لاشك فيه أن التلاعب تم أيضاً في هذا المجال. فالقراءة الدقيقة لبعض مقاطع التوراة توضح توظيفها للمفردة «عبري» فعلاً بمعنى (العـابـرين)، ذلـك أنهـا تحوي نصوصاً عديدة تظهر الأسباط في حالة حركة دائمة. كما تتضح طبيعة أصول أسباط التوراة العربية أو الأعرابية من خلال عدم توفر معبد ثابت لهم. ومن دلائل ذلك أن إله التوراة يهوه، كان عبارة عن روح خفية ساكنة في تابـوت من الخشب سمي (تـابوت العهد) كان يحمل حيثما رحلوا. ومن الدلائل الأخرى التي تؤيد وجهة النظر القائلة بأن المصطلح عبري لايحمل أية طبيعة إثنية هو تكون بني إسرائيل من أشخاص ينتمون لقبائل وعشائر عديدة، وكائناً عددها ماكان، لكن بكل تأكيد ليس إثني عشر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن وصف العهد القـديم للحيـاة اليـوميـة للأسبـاط حتى تأسيس مملكة داود تتطابق تماماً مع رديفـها العـربي أو الأعـرابي، أي الاعتيـاش عبـر السطو والنهب بشكل رئيسي. فعلى سبيل المثـال، تفيـد الإصحـاحـات ٦ : ١٦ ـ ٢٤ من السفر الذي يحمل إسم يشوع، بأن الأخير أبلغ تابعيه بأن المدينة «يريحو» جاهزة للسبي؛ حرفياً (إهتفوا لأن يهوه أعطاكم المـدينـة. . . وحَـرْمُـوا ـ أي أقتلوا (ز.م) ـ كل من في المـدينة من رجل وامرأة، من طفـل وشيـخ حتى البقـر والغنم والحمير بحد السيف. . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل مابهـا، عدا الفضـة والـذهب والنحـاس) ـ أي الغنـائم (ز.م). أمـا من فكـر منهم الاحتفاظ ببعض منها لنفسه فقد كان عقابه الرجم والحرق هو وعائلته وبقره وحميره وخيمته[١٧]. والمسائل نفسها تتكرر في حالة المدن عاي، مقيدة، لبنة، ولكيش[١٨]، حيث يأمر يشوع أتباعه بحرق المدينة. أما مصير سكان عاي من رجال ونساء وأطفال وشيـوخ فكـان الإبـادة الجمـاعيـة، بينما احتفظ بمتاعهم كغنيمة للمحاربين منهم. وكـان مصيـر ملكهـا وغيـره من حكـام أو شيوخ المدن المهزومة التعليق على خازوق طوال النهـار ـ مثـلاً (يشوع ٨ : ٢٩ و٢٦ : ١٠). وقد فعل يشوع ولفيفه ذلك بكل مدينة

حتى قيل أنه أباد كافة سكان المناطق التي كانت في طريق قواته وحرم كل نسمة حياة (ز.م) ـ فيها (يشوع ١٠ : ٣٩). كما أن سفر القضاة (١ : ٨) ينقل محاربتهم لأورشليم وضربها بحد السيف، (أي قتل سكانها)، وأحراقهم المدينة ـ التي في أورشليم. ولم يكن حظ المدن صفاة، ولوز[١٩] بأفضل، حيث أبيد سكانها. ولم يقتصر هذا الأسلوب الإرتزاقي على فترة يشوع فحسب، وإنما امتد إلى عهد القضاة أيضاً حيث ينقل السفر حامل الاسم أن أبيمالك فعل الشيء ذاته بالمدن التي وقفت ضده[٢٠].

ولم تختلف سياسة داود مؤسس مملكة كل إسرائيل عن ذلك حيث يصف الإصحاح ٢٢ : ٢ من سفر صموئيل الأول (٢٢ : ٢) جماعته بأنها تشكلت (من كل رجل متضايق وكل مديون وكل رجل مر النفس)، أي مجموعة من العصابات والخارجين عن الأعراف والمجتمع التي كانت تتعيش من النهب. ويسجل سفر صموئيل في الإصحاح ٢٧ : ٩ ـ ١١، قتله للرجال والنساء في المناطق أو المدن التي سقطت له، هذا على عكس العمالقة الذين لم يقتلوا سكان المدن أو المناطق التي أخذوها[٢١]. وكانت هذه المجموعات تتعيش من وراء السلب والنهب والقتل، حتى من بيوت من عملوا عندهم كخدم ائتمنوا على أموال مستأجريهم ـ مثلاً سفر الخروج ١٢ : ٣٥ ـ ٣٦. ويبدو أن تخصيص مدن اللجوء ـ مثلاً سفر العدد ٣٥ : ٦، إلا لدليل إضافي على الأصول الأعرابية أو العربية للأسباط، ذلك أنها إستحدثت بلا شك لتمكين المطلوبين من الأسباط الفرار إليها من ثأر السكان المحليين الذين أقام بنو إسرائيل بينهم.

ومن الجدير حقاً بالملاحظة أن الإصحاح التاسع من سفر يشوع، يسجل أن الأسباط لم تحارب سكان جبعون لاعتقادهم بأنهم عابرون، أي عرب مثلهم. هذا يعني أن التوراة وظفت المفردة «عبري» ومشتقاتها للدلالة أحياناً على الأسباط كبدو رحل، أي «عرب».

لكن بقراءة مقاطع أخرى من العهد القديم، يتبين فوراً أنه من غير الممكن أن المصطلح استخدم فقط بهذا المعنى. فالإصحاحات ١٣ : ٣، ٦ ـ ٧ و١٤ : ٢١ من سفر صموئيل الأول، تظهر تبايناً بين بني إسرائيل من جهة، وبين «العبرانيين» من جهة أخرى، هذا فيما لوفهم أن الأخيرين هم نفسهم بني إسرائيل. ورغم أني سأعود للتعامل مع هذه المقاطع لاحقاً، أجد من المفيد تسجيل النص الآن لتوضيح المقصود. تقول الترجمة التقليدية لسفر صموئيل الأول ١٤ : ٢١ بأن (العبرانيين «الذين» كانوا مع الفلسطينيين منذ أمس وماقبله الذين صعدوا معهم إلى المحلة من حواليهم صاروا هم أيضاً مع إسرائيل الذين مع شاول ويوناثان). والمسألة هنا ليست صحة الترجمة أوعدمها ـ وهي مغلوطة وكما سنرى لاحقاً ـ وإنما ملاحظة أنه من غير الممكن أن المصطلح «العبرانيون» يشير هنا لبني إسرائيل كأعراب. فالقراءة التقليدية تبين أن «العبرانيين» مختلفين تماماً عن إسرائيل، علماً بأن أهل الاختصاص لاحظوا هذه المسألة وقدموا مخارج للمأزق سأتعامل معها لاحقاً بما تستحقه من التفصيل.

فما دام المصطلح «عبري» ليس اسم جنس، أي أنه لايشير إلى مجموعة إثنية، ولم يستخدم دوماً للإشارة إلى عرب، فما هو المقصود به إذن. لقد حاولنا أن نستشير العهد القديم في هذا الأمر، لكنه تبين لنا جهل محرريه بالمعنى بما يفتح المجال للعودة للغة العربية من جديد لاستقراء المقصود.

بالإضافة لما سبق ذكره من معان، تفيد المعاجم العربية أن «العُبْرُ من الناس» هم (القُلف)، واحدهم «عبور». وقيل أيضاً أن «غلام مُعْبَرٌ»، هو (من كاد يحتلم ولم يُختن بعد، وقيل هو الذي لم يُختن، قارب الاحتلام أو لم يقارب). أما القول «رجل عَبْران» و«عَبِر»، فيعني (حزين)، وللمرأة يقال عَابِر وعَبْرَى وعَبِرَة، وأُمٌّ عُبْرٌ وعَبَرٌ هي (الأم الثكلى).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ظاهرة قلب الأحرف؛ هنا بين العين والغين المُنَقطة، فإن المفردة العربية «غبر»، تعني بالإضافة إلى أشياء أخرى (مَكَثَ وذَهَبَ). كما أن «أغْبَرَ»، تعني (جَد في الطلب)، و«الغابر» هو (الباقي والماضي).

كما تفيد المعاجم المتخصصة أن «بنو غبراء» هم (الغرباء، الصعاليك

والمحاويج أي الفقراء). والمفردة «غُبْر»، تعني (باقي)، و«غبر كل شيء» هو (الباقي منه)، ويفيد أيضاً معنى (الماضي)، أي (الراحل)، و«الغبراء» هي (الأرض).

أما «المُغَبِّرة»، فهم (قوم يهللون باسم الله تعالى بدعاء وتضرع، والسبب هو أنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مُغَبرة لهذا المعنى)[٢٢].

وتحوي المعاجم الجغرافية معان أخرى للمفردتين، لكني أعتقد أنه وجب حصر البحث عن المقصود بالمصطلح فيما سبق.

قبل التعامل مع المعاني المختلفة للمصطلح «عبري» كما ترد في بعض النصوص التوراتية، وجب تذكر حقيقة لغوية جوهرية يبدو أنها غابت عن ذهن الباحثين، ألا وهي ضرورة التمييز بين «عبريم» و«عبرييم»، لأن التوراة تورد الصيغتين. فالمنطق اللغوي يقول أن «عبريم» هي صيغة المثنى أو الجمع من «عبر»، كائن معناها الآن ماكان، ويكون رديفها العربي (عُبَرَة، عبرين، أو عبران). أما «عبرييم» فهي صيغة المثنى أو الجمع من «عبري»، وبالعربية (عبريين / غبريين). وفي هذه الحالة فإن «عبري»، تكون إما صيغة المفرد المنسوب إلى «عبر»، أو أنها مصطلح يرادفها في اللغة العربية (عبري / غبري)، أو (عبريين / غبريين). وقد لاحظ أهل الاختصاص المعاصرين توظيف التوراة لكلا الصيغتين «عبريم» و«عبرييم» وفي حالتي المؤنث والمذكر، لكن جهلهم باللغة العربية والمعاني المختلفة للمفردتين «عبر / غبر»، جعلهم يعتقدون بأن لغة التوراة حوت صيغتين مختلفتين للجمع. كما أن هذه التباينات أثارت انتباه المسوريين الذين حاولوا الالتفاف حول الموضوع بتفقه لغوي لا حاجة للدخول في تفاصيله. لكن كاتبي ومحرري «السبعونية» لاحظوا هم أيضاً هذه المعضلة التي حيرتهم تماماً ولم يتمكنوا من التغلب عليها.

الآن وقد عرفنا المعاني المختلفة للمفردات ذات العلاقة، يمكننا مباشرة تحليل النصوص التي ترد فيها بهدف التعرف على المعنى الدقيق.

يرد المصطلح «عبري» للمرة الأولى في سفر التكوين ١٤ : ١٣، حيث يُوصف أبرام بأنه «العبري»، وفي التوراة «ءبرم هعبري»، والذي فهم البعض بأنه إشارة لانتمائه لشعب ذي جد أعلى باسم (عابر). وقد تبين لنا من خلال الاستعراض في

مطلع هذا القسم أن التـوراة لم تعـرف شعبـاً أو قبيلة بالاسم، وأنهـا لم تتمكن من تقديم شرح مقنع للمصطلح بما يستدعي البحث عن المعنى الصحيح عبر الاستعانة بالعربية.

يرى العـديـد من أهـل الاختصاص أن التعبير التوراتي «برم هعبري» يعني (أبرام العابر)، أي (أبرام العربي)، وذلك أخذُ بمفهوم «السبعونية». لكن رغم صحة هذا الفهم من الناحية اللغوية، أعتقد أن التوراة لم تقصده لأنه يستخدم بعد انتقال أبرام من حالـة التنقـل إلى الاستقـرار. فالإصحـاح ١٣ : ١٢ و١٨ من سفر التكوين الذي يقول بأن أبرام سكن، أي أقام، في كنعان بالقرب من حبرون حيث بني مذبحاً لإلهه هنـاك، يسبق وصف أبـرام بأنـه عبـري، والمسجل في سفر التكوين ١٤ : ١٣. هذا يعني ضرورة البحث عن معنى آخر للمقصود بـ(أبرام العبري) في المعاني آنفة الذكر.

عنـدمـا نأخـذ بعين الاعتبـار أن التـوراة تربـط العهد الأبدي بين ألوهيم ـ في الترجمة العربية (الله)، وبين أبرام الذي أضحى اسمه إبراهيم، بشرط واحد فقط هو ختن الـذكـور، فمن الـواضـح أن المقصـود بـ«العبـري» هنـا (أبـرام العَبُـور) ـ أي (القلف). وممـا يعـزز القنـاعـة بأن هذا ماقصده العهد القديم، تسجيلها للمصطلح «أبرام العبري» قبيل النص الذي يسجل أمر إله التوراة بفرض طقس الختان الوارد في الإصحاح ١٧ : ١٠. ومن أجـل توضيـح الأهميـة القصـوى التي تعطيهـا التوراة لهذا الطقس الـذي هو علامـة العهـد بين الطـرفين، أستميـح القـاريء بتسجيـل النص التوراتي ذي العلاقة كما هو وارد في الترجمة العربية، وهو التالي: «وقال الله لإبراهيم وأمـا أنت فتحفـظ عهـدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظـونـه بيني وبينكم وبين نسلك من بعـدك. يختن منكم كل ذكـر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم.. كل ذكر في أجيالكم.. وأما الذكر الأغلف الذي لايختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهـدي»[٢٣]، كمـا أن نعت أبـرم بأنـه (قلـف)، يأتي قبل وصف سفر التكوين ١٥ : ٢ بأنه (عقيم)، وقبل وعد إله التوراة له بأن نسله سيكون مثل نجوم السماء عدداً ـ سفر التكـوين ١٥ : ٥. ومن الـواضـح أن هدف وصف أبرام بـ(العبري) هو محاولة لشرح

معنى المفردة من قبل الراوي لأنه لايوجد أي سبب لإدخالها في النص. ويتضح من الخـرافـة هذه أنـه ساد اعتقـاد قديم بين الأعـراب بأن ختـان الـذكـور شرط مسبق لجعلهم قادرين على الإنجـاب، ويبـدو أنـه كان مرتبـط بفض غشـاء البكـارة عنـد الإنـاث. وهنـا نتـذكـر الخرافتين الواردتين عن هذه المسألة حيث ترد الأولى في سفر التكـوين ١٥ بالارتبـاط مع أبـرام / إبـراهيم، بينما تسجل الثانية بالارتباط مع موسى التوراة في سفر الخروج ٤ : ٢٤ ـ ٢٦.

ويعود المصطلح (عبري) للظهـور خمس مرات أخرى في سفر التكوين، وهذه المرة مع قصة يوسف. فالإصحاح ٣٩ : ١٤ من هذا السفر يسجل على لسان زوجة فوطيفـار رئيس الشـرط، وصفهـا ليـوسف بأنـه (رجـل عبـري) ـ بلغـة التوراة «ءيش عبري»، وفي الإصحاح ٣٩ : ١٧ بأنه (العبد العبري)، أي «هعبد هعبري». ويتكرر المصطلح في سفـر التكـوين ٤١ : ١٢، الـذي يفيـد بأن يوسف كان (غـلامـاً عبرياً)، وبلغة التوراة «نعر عبري». ومن أجل التعرف الدقيق على المقصود هنا بالمصطلح، أرى ضرورة استعراض كامل القصة ذات العلاقة كما هي واردة في الإصحاح ٣٩ من سفر التكوين.

تقـول الـروايـة أن يوسف بن يعقـوب بيـع من قبل تُجار لرئيس شرطة فِرع[٢٤]، مصـريم ـ في التـرجمـة التقليدية (مصر)، الذي جعل منه خادماً في منزله. ويبدو أن زوجـة رئيس الشـرطـة أعجبت بيـوسف التـوراة الـذي كان (حسن الصـورة وحسن المنظـر)، ورغبت في مضـاجعتـه، لكن الأخير استهجن الإساءة لولي نعمته ورفض محاولات توددها. وبعد عدة محاولات انتهت بالفشل، وصل الأمر بالزوجة اللعوب إلى درجـة عاليـة من اليأس ممـا قادهـا لمحـاولـة إجبـاره على مضـاجعتها. وعندما اكتشفت جديـة رفضـه، وفي مواجهـة المـوقف المحرج الذي تورطت فيه، أمسكت بثـوبـه لاستخدامه كدليل اتهام، وتبدأ بالتشهير به انتقاماً منه في محاولة للتغطية على فشلها. وهنا تحديداً تنقل التوراة وصف الزوجة اللعوب ليوسف التوراة بأنه «عبري». فالإصحـاح ٣٩ : ١٤ من السفـر ينقـل قولها لزوجها مستهجنة، وعن يوسف مُشَهِّرة: (قـد جاء إلينـا برجـل عبـري ليداعبنا) ـ أي [ليعاكسنا أو ليعتدي علينا، ز.م]. وفي المـرة الثـانية المسجلة في المقطع ١٧ من نفس الإصحاح، تنقل التوراة على لسان

زوجة رئيس الشرط تسميتها ليوسف بأنه «العبد العبري»، وهنا أيضاً بصورة تشهيرية. ومن الممكن الفهم هنا أن المقصود بالتعبير «العبري» بأنه إشارة لأحد القلف، لكني أستبعد هذا لأن أمر الختان لوالده يعقوب يرد قبل تسجيل القصة، بما يعني أن يوسف كان مختوناً قبيل شرائه من قبل رئيس شرط فرع مصريم، وكائناً من كان. ويضاف لذلك حقيقة إحجام التوراة عن القول بأن يوسف التوراة فر من مخدع الزوج اللعوب عارياً. وبما أن التعبير يأتي على لسان زوجة رئيس الشرط في معرض التشهير، فإن الواضح أن المقصود هنا تعبير تحقيري، أي أن المصطلح الموظف هنا هو وصف بصيغة النسبة إلى (عبر) بمعنى (عربي)، أي (بدوي). ومن المعروف أن أهل الحضر مازالوا حتى يومنا هذا يستخدمون الصفة «بدوي» كنعت تحقيري وتصغيري.

كما أجد دعماً لفهمي هذا في حقيقة أن التوراة تطلق على ثوب يوسف اسم «بجد»، والتي لايوجد لها رديف في أي من اللغات «السامية»، سوى في العربية، أي (بجاد)، والذي هو (كساء مخطط من أكسية الأعراب).

أما سفر التكوين ٤٠ : ١٥، فيسجل هذه المرة على لسان يوسف التوراة قوله «كي جنب جنبتي مءرص هعبريم»، والمترجمة للعربية (لأني قد سُرِقتُ من أرض العبريين!)، والتي يرى البعض فيها تعبيراً جغرافياً. ومهما تكن حقيقة الأمر، فإن هذا التعبير لايحمل أي فهم إثني، حتى لو افترضنا أنه يشير لبقعة جغرافية محددة. ومن خلال متابعة قصة يوسف وشرائه، يتضح أن المقصود هنا (أرض الأعراب)، أي من البادية. أما الترجمة الصحيحة للجملة فوجب أن تكون (لأن سارقا سرقني من أرض العبران) أو (من أرض العرب / العُبَرَة).

ويعود التعبير «عبري» للظهور مرة أخرى في سفر الخروج ١ : ١٥ ـ ٢ : ٢٢، وفي قصة حياة موسى التوراة تحديداً، وعلى لسان آخرين أيضاً. ففي سفر الخروج ٢ : ٦ ـ ٧ يستخدم بصيغة «ميلدي هعبريم»، أي من (أولاد العَبرين) أو من (أولاد العُبَرَة)، وليس (من أولاد العبريين) كما هو وارد في النسخة العربية المترجمة. ويليها التعبير (رجل عبري) ـ «ءيش عبري»، في سفر الخروج ٢ : ١١، و(رجلان عبران)، وبلغة التوراة «شني ءنشيم عبريم». وواضح أن التعبير «عبري» الموظف من قبل

آخـرين، هوبصيغـة النسبـة إلى «عبـر»، ومن أجـل فهم المعنى المقصـود في هذه الحالة، لابد من استعراض الظرف الذي استخدم فيه المصطلح.

تقـول الـروايـة أن ابنـة فرعون وجدت رضيعاً يبكي مخبأً في سفط من البردي عنـدمـا ذهبت للاستحمام، وتعرفت عليه بأنه غير مصريمي فور فتحها للسفط، لأنها صرخت منـدهشـة على ما أعتقد «ميلدي هعبريم زه»، أي «هذا من أولاد العبرين»، وليس (هذا من أولاد العبريين). وبسبب مارأيناه من تعدد معاني المفردة «عبر»، قد يتحير المرء في المقصود. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المصريين كانوا يمارسون طقس ختان الذكور، وأن أمر يهوه لموسى كائناً من كان، يختن أتباعه جاء بعد فراره وجماعته من مصريم، فإنه من الواضح أن المقصود هنا «هذا من أولاد القلف».

أمـا المعنى المقصـود في روايـة تعـارك المصـري و«العبري» التي ينقلها سفر الخـروج ٢ : ١١ ـ ١٣، فهـو العـربي، أي «الأعرابي». رغم ذلك، فإني مقتنع بأن القصة مقحمة في النص الأصلي بهدف إيهام القاريء بأن «عبري» هو اسم لشعب أو لمجمـوعـة إثنيـة محددة، هذا عدا عن تقديم المحرر مارآه من سبب مشرف لفرار موسى من فرع مصريم.

وينقل سفر الخروج في الإصحاحات ٥ : ٣؛ ٧ : ١٦؛ ٩ : ١؛ ١٣ و١٠ : ٣ على لسـان موسى وهـارون التـوراة في معـرض مطـالبتهمـا لفرعـون بالسمـاح لهم بالاحتفـال بعيـد مافـرضـه إله التوراة كان اسمه ماكان، قولهما «ءلهي هعبريم»، أي (كبيـر آلهـة العبرين)، وليس (إله العبريين) كما يرد في الترجمة العربية. ومن المهم ملاحظـة أن التـوراة تستخـدم مصطلح «ألهيم» بصيغـة الجمـع للدلالـة على إلـه العبـرين، مع حذف حرف الميم بسبب حالـة الإضـافـة. أي أن النص يفيـد بقـول واضح لا لبس فيـه أن هذا الـ(مـوسـى) لم يكن مُوحِّـداً. ورغم أن بعض أهـل الاختصـاص لاحـظ أن المقطـع يتحـدث عن آلهـة وليس عن إله واحد، إلا أنهم إعتبروا الصيغـة تعظيميـة. برأيي أن هذا التفسيـر غيـر صحيح من الناحية اللغوية لأن صيغة الجمـع التعظيميـة ترد في حالـة المخـاطب فقط. أما جمع التعظيم في حالة المفرد الغـائب فيكـون في الأداة وليس في الاسم. بهذا فإن المقصود هنا «أرض العبران» ـ

أي «أرض العرب / بلاد البادية». وأرى دعماً لرأيي هذا في حقيقة أن النص يفيد بأن موسى وهارون طالبا فرعون بالسماح لهما بالذهاب إلى البادية ـ في التوراة «مدبر».

لكن الإصحاح ٣ : ١٨ من السفر ذاته، ينقل على لسان موسى وحده هذه المرة ودون ذكر لهارون، القول لملك مصريم «ءلهي هعبريم»، أي (كبير آلهة العبريين)، وليس (إله العبريين). ويظهر من النص التوراتي أنه يشير هنا أيضاً إلى «ءلهيم»، أي بصيغة الجمع أيضاً مع حذف حرف الميم اللاحق بسبب حالة الإضافة. ويبدو أن المقصود هنا «المغبرة» المشار لهم آنفاً. ولفائدة تذكُّر وصف المعاجم العربية لهم، أذكِّر بأنهم «قوم يهللون باسم الله تعالى بدعاء وتضرع، والسبب هو أنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا».

ومن القضايا المثيرة للانتباه في هذا المجال أن وصف طقس تعبد المُغبِّرة يتطابق تماماً مع ما تورده التوراة عن طقوس تعبد الأسباط المسجلة في سفر صموئيل الثاني، والتي وردت في المقاطع (٦: ٥ و١٤ ـ ٢١) من كتاب كمال الصليبي (حروب داود ص ٤٩ ـ ٥٠). ولفائدة من لم يتمكن حتى الآن من الاطلاع على المؤلف آنف الذكر، أستميح لنفسي اقتباس الترجمة التي هي كما يلي:

سفر صموئيل الثاني:

٥ : ٦ وداود وكل بيت يسرئيل يلعبون قدام يهوه
بآلات «من» خشب العرعر
وبالقياثير والرباب والدفوف
وبالجنوك والصنوج

٦ : ١٤ كان داود يتخلع أمام يهوه بكل اندفاع
كان داود يرتدي صداراً فقط

٦ : ١٥ كان داود وكل بيت يسرئيل
صاعدين مع تابوت يهوه بالهتاف
وبصوت البوق

بهذا يمكننا متابعة البحث في معنى «عبريم» كما ترد في مقاطع أخرى حيث سيتعزز صحة فهمي لما تقوله التوراة.

بمراجعة سفر صموئيل الأول ١٣ : ٣ و٦ ـ ٧ الذي ينقل بعض حروب شاول مع «فلستيم»، أي فلستين أو فلستيم، نقرأ «ويك يونتين ءت نصيب فلستيم ءشر بجبع ويسمعو فلستيم وش ء ول تقع بشوفر بكل ه ء رص ل ء مريشمعو هعبريم». وقد تُرجم هذا المقطع إلى (وضرب يوناثان نصب الفلسطينيين الذي في جبع فسمع الفلسطينيون وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلاً ليسمع العبريون). وقد حيَّر هذا المقطع أهل الاختصاص لأنه يظهر أن العهد القديم يفرق بشكل واضح بين إسرائيل من جهة، وبين «العبريين» من جهة أخرى، هذا فيما لو فهم أن المقصود بالأخير نفس المجموعة. كما أن سفر صموئيل الأول ١٤ : ٢١ و١٣ : ٦ ـ ٧، يميز من جديد بين «العبريين» الذين فُهم أن جزءاً منهم فر إلى أرض جاد وجلعاد، و«الشعب» الذي اختبأ في المغارات والصخور. . إلخ. وفي مواجهة هذا التناقض، اعتبر أهل الاختصاص وجود فساد في النص الأصلي مما جعلهم يترجمون المقطع في النسخ الإنجليزية وغيرها بما يعني (يوناثان هزم نصب الفلستيين[٢٥]، الذين في جبع، وسمع الفلستيون أن العبريين تمردوا، ونفخ شاول بالبوق في كل الأرض). أي أنهم استبدلوا المفردة «ويشمعو» الواردة في النص التوراتي بمعنى (ويسمع)، بالمفردة «وفشعو»، أي (وتمردوا)، متبنين بذلك وإن جزئياً، نص «السبعونية». ومن الجدير بالذكر أن مترجمي ومدققي الأخيرة لم يفهموا المقطع بتاتاً مما جعلهم يغيرون المفردة «هعبريم» الواردة في المقطع، إلى «هعبديم»، بمعنى (عبيد).

واقع الأمر أن التحليل الدقيق للمقطع يظهر أن الفساد ليس في النص وإنما في الأدوات اللغوية التي وظفت لتحليله، وإليكم البرهان.

يقول المقطع بشكل واضح (وضرب يوناثان نصب فلستيم الذي في جبع فسمع فلستيم وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلاً ليسمع العبرين). برأيي أن الجملة صحيحة، وأن المقصود بـ«هعبريم» لا شعب ولا أعراب، وإنما فلستيم[٢٦] الذين يوصفون بأنهم «القلف». والمقصود بالجملة أنه عندما سمع شاول بأن ابنه المفضل والمحبوب يوناثان تمكن من ضرب نصب فلستيم، طرب للأمر وانتشى مما

جعله يأمر بالنفخ في البوق في المنطقة مبشراً بهذا الانتصار، ومضيفاً (ليسمع القلف)، أي تعبير شامت وتحقيري لفلستيم. أي أن الترجمة الصحيحة للمقطع وجب أن تكون على النحو التالي: «وضرب يوناثان نصب (مملكة) فلستيم الذي في جبع فسمع (سكان) فلستيم. وأمر شاول النفخ بالبوق في كافة أنحاء الأرض وقال ليسمع القلف». ومن المعروف أن العهد القديم كثيراً مايستخدم هذه الصفة للإشارة للأخيرين بسبب عدم ممارستهم طقس الختان. ومن الواضح أن الفهم التقليدي للنص غير صحيح لأنه يفترض مشاركة شاول في المعركة، وهومالاتقوله التوراة. بل على العكس فهي تسجل أن يوناثان قاد الهجوم ضد تخم فلستيم بينما كان شاول في «جبع»، موضحة بصريح العبارة عدم مشاركة الأخيرة لأنه كان بَعْدُ في الجلجال وكل الشعب ارتعد وراءه بعدما رأى تجمع فلستيم كالرمل الذي على شاطيء البحر استعداداً لشن هجوم مضاد وعبورهم الجرف[٢٧]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن غير الممكن أن النص يشير لشعب عبري إلى جانب إسرائيل لأن الرأي التقليدي يقول بأن الأخير هو نسل الأول.

أما الإصحاح ١٤ : ٢١ من نفس السفر، فيسجل بلغة التوراة «وهعبريم هيو لفلستيم كءتمول شلشوم ء شر علوعمم بمحنه صبيب وجم همه لهيوت عم يسرءل ءشر عم شءول وينتن»، والمترجم إلى (والعبرانيون «الذين» كانوا مع الفلسطينيين منذ أمس وماقبله الذين صعدوا إلى المحلة من حواليهم صاروا هم أيضاً مع إسرائيل الذين مع شاول ويوناثان). ومن المهم الأخذ علماً بأن «السبعونية» توظف المفردة «هعبديم» بمعنى (العبيد)، بدلاً من «هعبريم»، وقد فُهم «هيو» على أنه صيغة الماضي من الفعل «هيه»، أي (كانوا). لكن من الواضح أن النص لايستقيم بسبب غياب أداة الوصل (الذين) المضافة في الترجمة العربية. وقد أُوِّل النص ليعني أن العبرين الذين كانوا مع بعض فلستين تركوهم، أي غيروا من ولائهم وانضموا مع بعض إسرائيل التابعين لشاول. وقد لاحظ أهل الاختصاص أن ترجمة «هعبريم» إلى مجموعة إثنية تقود إلى تناقض جديد وصارخ في المفهوم بأن بني إسرائيل هم «العبريون»، مما جعل البعض يحاول تقديم تفاسير للخروج من المأزق، ومن ذلك القول بأن إسرائيل انقسمت فيما بينها، فبينما قبل جزء منهم بحكم «الفلسطينيين»،

رفضه آخرون، ووقف طرف ثالث محايداً. لكن هذا التفسير ضعيف لأنه لايوجد إشارة لمثل هذا الانقسام بين الإسرائيليين التابعين لشاول، ولو كان قد حصل لما تردد العهد القديم في صب اللعنات على طرف منهم. واقع الأمر أن المفردة «هيه» هي بصيغة (أفعل) التوراتية من الفعل «ءوه» بمعنى (عاد، أوى). أما «هعبريم» فتشير من جديد إلى (القلف)، أي لفلستيم[٢٨] أي أن النص يقول وبكل بساطة أن (القلف عادوا لفلستيم)، أي (انسحبوا لمواقعهم). هذا لايعني استبعاد أن المقصود أيضاً (أعراب)، أي تلاعب المحرر بالألفاظ وهو أمر مشهود في التوراة.

أما مسألة وصف نبي التوراة يونان «يونه» نفسه بأنه عبري، فأستميح لنفسي إعادة القاريء لكتاب كمال الصليبي خفايا التوراة.. / الفصل العاشر.

من الممكن الاستمرار في تحليل كافة النصوص التي ترد فيها إشارة لـ«عبريم»، والتي تثبت أن المصطلح لم يستخدم للإشارة إلى أي مجموعة إثنية كانت أو غيرها، وبأن التوراة، وعلى عكس ماشُبه لنا ولغيرنا، لم تعرف أي «عبريين». لكنني أعتقد أني قدمت مايكفي من البراهين على خطأ الفهم التقليدي بخصوص المسألة. وهذا بالضبط مايشرح أن العهد القديم لايعرف أي ملك عبري أو مملكة عبرية، عدا عن عدم مخاطبة أي أحد بأنه عبري، لافي التوراة ولا في الأبوكريفا. ولا يوجد أي مقطع في التوراة يتحدث عن (بني عابر) أو (أولاد عابر) كمجموعة إثنية مميزة، كما لاتنقل التوراة علمها بوجود بطل تاريخي اسمه عابر، ولايوجد أي ذكر للغة عبرية[٢٩]. كما ويلاحظ عدم احتواء التوراة لأي نص أو موعظة منسوبة لنبي تعكس الافتخار بوعي وطني للانتماء لإبراهيم بعد قيام المملكة في إسرائيل[٣٠].

بالإضافة لما سبق وجب التذكر بأن سفر اللاويين ٢٥ : ٣٩، يحرم استعباد الإسرائيليين، بينما تسمح النصوص الواردة في سفر الخروج ٢١ : ٢، التثنية ١٥ : ١٢ وإرميا ٣ : ٩ ـ ١٤ باستعباد «العبري» لمدة سبع سنوات قليلة للتمديد مدى الحياة. هذا يبين أنه وجد فرق جوهري بين الطرفين في ذهن رواة التوراة.

بأخذ كافة الشواهد آنفة الذكر فراداً وبشمولية، من الصحيح إهمال الرأي

القائل بأن المفردة «عبري» استخدمت في التوراة كاسم جنس للدلالة على مجموعة إثنية أو عرقية معينة.

ومن الواضح أن الأمر اختلط على مترجمي «السبعونية» الذين فهموا بأن المصلح «عبري» يشير أحياناً إلى (الطرف الآخر)، مما جعلهم يترجمون المصطلح «ءبرم هعبري» إلى (أبرام المنتقل)، وباليونانية perates ، بمعنى (الذي من الطرف الآخر). كما يبدو أن الأمر اختلط أيضاً على محرري التوراة بخصوص معنى (عبر / هعبري)، حيث فهم البعض أنها تعني (الطرف الآخر). وما الجملة الواردة في سفر صموئيل الثاني ١٥ : ٢٨ ، أي «رءونكي متمهمه بعبروت همدبر عد بء ودبر معمكم لهجيد لي»، والمترجمة في النسخة العربية إلى : «إني أتوانى في سهول البرية حتى تأتي كلمة منكم لتخبيري» إلا محاولة من قبل الراوي لشرح معنى المصطلح «عبري». وبالقراءة الدقيقة للجملة في النص الأصلي، يتبين أن الترجمة الصحيحة يجب أن تكون على نحو (أنظروا إني باق في طرف البرية حتى تأتي كلمة من طرفكم لتخبيري). والأمر ذاته ينطبق على سفر صموئيل الثاني ١٩ : ١٨ الذي يسجل «وعبره هعبره لعبرءت بيت هملك»، والمترجمة إلى العربية (وعبر القارب لتعبير بيت الملك). وقد اعتقد المترجمون أن المقصود عبور نهر الأردن، لذا فإنهم فهموا «هعبره» على أنها تعني (قارب / عَبَّارة)، رغم أن نهر الأردن لايتسع لأي قارب. أما الترجمة الصحيحة فيجب أن تكون (والطرف الآخر عبر لتعبير بيت الملك).

ومن المعروف أن هذا المصطلح أو الفهم انتقل للإغريق. ومن شواهد ذلك أن كتاب (الطواف حول البحر الأريتيري) يطلق اسم Peratika بمعنى «الطرف الآخر»، على شاطيء جنوب جزيرة العرب المواجه للساحل الصومالي. كما أطلق اليونانيون الاسم iberes على إسبانيا، والتي تعرف بالعربية باسم «شبه جزيرة إيبيريا». والأمر ذاته ينطبق على نهرها الرئيسي المسمى iberos, iber ، والمعروف حالياً باسم Ebro. ومن الواضح أن الاسم القديم والحديث هو «أغرقة» واضحة للمفردة الكنعانية أو العربية. وقد يرى البعض أن هذا خطأ شائع مؤهل لأن يكون صحيحاً، لكن المنهجية العلمية تقول أن الخطأ يبقى كذلك ويستوجب التصحيح.

الاستنتاج النهائي بهذا الخصوص هو أن بعض مقاطع العهد القديم

سُجْلت في فترة أحدث بكثير عما يعتقد حتى الآن، لكن هذا لايمكن حله إلا من خلال التحليل الجغرافي للنصوص ذات العلاقة، وهو ليس موضوع هذا القسم.

الآن وقد تبين لنا أن التوراة لم تعرف شعباً أو أية مجموعة إثنية محددة باسم العبريين، فإن هذا يشرح سبب عدم وصف لغتها بأنها عبرية، بل استخدمت بدلاً من ذلك تعبير «سفت كنعن» بمعنى (لغة كنعان). لذا فإنه من غير الصحيح تسمية لغة التوراة بـ(العبرية)، ووجب العودة للاسم الأصلي، أي اللغة الكنعانية. ومن الجدير بالذكر أن الاسم المعتمد حتى الآن هو حديث نوعاً ما، ويعود إلى فترة الاحتلال الروماني لفلسطين. لكن يبدو أن استخدامه قد ثُبتَ بسبب رغبة اليهود تفادي أية إشارة لهم كإسرائيليين أو يهود، خاصة بعد تدمير هيكل حرد في القدس. كما أن اللعنات التي تصبها التوراة على الكنعانيين، شكلت حاجزاً نفسياً أمام قبول وصف التوراة للغة الأسباط بأنها كانت كنعانية.

لابد أنه قد توضح الآن أن التوراة، وعلى عكس ماتوهمناه، لم تعرف أي شعب أو مجموعة إثنية كانت أو غيرها باسم (العبريون)، علماً بأن الإخباريين العرب أيضاً لم يكن لهم دراية بوجود «عبريون» في تاريخهم. ومن الجدير بالذكر أن معظمهم كانوا يذكرون شخص باسم (هود) بدلاً من (عابر) في قوائم (الآباء الأولين) الخاصة بهم، وربما هذا يشرح لنا الكثير عن أصول أسباط التوراة. في كافة الأحوال لقد تمكنا من إرساء أرضية صلبة تمكننا من الانتقال للتعامل مع الاسم (إسرائيل) في القسم التالي لنرى إن كان بإمكاننا اكتشاف أصوله ومعانيه.

هوامش الفصل الثاني

١ ـ الصيغة السومرية للاسم ترد بأشكال متعددة هي «سء. جءز. زء»، «سء. جء. ءز»، «سءج. جءز» و«جءز».

٢ ـ أنظر المفردة العربية «عفر»، بمعنى (تراب).

٣ ـ (تل الحريري) بالقطر السوري.

٤ ـ (تل أضنة) إنطاكية.

٥ ـ أو (رسائل تل العمارنة).

٦ ـ «كلبو» و«كلبوخلقو» على التوالي.

٧ ـ حالياً، (رأس الشمرا) في القطر السوري.

٨ ـ في الوقت نفسه فإن سفر أخبار الأيام الأول ٢٤ : ٢٧ ، ينقل علم كاتبيه بأن «عبري» كان اسم شخص من اللاويين. ومن غير المستبعد أنه حصل خطأ في نقل الاسم.

٩ ـ في النص الأصلي «ءبرم هعبري».

١٠ ـ أي عيلام «عيلم»، أشور «ءشور»، أرفكشاد «ءرفكشد»، لود «لود» وأرام «ءرم».

١١ ـ المودد، شالف، حضرموت، يارح، هدورام . . . إلخ.

١٢ ـ أو (الأكبر)، ذلك أن لغة التوراة لاتحوي أسلوب المبالغة.

١٣ ـ أنظر المودد بن يقطان بن عابر بن سام بن نوح في سفر أخبار الأيام الأول ١ : ١٧ .

١٤ ـ الجزء الأول ـ الفصل ٩.

١٥ ـ هناك من البحاثة الأوروبيين من يصمم على تجاهل حقيقة أن القرآن يفرق تماماً بين بني إسرائيل من جهة، وبين اليهود من جهة أخرى. فالباحث ج. نيوباي يسجل في

كتابه المذكور لاحقاً، أن القرآن يذكر في سورة البقرة - الآية ٥٠، أن الله شق البحر أمام اليهود لينجيهم من فرعون. واقع الأمر، أن الآية آنفة الذكر لاتذكر اليهود على الإطلاق، هذا عدا عن حقيقة أن القرآن الكريم لا يربط أبداً بين اليهود من جهة، وبين موسى أو بني إسرائيل من جهة أخرى، وكان الأجدر بالمؤلف والناشر الالتزام بهذه الحقيقة. ورغم أنه تكون لدي انطباع إيجابي عن هذا المؤلف في بادىء الأمر، لكن هذا الخلط المتعمد بين مدى تساهل الكثير من المستشرقين تجاه حقائق علمية مبدئية، ويقودهم لتحريف المصادر لتناسب إستنتاجاتهم المُعدَّة سلفاً، وأيضاً لتضليل وخداع القاريء غير المتخصص. أما المؤلف فهو: G. Newby: «A History of the Jews in Arabia». University of South Carolina Press, Columbia 1988.

١٦ - راجع حول هذا الموضوع مؤلف: كرِو، أبو القاسم محمد (ابن خلدون والعرب). دار المغرب العربي، تونس / بيروت ١٩٨٨.

١٧ - يشوع ٧: ٢١ - ٢٥.

١٨ - يشوع ٨: ٧؛ ١٠: ٢٨؛ ١٠: ٣٠، و١٠: ٣٢ على التوالي.

١٩ - يشوع ١: ٧ و١: ٢٥ على التوالي.

٢٠ - أنظر سفر القضاة ٩: ٢٤ - ٤٩ و١٨: ٢٧.

٢١ - سفر صموئيل الأول ٣٠: ١ - ٢.

٢٢ - ويضاف لذلك كله العَبْر وبنو عَبْرة قبيلتان والعُبْرُ قبيلة. هذا عدا عن عبرة بن زهران من الإزد القحطانية، وهم بنو عبرة بن زهران بن كعب (عقبة، يعقوب)، وكذلك قبيلة عُبَرة من الشرى من زهران بن كعب، ومقرهم بلاد السراة. وبنو عريب من قبائل حمير، والتي عرفتها في مؤلفي آنف الذكر بأنها هي أدوم التوراتية. كما أن الغبراء والغبارات اسم موقعين باليمامة.

٢٣ - سفر التكوين ١٧: ٩ - ١٤.

٢٤ - أي رئيس؛ أنظر المفردة العربية (فرع القوم) التي تعني (كبيرهم).

٢٥ - في النص الإنجليزي Philistines.

٢٦ - أي السكان أو الشعب، وليس المملكة.

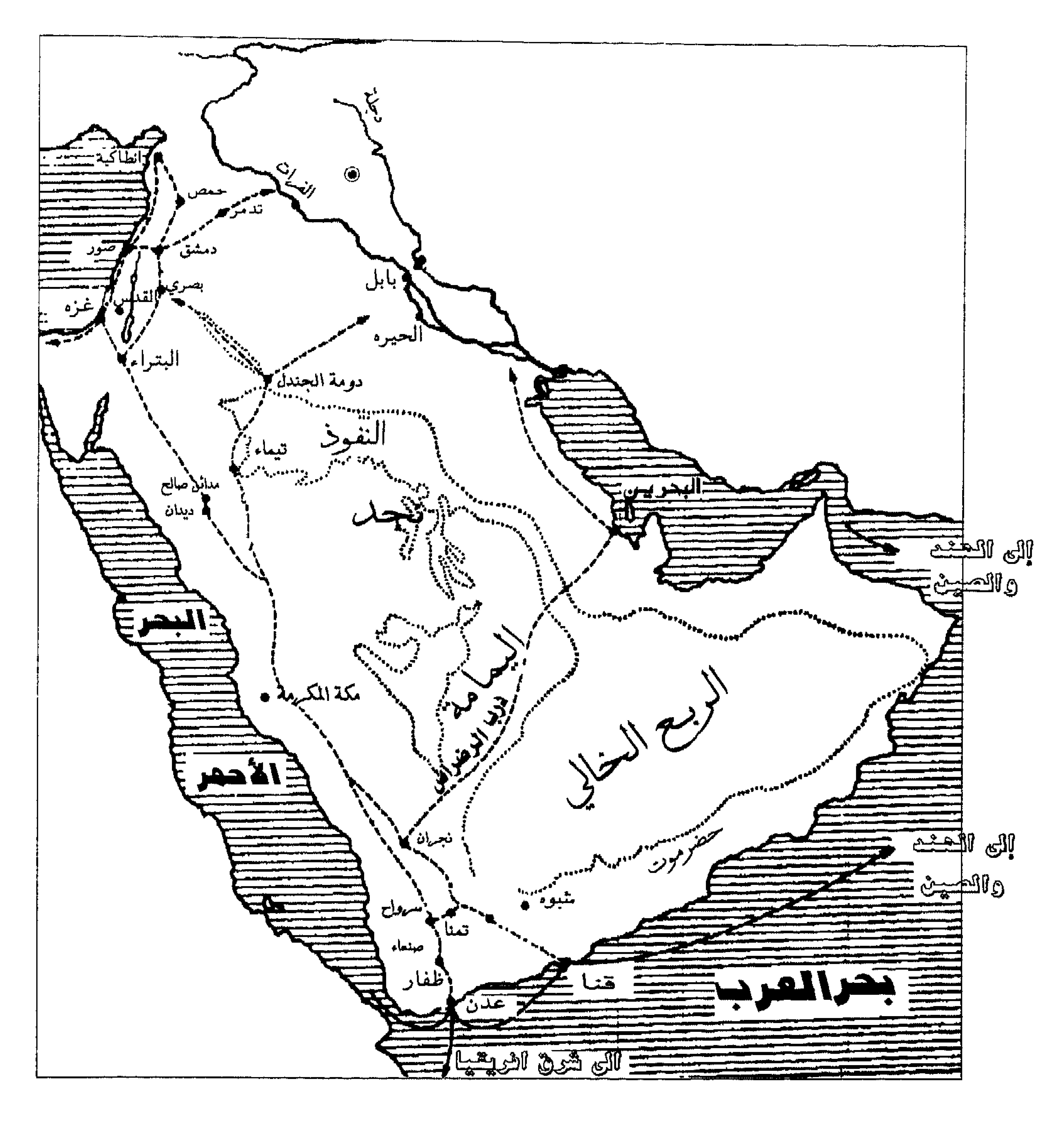
٢٧ - في النص الأصلي (الأردن) - قارن سفر صموئيل الأول ١٣: ٣، ٥، و٧ على التوالي.

٢٨ ـ الإشارة هنا للشعب وليس للأرض.

٢٩ ـ هناك إشارة واحدة فقط في مقدمة سفر حِكَم يسوع سرك الذي هو من الأبوكريفا، وهو من الإنتاجات الأدبية المتأخرة جداً.

٣٠ ـ يعتبر أهل الاختصاص النصوص الواردة في سفر إشعيا ٢٩ : ٢٢، إرميا ٣٣ : ٢٦ وميخا ٧ : ٢٠ إضافات لاحقة من التقليد «المحرر».

جزيرة العرب قبل الإسلام



درب البخور والذهب - - - - - - - -

الفصل الثالث

بنو إسرائيل

تبين لنا من القسم السابق من العمل أن العهد القديم وظف المصطلح «عبريين» للدلالة أحياناً على تحالف قبائلي عربي أعرابي تعبد لإله أعلى من دون غيره من الآلهة التي كانت منتشرة في جزيرة العرب. كما اكتشفنا أيضاً أن محرري العهد القديم لم يعرفوا معنى المفردة بما قادهم إلى إدخال شخص باسم عابر في لوائح آبائهم الأوليين، والذي اكتشفناه أيضاً أنه ليس جداً أعلى، أي أن التوراة لم تعرف أي مجموعة «إثنية» كانت أو غير ذلك باسم العبريين.

وبالالتفات لمسألة إسرائيل / بني إسرائيل، تقول التوراة أن الاسم يعود للجد الأعلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، والمُعَرَّف بأنه هو إسرائيل، ومنه تفرعت الأسباط واكتسبت التسمية. ومن المثير للانتباه أن العهد القديم لا يصف لا يعقوب ولا إخوانه بأنهما «عبريون»، بما يقدم برأيي إثباتاً إضافياً بعدم علم التوراة بأنه وجد في تاريخ شعب التوراة «عبريون» كاسم جنس. وبالعودة لموضوع الاسم الذي تشدد التوراة على أنه يعود لجد الأسباط الذي كان اسمه أيضاً يعقوب، علينا أولاً مناقشة زعم «المحرر» بأن الأخير هو فعلاً إسرائيل، أي مناقشة الرأي القائل بانحدار الأسباط من أصول قبلية واحدة. فإذا كانت الإجابة بالجزم، فليس من السهل شرح سبب تسجيل التوراة كلا الاسمين جنباً إلى جنب، خاصة بعد أن اكتسب يعقوب الاسم

الجـديـد[1]. إن إعطـاء إجـابـة محـددة على هذا وغيـره من الأسئلة والتسـاؤ لات المشـروعـة، وبـالتـالي الـوصـول لفهم المعنى الأصلي للاسم إسـرائيـل ولجـذور الأسبـاط، تلزم التعـامـل النقدي مع ماحاول محررو التوراة إيهامنا بأنه الحقيقة عبر استشارة بعض النصوص ذات العلاقة.

قبل مباشرة النقاش، وجب الانتباه إلى أننا نتعامل مع نصوص تنتمي لضروب أدبيـة مختلفـة تحـوي خرافات، أساطير، قصصاً وتاريخاً، ويضاف لذلك تعليقات «المحـرر» التي كثيـراً ماتقطـع سلاسـة النص. لذا وجب عنـد قراءة النصـوص ذات العـلاقـة فرز هذه الضـروب عن بعضهـا البعض حتى لايُخلَط التـاريـخ بالأسطورة، والخرافة بالقصة. فعلى سبيل المثال، تتحول الآلهة والقبائل إلى أشخاص حقيقيين في النصـوص التي تنتمي لضـرب الخرافة، وتضحي التحالفات والحروب العشائرية زواج وطـلاق. . إلـخ. أمـا تدخـل «المحرر» في النصوص، فيتبين من خلال إعادته أسبـاب الكـوارث الطبيعية والمصائب الفردية إلى غضب الآلهة، وهكذا. ولا يرفض الاتجـاه التقليـدي في علم التـوراة وجهـة النظر هذه، لكنه قد يختلف مع بُعد فهمي لهـا، وبـالتـالي مدى وجـودها في التوراة. كما أن علماء التوراة يتفقون، وإن بشكل جزئي، على أن إبـراهيم، إسحق، يعقـوب، إسـرائيـل، يهـوذا. . . إلـخ، ليسـوا أشخاصاً حقيقيين، وإنما قبائل وعشائر.

وفي عمليـة البحث في والتحقق من مكـونات شعب التوراة، هناك العديد من المنهجيـات العلميـة التي يمكن اتبـاعهـا، ومنهـا التقصي الجغـرافي. لكني رأيت تجنب الدخول في مثل هذه التفصيلات المعقدة التي قد تثير الملل عند القاريء في هذه المرحلة، عدا عن أن كمال الصليبي اتبع هذه المنهجية في مؤلفه (خفايا التوراة وأســرار شعب إسرائيـل)، وليس عنـدي ماأضيفـه في هذا المجـال لآرائـه المثيـرة والمبـدعـة. لذا سأتبـع منهجيـة أبسـط تعتمـد أولاً على مقـارنـة القوائم والنصوص التـوراتيـة التي تحوي أسماء نسل «الآباء الآولين»، ثم أعقب ذلك بتحليل الاسمين يعقـوب وإسـرائيـل. فإذا وجـدنـا أن القـوائم تتنـاقض مع بعضهـا البعض، فإنه من الصحيـح الاستنتـاج بأن روايـة الفـرعين يعقـوب وإسرائيل، تحوي قصصاً وتاريخاً وأساطير وخرافات أدمجت ببعضها البعض من قبل التقليد «المحرر».

وحيث أن الإشارة لنسل بني يعقوب وبني إسرائيل، ترد كجزء من نصوص مطولة، رأيت أنه من الأنسب الدخول فوراً في الموضوع وتسجيل أسماء «أبناء» الطرفين كما وردت في نصوص محددة من العهد القديم اخترتها من أسفار التكوين، التثنية، والقضاة. أما أسماء النسل فهي كما يلي:

تك ٢٩: ٣١-٣٠: ٢٤ بنو يعقوب	تك٣٥: ٢٣-٢٦ بنو يعقوب	تك٤٦: ٨-٢٢ بنو إسرائيل	تك ٤٩: ٣-٢٧ بنو يعقوب	تك٢٧: ١٢-١٤ كل إسرائيل	قض٥: ١٤-١٨ إسرائيل
١ رأوبين	رأوبين	رأوبين	رأوبين	شمعون	أفرايم
٢ شمعون	شمعون،	بنو شمعون	شمعون	لاوي	بنيامين
٣ لاوي	لاوي	بنو لاوي	لاوي	يهوذا	ماكير
٤ يهوذا	يهوذا	بنو يهوذا	يهوذا	يساكر	زبولون
٥ دان،	يساكر	بنو يساكر	زبولون	يوسف	يساكر
٦ نفتالي	زبولون	بنو زبولون	يساكر	بنيامين	رأوبين
٧ جاد	يوسف	بنو جاد	دان	رأوبين	جلعاد
٨ أشير	بنيامين	بنو أشير	جاد	جاد	دان
٩ يساكر	دان	يوسف	أشير	أشير	أشير
١٠ زبولون	نفتالي	بنيامين	نفتالي	زبولون	زبولون
١١ دينة	جاد	إبن دان	يوسف	دان	نفتالي
١٢ يوسف	أشير	بني نفتالي	بنيامين	نفتالي	

١٣ بنيامين «بن أوني»، في سفر التكوين ٣٥: ١٨.

بالإضافة للتباينات الواضحة في ترتيب أسماء النسل وهوية الأسباط وجب إضافة مجموعة من الملاحظات التي يجب أخذها بعين الاعتبار. أولاً، إن سفر التكوين ٤٦: ٨ - ٢٢، يسجل أسماء النسل ضمن رواية تقول: (وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصريم، يعقوب وبنوه)، ثم يباشر في استعراض الأسماء.

أي أننا نجد تصريحاً واضحاً بأن يعقوب وبنيه كانوا جزءاً من بني إسرائيل ليس إلا. كما وأن الصيغة، الذين جاءوا إلى «مصريم»، تعني برأيي أن ناقلي النص عرفوا مجموعات أخرى كانت تُحسب من بني إسرائيل، لكنها لم تشارك يعقوب وبنيه في رحلتهم أو ترحالهم. وانطلاقاً من حقيقة أن النص لايسجل أسماء الأبناء باستثناء رأوبين، وإنما أسماء العشائر، فإنه من الواضح أن المقصود هنا ليس أفراداً، وإنما قبائل. كما ويظهر حتى من النص العربي المترجم أن «المحرر» أقحم الرقم سبعين بطريقة مصطنعة، آخذاً بعين الاعتبار أن «السبعونية» تُصر على أن عدد تلك العشائر كان خمساً وسبعوناً. ولا يغيب عن ذهننا أن الهدف من التعليق الأول المحشو قسراً، الوصول إلى الرقم سبعين السحري الوقع[٢].

ثانياً، إن سفر الخروج ١ : ١ يعدد أسماء بني إسرائيل - وليس يعقوب - الذين جاءوا إلى أرض مصريم قائلاً «وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصريم مع يعقوب». فلو كان يعقوب هو فعلاً إسرائيل، لما كان هناك حاجة لذكر الاسمين سوية. لكن حيث أن هذا المقطع، كسفر التكوين ٤٦ : ٨ - ٢٢، يعتبر يعقوب وبنيه ضمن بني إسرائيل، فمن الواضح أن الأول اعتبر جزءاً من بني إسرائيل الشعب، وليس الكل. وهناك إثبات إضافي على تلاعب «المحرر» بالنصوص يظهر في سفر التكوين ٣٧ : ٢ الذي يسجل «هذه مواليد يعقوب: يوسف . . . إلخ»، لكنه لايذكر إسم أي من «الأبناء» الآخرين في النص بما يوضح دمج «المحرر» لكل من قصة وخرافة يوسف مع النصوص التاريخية.

أما النقطة الثالثة الواجب تذكرها، فهي أن السبطين ماكير وجلعاد مذكوران كـ«أبناء» فقط في سفر القضاة ٥ : ١٤ - ١٨، وأن هذه القائمة تتجاهل كل من شمعون، جاد، لاوي، يوسف، منسي ويهوذا. هذه التناقضات الصارخة تظهر وفق ما أرى أننا لانتعامل مع تقاليد متباينة فحسب - وهو مايوافق عليه الرأي التقليدي، وإنما أيضاً أن الاسم (إسرائيل) أدخل بطريقة مصطنعة، آخذين بعين الاعتبار حقيقة أن هذه النصوص تُعتبر الأحدث من غيرها.

الخطوة الثانية التي أتبعها في عملية البحث عن أصول شعب التوراة الذي اكتسب في نهاية الأمر الاسم الجماعي (إسرائيل / بني إسرائيل)، فتعتمد التحقق

اللغـوي للنصـوص. والملاحظة الأولى في هذاالمجال الانتباه إلى أن العهد القديم لايتحـدث عن (أولاد يعقـوب)[٣]، أو(أولاد إسـرائيـل)، وإنمـا يشير لهم بصيغة (بنو يعقـوب / بني يعقب) و(بنـوإسـرائيـل / بني يسـرءل). أي أن التـوراة تقول بصريح العبـارة أن أبـو الأسبـاط المـزعـوم المسمى يعقـوب، لـم يكن شخصاً. ولوكان الأمر كذلـك لأطلقت على الأبنـاء المـزعـومين الاسم الصـريـح (أولاد يعقـوب) أو(أولاد إسـرائيـل). وقـد لايـرى البعض فرقـاً بين المصطلحين، لكنني لا أوافق على هذا الرأي، وهاكم البرهان الذي نجده في اللغة العربية.

تقـول المعـاجم العـربيـة إن المصطلح العربي «وَلَدُ الرجل» هو(رهطه)، أي قومـه وقبيلتـه، ومنهـا المثل [وُلْدُكَ مَن دمى عقبيك]، أي أن [وُلدك هو من نَفستَ به وصير عقبيك ملطخين بالدم فهو ابنك حقيقة، لا من اتخذته وتبنيته]. وقالت العرب أيضـاً أن «المُـولـدة» هي [التي وُلـدَت بين العـرب ونشأت مع أولادهم وتأدبت بآدابهم]، أما التي وُلدَت ببلاد العجم وحُملت فنشأت ببلاد العرب، فهي (تليدة). في الـوقت نفسـه نقـرأ أن «الأبنـاء»، هـم [قوم من أولاد فارس، ارتهنتهـم العرب... وغلب عليهم الاسـم]. وقيل أيضاً أنهم [الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لمـا جاء يستنجـدهم على الحبشـة.. فتـزوجوا في العرب فقيل لأولادهـم (الأبناء)، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهـاتهم من غيـر جنس آبـائهم]. ومن المعـروف لأي تلميـذ في التـاريـخ أن العـرب وظفت المصطلح «بنى على زوجتـه»، بمعنى (دخل عليهـا). والمقصـود بذلـك أن فلان من النـاس ضم إلى نفسـه زوجـة، فصارت من أهله، أو صار من أهلها.

ولـو كان المصطلح «إبن» فعـلاً يعني «الـولـد»، لكان للأول صيغة الفعل في اللغة العربية، لكن هذا ليس الحال.

كمـا يجـد رأي بخصـوص الفـرق بين المصطلحين دعم من حقيقة أن العرب عرفت قديمـاً التفـريق الـواضـح بين أولاد فلان وبني فلان. فهناك على سبيل المثال «أولاد إبـراهيم» و«بنـو إبـراهيم»؛ «بنو سليم» و«ولد سليم»؛ «بنو عبد الله» و«ولد عبد الله»؛ «بنـو علي» و«ولـد علي»؛ «بنـو محمد» و«ولد محمد»... إلخ. والمسألة هنا ليست في ما إذا وجـدت قرابـة بين العشـائر آنفة الذكر، وإنما في وجود برهان حي أن

العرب ميزت بين القبائل المسماة (بني)، أي المنضمة تحت لواء القبيلة الأم، وتلك المسماة (ولد)، أي المنحدرة مباشرة منها.

وحيث أن كافة النصوص التوراتية التي تتحدث عن يعقوب / بنويعقوب، لاتوظف التعبير (ولد / أولاد ـ ولد)، وبلغة التوراة «يلد / يلديم»، بل تسجله بصيغة (بني يعقوب ـ بني يعقب)، فإن هذا إثبات واضح أن بعض الأسباط إكتسبت الإسم (يعقوب / بني يعقوب) في مرحلة لاحقة من تطورها الاجتماعي. وحيث أن العربية، وهي اللغة «السامية» الحية الوحيدة الأقدم من ناحية تركيبها، تُفرق أوفرَّقت بشكل واضح بين الإبن والولد، فإنه من الصحيح الإستنتاج بأن الأسباط عرفت هذا التفريق أيضاً حيث وجد كلا المصطلحين في لغة التوراة.

لكن هناك من أهل الإختصاص من يرى أن التوراة نادراً ماوظفت المفردة «يلديم»، أي (أولاد)، ولكنها كثيراً ماأشارت إليهم بتعبير «زرع» أي «نسل»، أي أن التعبير (بني يعقوب / بني إسرائيل) لايعني بالضرورة أن الأسباط لم تكن من سكان المنطقة. رغم أن هذا الرأي جدير بالانتباه، لكنه لايأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن التوراة تعترف بصريح العبارة أن «أرض الميعاد» كانت لشعوب أخرى ـ مثلاً سفر التثنية ٧: ١، ٦.

والملاحظة الثانية التي أود لفت الانتباه إليها هي أن العهد القديم لايعرف يعقوب كاسم علم باستثناء أبي الأسباط المزعوم[٤] إن هذا الغياب للاسم في التوراة يدعم رأيي بأن يعقوب كان اسم أحد آلهة المعبد الوثني للأسباط ليس إلا[٥].

والآن، إذا أخذنا ماذكرناه من حقائق في وحدتها الداخلية وبشكل جماعي، نجد أن تفسير الأستاذ كمال الصليبي للاسم (يعقوب) الذي اقترحه في مؤلف «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» ص ١٨٣ ـ ١٨٤، والذي يُرجعه إلى «العقبة»، أي (مسالك الجبال)، هو الصحيح. بمعنى أن بعض الأسباط عُرفت باسم «يعقوب»، ليس نسبة لجد أعلى بالاسم، وإنما لأنها كانت تقطن مناطق العقاب بين السراة وتهامة. ومما يثبت ذلك وجود العديد من القرى التي تحمل الاسم (عقبة) و(اليعاقيب)[٦]. لكن ورود الاسم بصيغة (بني) بدلاً من (ولد)، يظهر أن حامليه لم يكونوا من السكان الأصليين، وأنهم اكتسبوه بعيد حلولهم في الاقليم.

وقد يرى البعض أن الأمر التبس على محرري التوراة لأنهم سجلوها بعيداً عن محيطها الحضاري والجغرافي، ولأنهم كانوا ينتمون لأجيال لم تكن لها علاقة متينة بالبيئة الأصلية لتاريخ بني إسرائيل. لكني أعتقد أن العبث بالنصوص لم يكن نتيجة خطأ في الاجتهاد، وإنما تم عن سابق تعمد. أعني بذلك أن «المحقق» أو «المحرر»، دمج روايات مختلفة وأضاف وحذف منها كما شاء حتى يتطابق النص مع رؤياه التي تشدد على الوحدة الأولية لشعب التوراة، وهو الأمر الذي يتفق عليه أهل الاختصاص بخصوص مجمل التوراة وقد أشرت إليه في الفصل الأول من العمل.

لكننا نعلم أن التوراة لم تتحدث عن «اليعقوبيون» أو «اليعاقيب»، بل أنها كانت تشير إلى الأسباط باسم جامع هو (إسرائيل / بني إسرائيل)، أي كاسم لتجمع قبلي محدد تعبد في نهاية المطاف ليهوه. وهذا ينقلنا لمسألة الاسم إسرائيل ولجذور شعب التوراة.

مما لاشك فيه أن «يسرءل»[7]، هكذا دوماً دون أداة تعريف، اسم مركب من («يسر» و«ءل»). ومن المعروف أن الأخير أسلوب قديم أطلق على الله، أو على الذات الإلهية بالأحرى، والذي كثيراً ماتكرر ذكره في النصوص القديمة العائدة لمختلف ممالك المشرق العربي. أما الشيء غير المفهوم فهو معنى المفردة «يسر»، رغم أن العهد القديم يقول ضمناً في سفر التكوين ٣٢ : ٢٢ ـ ٢٩ بأنها مشتقة من الفعل «سره»، بمعنى (يجاهد)[8]. لكن هذا التفسير غير مقنع لأن التوراة لاتعرف هذه المفردة التي لاترد في التوراة سوى مرة واحدة فقط في سفر هوشع ١٣ : ٣ ـ ٤، علماً بأن المراجع المختصة تعترف بأن المعنى «غير واضح» لأنه من فعل ممات. لكن الشيء الجلي هو أن هذا التفسير ينتمي لضرب الخرافات الشعبية، وأقحم في النص بهدف وضع أرضية لاهوتية لتحريم التوراة أكل عرق النسا. ومما يزيد من صعوبة قبول تفسير «المحرر» للاسم أن الاستنتاج الوارد في الخرافة آنفة الذكر، يتناقض مع الرواية التي تشير إلى أن يعقوب هذا خسر المعركة أصلاً[9]. هذه التناقضات تبرر تماماً إهمال هذا التفسير، وتستدعي البحث عن معان أخرى للاسم. لكن قبل مباشرة ذلك سأستعرض بشكل مقتضب بعض الآراء التقليدية الرئيسية بخصوص هذه المسألة حتى يتبين للقاريء ضعف القاعدة التي تستند إليها.

لقـد سُجـل الاسم «يسـرءل» في «السبعـونية» بصيغة Israhl ، وظهر في نقش الملك الآشوري شلمناصر الثالث (حوالي ٨٤٠ ق.م) بصيغة «شر ـ ء ـ لء ـ ءي / sir- i- la- ai)، ويرى بعض العلماء أن الاسم ورد في نقش الملك المصري مرنفتاح[١٠] بصيغة (ي ـ س ـ ر ـ ي ـ ر ـ / y- si- r- r ، إلا أن الكثير من علماء اللغة المصـريـة القديمة يرفضون هذا الاجتهاد جملة وتفصيلاً. وحتى لو افترضنا صحته، فإنه لايؤثر على بحثنا هذا. في الوقت نفسه فقد عثر على نقش أوجاريتي يحوي اسم علم بصيغـة (يشـرل ـ ysril)، لكن لايـوجـد اتفـاق حول ما إذا كان الاسم هو نفسـه «يسرءل» الوارد في التوراة.

أمـا علم التـوراة فلم يتمكن حتى الآن من تقـديم شرح موحـد أو حتى واضح للاسم إسـرائيـل. فهنـاك من العلمـاء من يقبل بالتفسير الوارد في سفر التكوين ٣٢: ٢٢ ـ ٢٩، بمعنى (عَـارك) ـ في التـرجمـة العـربيـة (جـاهدت)، والمترجم للعربية (لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت)[١١].

وهنـاك من يرى أن «ء ل» ليست مفعـولاً به، وإنمـا فاعـل، مفسـرين بذلـك المعنى على أنـه (إيـل حَارَبَ، إيل عَارَكَ). ومن مدارس التفكير الأخرى القائلة بأن المعنى مأخـوذ من الفعـل «يشـر»، بمعنى (استقـامـة، إخلاص) ـ أنظر سفر الملوك الأول ٩: ٤، أي أن الاسم يعني (إيل)، أو (الله مستقيم).

لكن هنـاك من يتمتـع بخيـال أوسـع حيث اعتقد بالعثور على جذر الاسم في المفردة الإيجية الإغريقية (إسر ـ iser)، بمعنى (مُقَدَّس). ويضاف لذلك مجموعة أخـرى من الاجتهـادات التي لاتخلو من الغرابة، ومنها القائلة بأن الاسم إسرائيل هو صيغة مختزلة لـ«ءيش راحيل»، أي (الرجل «الذي من قبيلة» راحيل)! أو أنه اختصار لـ«يه سعير هوء عيل»، حيث فُهم أن «يه»، هي صيغة مختصرة لاسم إله التوراة يهوه. أي أن معنى الاسم (إله سعير هو يهوه).

ونتيجـة لهـذه الارتبكات الواضحة، اقتنع بعض علماء التوراة بضرورة اللجوء للغـة العـربيـة حيث رأى البعض أن الـرديف للمفـردة «يسـر» هي العـربية «شري»، بمعنى (اللمعـان)، علمـاً بأن هذه المفـردة لاتعني لمعـان البرق، وإنما تتابعه. في كافة الأحوال، فقد أُوِّل الاسم ليعني (إيل يشع)!.

وقد وجدت أفكار أخرى بهذا الخصوص ليس هناك من داع لذكرها لأنها لا تقدم ولا تؤخر في هذا المجال. لكن منهجية الاستعانة بالعربية هي الصحيحة بشرط التجرد من الأحكام المسبقة التي تبحث عن حبل للنجاة.

باستشارة المعاجم المتخصصة، نقرأ أن الفعل «يُسر» يفيد ضمن معان عديدة (اللين والانقياد.. للإنسان والفرس). هذا يجعلني أرجح أن الرديف العربي للاسم الأوجاريتي الآنف الذكر[١٢] مشتق من معنى (الانقياد)، وتكون الصيغة العربية للاسم هي (عبد إيل)، أي «عبد الله».

ويأتي في مادة «سرا»، أن (السرو) يعني «المروءة والشرف»؛ و(سَرو الرجل يسرو)، يعني «ارتفع» أي رفيع مأخوذ من سراة كل شيء، أي ماارتفع منه وعلا والجمع سروات». و(سَري إبله وماله) تعنى «اختار». و(سراة كل شيء)، هي «أعلاه وظهره ووسطه). و(سراة النهار وغيره)، هي «ارتفاعه». و«سرو الشرب» تعني (تنقية الشربات ـ أي المكان الذي يشرب منه). و(السرو) أيضاً «ماارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل». و(السرو) أيضاً «من كبار الشجر ينبت في الجبل». و(السُرى) تعني أيضاً «الكشف والإزالة»[١٣].

ويفيد الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، بأن (السر)، تعني ضمن أشياء أخرى (الأرض الكريمة وجمعها أسرار وسرائر وجمع الجمع أسارير، والتي تعني أيضاً ماطاب من الأرض وكَرُم).

وهناك الكثير من المعاني الأخرى التي ترد في القواميس العربية، لكنني أعتقد أنه وجب البحث عن المعنى الأصلي في الصيغة الأخيرة. ومن الغريب أن أهل الاختصاص لم ينتبهوا إلى حقيقة أن الاسم (إسرائيل)، والمكرر مفرداً أو مركباً أكثر من ألفي مرة[١٤] في العهد القديم، لا يرد إطلاقاً مسبوقاً بأداة التعريف بما يثبت أن أصل الاسم جغرافي. بهذا فإنه من الصحيح الاستنتاج أن الرديف العربي لـ«يسرءل» هو (السراة ـ ءل سرءه)، والذي هو اسم المناطق المرتفعة شرقي الشفا في غرب جزيرة العرب. أي أن المقصود أصلاً بإسرائيل هو (الأرض المُكرمة من الله)[١٥]. كما أني مقتنع بأن «ماطاب من الأرض وكرم» هي الأرض التي «تفيض لبناً وعسلاً» التي وعد يهوه أتباعه بها، أي (أرض الميعاد)[١٦].

بهـذا يمكننـا أن نستنتـج أن محـرري العهـد القـديم لم يفهمـوا معنى الاسم إطـلاقـاً، أو لنفتـرض ذلـك، لكنهم حاولـوا تقـديم شرح لاهوتي للاسم بما جعلهم يستعينـون بالخـرافـة الـواردة في سفر التكوين ٣٢ : ٢٢ ـ ٢٩ . أما علماء التوراة فقد أهملوا الاستعانة بالعربية رغم أن البعض حاول ذلك، لكن دون التمسك بالانسجام الـلازم مع روح المسألـة . والشيء المثيـر للانتبـاه هو أنـه بالإضـافـة إلى عدم إدراك الطبيعـة الجغـرافيـة للإسم، غاب عن الباحثين حقيقة أنه لا يرد بصيغة الجمع . هذا عدا عن أن التـوراة لاتستخـدم المصطلح «إسرائيلي ، إسرائيلية» ، للدلالة على أفراد سوى مرتين، واحـدة في سفـر الـلاوين ٢٤ : ١٠ ـ ١١ والأخـرى في سفـر صموئيل الثاني ١٧ : ٢٥ ، علماً بأن الأخيرة قرأت «إسماعيلي» في بعض النسخ[١٧] . ويلاحظ أيضـاً أن سفـر الـلاويين يسجـل أن هذا الرجل الإسرائيلي كان ابن رجل مصريمي[١٨] ، ويضيف بتشـديـد على أن أمـه كانت من سبـط دان . حيث أن ناقـدي العهـد القـديم ومحرريه لم يتمكنوا من تقديم فهم معقول للاسم، فمن الطبيعي الاستنتاج بأن الاسم عريق في قدمـه، وأن الأسبـاط اكتسبت الاسم لاحقـاً، فرادى أو مجتمعة، ولأسباب بقيت مجهـولـة بالنسبـة لهم . هذا يعنى أيضـاً أنهم اضطـروا في عملية البحث عن أصول شعبهم المنـدثـر للانتهـال من التراث الخرافي الشعبي وابتداع شخصية أسطورية أو خرافية بالاسم لإعطاء الانطباع بوحدة الأصول منذ البداية .

وانطـلاقـاً من أن التـوراة لاتـوظف المصطلح «أولاد إسـرائيل» إطلاقاً، وإنما تستخـدم التعبيـر «بني إسـرائيـل» ، فإن هذا لدليل إضافي على أن الأسباط اكتسبت الاسم (إسرائيل) بعيد انتقالها للاستقرار بمنطقة السراة . وحيث أن التوراة لاتذكر أي شخص من الأسبـاط دون ذكـر إنتمائه القبلي أو العشائري ، فمن الواضح أن محتوى الاسم إسـرائيـل لم يكن ذا أصـول إثنيـة أو جغـراسيـاسية ، وإنما استخدم للتعريف برابطة دينية ليس إلا ، لكن دون أن يعني ذلك أن النصوص التوراتية المتأخرة قصدت معنى أوسع من ذلك بكثير.

لكن شعب التوراة لم يتكون فقط من بني يعقوب وبني إسرائيل فقط لأن العهد القديم يذكر تجمعاً قبلياً ثالثاً باسم يهوذا انضم للتحالف في فترة زمنية لاحقة . فغياب سبط يهوذا وغيره من القائمة الواردة في سفر القضاة ٥ : ١٤ ـ ١٨ ، يوضح أن الأخير

كان يشكـل قسمـاً مستقـلاً تمـاماً عن بني إسرائيل الرابطة الدينية أو التجمع القبلي.
ومما يؤكـد أن يهـوذا كان تجمعاً قبلياً مستقلاً ذكر التوراة لعشائر حسبت أيضاً منها، ومنهـا (الكلبيـون ـ نسبـة لكـالب بن يفنـه»[١٩] اليـرحملئيين ـ في النص الأصلي «هيـرحمءلي» ـ أنظر سفر صموئيل الأول ٢٧ : ١٠؛ عثنئيل[٢٠]؛ بنو قيني، أي «بنو قيني» الوارد ذكرهم في سفر القضاة ١ : ١٦، ويشورون المشارلهم في سفري التثنية ٣٢ : ١٥، ٣٣ : ٥، ٢٦ وإشعيـا ٤٤ : ٢ بصيغـة «يشـرون». وقد قدمت في مؤلفي الأول عن الموضوع دعماً إضافياً لاجتهاد كمال الصليبي القائل بأن الاسم يهوذا (في التوراة يهوده)، مشتق من المفردة (الهواد)، بمعنى (الأراضي المنخفضة)[٢١]، حيث تبين أن تخـوم ذلـك السبـط كانت تقع ضمن منطقة تهامة عسير. ولا بأس من التذكير مجدداً بأن الإخباريين العرب كانوا يضعون الاسم (هود) في قوائم أنسابهم بدلاً من (عابر) الذي يرد في التوراة.

إذن، المصطلح أو الاسم «إسـرائيـل» أقـدم من الأسبـاط التي أخـذتـه بعـد استقرارها في بلاد السراة. هذا يعني أنه من الصحيح القول بأنه وجدت هناك شعوب أخرى في المنطقة اعتبرت نفسها إسرائيلية، أو لنقل أنه كان من حقها أن تقول بأنها هي إسـرائيـل / بنـو إسـرائيـل الأصليـة. وبكلمات أخرى، هل هناك أي اعتراض معقـول لعـدم الاعتراف بالحق الشرعي للهنود الحمر في أمريكا في القول بأنهم هم «الأمريكيون» الأصليون. لكن نظراً لعدم توفر أية معلومات لدينا بأن تلك الشعوب، مثـل الأمـوريين والفـرزيين واليبـوسيين والحثيين والحويين والعناقيين[٢٢].. إلخ، قد شكلت مملكـة موحـدة أو أنهـا كانت قد أطلقت على نفسهـا الاسم (إسـرائيل / بنو إسـرائيـل)، بل كان معظمهـا من ممـالك المدن[٢٣]، فإنه من الصحيح تسمية شعب التوراة (بنو إسرائيل). فنجاح الأسباط في تأسيس مملكة مركزية في عهد داود منحها الفـرصـة للأخـذ بهذه التسمية. لكنه علينا تذكر أن التعبير لا يعني الأبناء الأصليين، وإنما المنضمين تحت لواء أهل البلاد.

ومن المثير للانتباه أن التوراة تشير إلى عنصر إثني في هذا التحالف الديني كان آرامي الانتماء، وإن تم ذكره بشكل عابر وفي مقاطع متناثرة. فسفر التكوين ٢٥ : ٢٠ يسجل أن إسحق، أي والد يعقوب، كان (ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة

بنت بتوئيل الأرامي أخت لابان الأرامي). كما ترد إشارة أخرى لهذا العنصر الأرامي في سفر التكوين ٣١: ٤٦ ـ ٤٧ الذي يسجل (. . فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك على الرجمة. ودعاها لابان يجر سهودتا[٢٤]. وأما يعقوب فدعاها جلعيد). ولايكل «المحرر» من التشديد على هذه المسألة ذلك أن سفر التثنية ٢٦: ٥ يُلزم بتذكر الأصول مسجلاً (. . . ثم تُصرّح وتقول أمام يهوه إلهك: آراميا تائهاً كان أبي). لكن مسألة الأصول لم تكن ذات مغزى لأنبياء بني إسرائيل أو لحكامهم، رغماً عن أنها كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للكهنة أو الأحبار، ولنا عودة لاحقة لهذه المسألة في فصل تال.

ومما يدعم رأيي بأن العهد القديم لايحصر الاسم إسرائيل / بني إسرائيل دوما بالأسباط فقط، وأنه كان ذا محتوى ديني عند الكهنة، حقيقة أن سفر راعوت «روت» مخصص لتأكيد أصول داود المؤ ابية[٢٥].

إذا أردنا تلخيص ماوصلنا إليه من استنتاجات، نقول أن الأسباط والتي تراوح عدد عشائرها من ١٢ إلى ٧٠، تشكلت من أصول قبلية ثلاثة هي «بنو يعقوب» بمعنى أبناء العقاب»، «بنو إسرائيل»، أي «أبناء السراة»، ويهوذا، أي «أبناء الهواد»، أي «تهامة»، وكانت جذور جميعها عربية أعرابية. وقد كانت تلك الأسباط تتكلم بلهجة كنعانية بينما وجد أقلية منها تتحدث الآرامية. وبعد انتقالها من حياة التنقل، أي «العَبريَّة» أو «العابرية»، أي «العربية»، إلى الاستقرار في بلاد السراة، دخلت في تحالف قبلي ذي مكونات دينية كانت إحدى نتائجه تخلي الطرف المتحدث بالآرامية عن لغته وأخذه اللسان الكنعاني.

هذا لايعني مطلقاً أن الاسم إسرائيل / بني إسرائيل استخدم دوماً للإشارة إلى الأسباط كشعب، أي بمعنى جغراسياسي. فهناك العديد من الصيغ التي تبين أن الاسم وظف للدلالة على طائفة دينية، ومنها النص الوارد في سفر صموئيل الثاني ٦: ٥ الذي ينقل العلم بأن (داود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام يهوه. . .). ويضاف لذلك صموئيل الثاني ٦: ١٥ القائل بأن (داود وكل بيت إسرائيل صاعدين مع تابوت يهوه، بالهتاف وعلى «ألحان» صوت البوق). لكن النص الوارد في سفر الملوك الأول ١٢: ٢٠ الذي يسجل أنه (لما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا

فدعـوه للجمـاعـة وملكـوه على جميـع إسـرائيـل. لم يتبـع بيت داود إلا سبط يهوذا وحـده)، يوضـح أن الاسم «جميـع إسـرائيـل» يشيـر هنـا إلى طائفة أولمجمع ديني محدد، عدا عن أنه لم يضم يهوذا.

لكن مايهمنـا من كافـة النصـوص التي يرد فيهـا الاسم إسرائيل / بنو إسرائيل منفـرداً أو مركبـاً، هو الجـانب الجغـراسياسي لأن تأسيس المملكة بقيادة داود شكل منعطفاً حاسماً في تاريخ شعب التوراة وأعطى الاسم بعداً جديداً. أي أن التوراة لم توظف الاسم (إسـرائيـل / بني إسـرائيل) بشكل ثابت، بل أن محتواه كان يتغير وفقاً للظـروف السيـاسية الإثنية المتقلبة. بكلمات أخرى، إن تأسيس مملكة داود أعطى الاسم محتـوى جديداً بحيث أضحى يشيـر لكـافـة السكان الواقعين ضمن إطارها، وهذه نقطة أساسية لايمكن تجاهلها. فالقراءة الدقيقة للعهد القديم، تبين أن داود لم يعتبـر نفسـه رئيساً دينياً أو زعيماً لقبيلة، بل حاكماً على كافة الأقوام التي كانت تعيش ضمن حدود مملكتـه، ولـم تكن مسألـة ديانتهم لتؤثر في سياسته تجاههم، هذا رغم أنـه كان على دين يهـوه على مايـروى عنـه. كمـا أن النصـوص ذات العلاقة تظهره، كسيـاسي ذي حنكة، أي رجل دولة. ومن دلائل ذلك أنه لم يقم بإبادة الشعوب التي لم تكن «إسرائيلية» وفق فهم «المحرر» بعد تمكنه من تحقيق نوع من الثبات لسلطته في مواجهـة خصـومـه وأعـدائـه. على العكس من ذلـك، فقـد وظفهم في مواقـع حسـاسـة، ومنهم أوريـا الحثي والجتيين وفلشتيم «في التـرجمـة التقليـديـة ـ الفلسطينيين» ـ أنظـر سفـر صمـوئيـل الثاني ١٥ : ١٨ ـ ١٩. كما تتجلى طبيعة داود السياسية وحنكته بشكل أسطع فيما تورده التوراة في سفر صموئيل الثاني ٢٤ : ١ ـ ٨ عن أمـره بإجـراء إحصـاء لسكـان مملكته. ومن خلال القراءة الدقيقة لتخوم المنطقة التي أُجـري فيهـا هذا الأمـر الإداري، تبـين أنهـا ضمت أراضي مؤاب والحـويـين والكنعـانيـين والكلبيين واليبـوسيين، وبـالتـالي شعوب هذه المناطق[٢٦]. ويبد أن تأسيس إسرائيل المملكـة بقيـادة داود شكـل حدثـاً تاريخيـاً هاماً في الإقليم مما جعل الأخير يضحي الإلـه وُدّ عنـد بعض العرب قبـل الإسلام. لكن ضيق أفق «المحرر» الكهنوتي، هو الذي جعله يعارض سياسة داود التي كانت تقوم على الاعتراف بأنه ليس زعيماً محلياً لطائفة محددة، وإنما حاكماً على مواطني مملكته. فإسرائيل لم تعن للأخير تجمعاً

دينياً أو إثنياً، بل كياناً جغراسياسياً، وهذا بالضبط ماأثار ضده محرري التوراة[٢٧] لأن فهمهم الديني الإثني أو العرقي تخلف عن مسيرة الزمن والركب التاريخي الطبيعي. وهو مايشرح معارضتهم الشديدة للإحصاء الذي رأوا فيه تجلياً لغضب إلههم، ودفعهم للوم داود لأنه عنى إدخالاً لعناصر إثنية خارجية. أي أن «المحرر» ضيق الأفق حاول ورغم إرادة التاريخ، حصر الاسم (إسرائيل) في مجموعة محددة من الأسباط.

في الوقت نفسه، نرى أن «المحرر» اتخذ موقفاً منحازاً لسليمان بن داود، ولايمل من كيل المديح له. لكن المتابعة الدقيقة لعهد سليمان التوراة تبين أنه كان أبعد مايكون عن الحكمة. فولعه غير العادي بالنساء جعله يستحق صفة زير نساء من الطراز الأول. أما ضعف مقاومته لكافة أنواع البذخ والترف ومتع الحياة الدنيا، فجعله أبعد مايكون عن الحكمة وأقرب للولد العاق الذي أضاع الثروة التي قضى الأب عمره في جمعها، وما أكثر مثل هذه القصص الحزينة في التراث الأدبي العربي والعالمي. فالتوراة تسجل في سفر الملوك الأول ٩: ١٠ ـ ١٣ بصريح العبارة أن سليمان آضطر للتنازل عن بعض أقاليم مملكته، وإجراء تعديلات حدودية لرد بعض الديون التي استحقت عليه من قبل بعض الممالك المجاورة. كما أن اهتمامه وبطانته ببذخ الحياة هي التي أدت بلاشك لتراخي جيشه الذي عُبِّر عنه بفقدان بعض أقاليم مملكة داود ـ أنظر سفر الملوك الأول ١٤ : ١١ ـ ٢٢. فأية حكمة هذه تؤدي إلى انهيار المملكة فورموت ملكها. إن تقسيم مملكة داود إلى إسرائيل ويهوذا بعد وفاة سليمان كانت النتيجة الحتمية لسياسة الأخير، والتي يمكن نعتها بأي صفة باستثناء الحكمة. أما الأحاديث التوراتية المطولة عن إنجازات عهده، فلا يمكن أخذها جدياً لأنها تدخل ضمن التراث الأدبي «الشعري» العام، هذا عدا عن أنها لاتنقل لنا أي عمل مادي محدد. وفيما يتعلق بمسألة الهيكل، فمن الضروري الإشارة إلى أن علماء التوراة ـ كثيراً في الخفية وقليلاً علناً ـ لايقبلون الادعاء بأن سليمان التوراة قام ببناء أي معبد، بل أنهم مقتنعون بأن الهيكل لم يكن أكثر من قاعة أوغرفة في القصر الملكي. ويلاحظ أيضاً أن مامن نبي أعار مسألة الهيكل، أي مركز التعبد في مكان واحد محدد، أية أهمية.

في كافة الأحوال، لقد بحثت في التوراة عن سبب واحد محدد ومعقول لهذا

المـديـح، لكن دون جدوى بمـا أقنعني بأن سياسة سليمان التي قامت على استعباد الشعـوب الأخـرى المقيمـة بالمملكـة وإستثنائها من المشاركة في السلطة، شكلت القـاعـدة الوحيدة لموقف «المحرر» الإيجابي تجاهه. أي أن نص سفر الملوك الأول ٩ : ٢٠ ـ ٢١ الـذي يسجـل أن (جميـع الشعب البـاقين من الأمـوريين والحثيين والفـرزيين والحـويين واليبـوسيين الـذين ليسوا من بني إسرائيل، أبناؤ هم الذين بقوا بعـدهم في الأرض الـذين لـم يقـدر بنو إسرائيل أن يحرموهم ـ أي يقتلوهم؛ ز. م. ـ جعـل عليهم سليمـان تسخيـر عبيـد إلى هذا اليـوم)، هو منبع مديح الكهنة لسليمان وعهـده. ويؤكـد سفـر التثنيـة ١٧ : ١٦ سيـاسـة سليمـان القـائمـة على اضطهـاد «الـلاإسـرائيليين» حيث يفهم من النص إشـارة لقيـامـه بتحـويلهم إلى رقيق، وثم مقايضتهم بالخيول التي ولع بجمعها على مايقال.

مختصـر القـول، إن سليمـان، وعلى عكس أبيـه داود، شارك «المحـرر» الكهنـوتي في وجهـة نظـره القائمة على حصر إسرائيل في مجموعة معينة، وأنه عمل على تطبيقها نصاً وروحاً.

لكن موقف «المحرر» الكهنوتي الضيق الأفق، لم يتمكن من فرض سلطته في كافة نصوص التوراة، عدا عن أنه لم يلق أي تعاطف، لا من قبل أنبياء بني إسرائيل أو ملوكهم. فالعهد القديم يحوي الكثير من المقاطع التي ترفض الفهم الضيق للكهنة القائم على الصفاء العرقي. فمن الأمـور الجديرة بالملاحظة أن التوراة لاتحوي أية دعـوة منسـوبـة لأي نبي تطـالـب بشن حروب ضد الشعوب الأخرى، دفاعية كانت أو هجـوميـة، ناهيـك عن الـدعـوة لتصفيتهـا. فكلمـات النبي عاموس[٢٨] (ويل للذين يشتهون يوم يهوه. لماذا لكم يوم يهوه. هو ظلام لا نور)[٢٩] تنقل بلاشك رد ذلك النبي على تحـريضـات الكهنـة ضد الشعـوب الأخـرى. والأمـر ذاته ينطبق على قول نبي التوراة هوشع في الإصحاح ٤ : ١ ـ ٢ من السفر الذي يحمل إسمه، والذي يصرح بأن (جلعاد قرية فاعلي الإثم مدوسة بالدم، وكما يكمن لصوص لإنسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يقتلون نحو شكيم). ولاشك أن كلمات النبي إرميا المليئة بالألم (أيضـاً في أذيـالـك وجد دم نفوس المساكين الأبرياء) والوارد في سفر أرميا ٢ : ٣٤، كانت موجهة ضد الكهنة وسياسة سليمان أيضاً.

هذا يعني أن بعض الشعوب التي عاشت ضمن حدود إسرائيل الجغراسياسية قبلت باليهوَيَّة كديانة أساسها التوحيد. لذا فإنه من الطبيعي أنها طالبت بحقوقها داخل المؤسسات الدينية أو اللاهوتية النامية. وماالكلمات المنسوبة للنبي أشعيا (وكل أخوتكم من الشعوب الأخرى يُحضرون تقدمة ليهوه.. وأتخِذ منهم أيضاً كهنة ولاويين)[٣٠]، إلا إعتراف بحقوق ومطالب المتحولين أو المهتدين[٣١] لليَهْوِيَّة، بما يعتبر دليلاً إضافياً على أن الاسم إسرائيل لم يعن شيئاً ثابتاً إلا في ذهن الكهنة. وعندما قام الأخيرون بتحرير التوراة بعد اندثار إسرائيل المملكة وتبعثر شعبها على يد قوات نبوخذنصر، لم يخفوا معارضتهم لتعاليم الأنبياء. وهذا مسجل بصريح العبارة في سفر التثنية ٧: ١ - ٦ حيث تقرأ (متى أتى بك يهوه إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك، الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين، ودفعهم يهوه إلهك أمامك وضربتهم فعليك أن تبيدهم. لاتقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولاتصاهرهم... لأنك شعب مقدس ليهوه إلهك. إياك قد اختار يهوه إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض). كما أن الكهنة لم يقبلوا بتحول أحد إلى اليهوية، أو أنهم لم يعترفوا بحق المتحولين في المساواة مما جعلهم يسجلون (لايدخل عموني ولا مؤابي في جماعة يهوه. حتى الجيل العاشر لايدخل منهم أحد في جماعة يهوه إلى الأبد). وهناك إشارة خفية لهذا الموضوع ترد في سفر التثنية ١٧ : ١٤ - ١٥[٣٢]. أما اشتراط سفر التثنية ٢٦ : ٥ بأن (تصرح وتقول آراميا تائهاً كان أبي)، فيعتبر مؤشراً قوياً على أن الكهنة كانوا من الآراميين الذين دخلوا في التحالف القبلي واضطروا للتخلي عن لسانهم لصالح اللهجة الكنعانية التي تحدث بها أغلبية القوم.

بهذا يتبين أن قيام المملكة في إسرائيل شكل منعطفاً حاسماً في تاريخ شعب التوراة بحيث أدى إلى إضعاف سلطة الكهنوت لصالح السلطة الدنيوية، والتي لم تكن لادينية بشكل كامل، وإنما لاكهنوتية. هذا التطور أفقد الكهنة سلطتهم وسيطرتهم المباشرة على الشعب مما جعلهم يتحولون إلى مجموعة معزولة شكلت أسس اليهودية كديانة قائمة على مفاهيم طائفية ضيقة وتحولت من التوحيد للاقتصارية. ومهما كانت حقيقة الأمر، فمن الواضح أن قيام إسرائيل الجغراسياسية

أعطى الاسم بعداً أوسع من التحـديـد الكهنوتي الطائفي والضيق الأفق. وحيث أن حاملي هذه العقليـة لم يتمكنـوا من فرض رؤ ياهم ضمن إسرائيل المملكة، فقد تحولوا إلى طائفة دينية معزولة أنجبت اليهودية، وهذا موضوع القسم التالي.

هوامش القسم الثالث

١ ـ مثلاً سفر التكوين ٣٧ : ١ ـ ٢ .

٢ ـ قارن مثلاً سفر العدد ٣٣ : ٩ الذي يسجل « . . وكان في إيليم إثنتا عشرة عين ماء ـ أي بعـدد الأسبـاط ز. م ـ وسبعون نخلة . . »؛ كذلك سفر الخروج ٢٤ : ١ «سبعون من شيوخ إسرائيل»؛ أيضاً سفر القضاة ٩ : ٥ ، سفر حزقيال ٨ : ١١ وغيرها .

٣ ـ بلغة التوراة «يلدي يعقب»، «يلدي يسرءل» على التوالي .

٤ ـ هنـاك إشـارة واحـدة إلى (يعقـوبـا) ، في النص الأصلي «يعقبه» في سفر أخبار الأيام الأول ٤ : ٣٦ ، وهوليس الإسم (يعقوب) ، وربما حدث هناك إختلاط .

٥ ـ أنظر ملاحظتي في الفصل الأول حول مسألة القيمة العددية للأسماء .

٦ ـ ويضاف لذلك القبائل (عقبة) و(العقاب) بالحجاز.

٧ ـ بالعربية (إسرائيل) .

٨ ـ الأصح (يعارك) .

٩ ـ حرفيا «وانخلع حُق فخذ يعقوب» .

١٠ ـ حوالي ١٢١٩ ق . م .

١١ ـ بلغة التوراة « . . . . . كي سريت عم ءلهيم وعم ءنشيم وتوكل» .

١٢ ـ أي (يشرل ـ ysrl) .

١٣ ـ ويضاف لذلك أن (السرو) هي اسم «محلة جِمْيَر» .

١٤ ـ ٢٥١٤ تحديداً .

١٥ ـ أو «الأرض المُكرمة من إيل» .

١٦ ـ أنا مقتنع بأن بلاد السراة ـ الأصح «ءل سر ءه»، هي نفسها «طء نتر»، أي «بلاد الله» الوارد ذكرها في النقوش المصرية.

١٧ ـ قارن سفر أخبار الأيام الأول ١٢ : ١٧.

١٨ ـ في النسخة العربية «مصري».

١٩ ـ يشوع ١٥ : ١٣.

٢٠ ـ في النص الأصلي «عتني ءل» أنظر سفر يشوع ١٥ : ١٥ ـ ١٩.

٢١ ـ من الصدف المثيرة للانتباه في هذا المقام أن البلد الأوروبي «هولندا» يعرف بالاسم (الأراضي الواطئة)، وباللغة الانكليزية The Netherland . كما نجد أمثلة حديثة أخرى مرتبطة بمسألة أسماء الدول الحديثة. ومن ذلك (النمسا)، والمعروف بلغة أهل البلد، أي الألمانية، باسم Oesterreich ، بمعنى (إمبراطورية أستر). أما الاسم المستخدم في اللغة العربية، فهو مأخوذ من اللغة المجرية عبر الأتراك، ويعني «الذين ليس نحن»! والأمر ذاته ينطبق على اسم البلد «يوغسلافيا» بمعنى «السلاف الجنوبيين» في اللغة الصربكرواتية. وهناك أمثلة أخرى منها (الفينيقيين)، وهو الاسم الذي أطلقه الإغريق على سكان الساحل الشامي. وهناك الكثير من أهل الاختصاص من يعتقد بأن أصل الاسم الإغريقي يعني، والرأي مازال لبعض أهل الاختصاص، «اللون الأرجواني»، لأنهم كا نوا يستخدمونه لتزيين ملابسهم. شخصياً، أعتقد بضعف هذا التفسير لأن سكان الساحل الشامي لم يُعرفوا أنفسهم باسم جامع، وإنما كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (سكان جبيل)، سكان بيروت).. إلخ. وحيث أنه عُثرَ على قطعة نقد معدنية مكتوب عليها باليونانية الاسم (في فينيقيا) وبالكنعانية (بكنعان)، فمن الواضح بنظري أن الأخير هو ترجمة للاسم الأول ليس إلا. أما اجتهادي بخصوص الاسم (كنعان)، فهو أنه مشتق من الفعل (كنع)، بمعنى (استقر، أقام). أما حرف النون اللاحق فأعتقد أنه أداة التعريف العربية الجنوبية أو أداة الجمع اللاحقة، آخذين بعين الاعتبار أن المؤرخ الأغريقي هيردوت سجل في مؤلفه آنف الذكر أن السكان أبلغوه بأنهم قطنوا ساحل البحر الأحمر قبيل تشاؤمهم، أي رحليهم إلى بلاد الشام. بهذا، فإن الاسم (كنعان) يعني (السكان، المقيمون)، أو مايشبه ذلك. ومن المعروف أن الإسم الحالي للقطر العربي (مصر)، هو ترجمة للاسم «المصري» القديم، أي «طء»، بمعنى (أرض، مصر).

أنظر أيضاً اجتهادي بخصوص اسم (الجزائر) في فصل «شاؤول ومسألة فلسطين».

٢٢ ـ قارن مثلاً سفر يشوع ١١ : ٣، ٢٢.

٢٣ ـ قارن يشوع ١١ : ١، ١٠ و١٢.

٢٤ ـ الاسم «يجر سهودتء» آرامي ـ في الترجمة العربية (كلداني)، ويعني (كومة الشهادة). وقد عرف كمال الصليبي الموقع بأنه قرية (فرعة آل شهدا) بمنطقة رجال ألمع بعسير.

٢٥ ـ لقد بينت في مؤلفي السابق أن العهد القديم لم يعرف أي شخص بالاسم سوى مؤسس المملكة، هذا عدا عن صمته المطبق عن اشتقاق الاسم أو محاولة إعطاء تفسير له، وأضيف هنا أن النقوش العربية الجنوبية تورد الاسم بصيغة «وددءل»، أي (حبيب الله). كما أن يديديا «يديديه» يرد في التوراة كاسم ثان لسليمان ـ أنظر سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٢٥.

٢٦ ـ ولاشك أنها هي المذكورة في سفر القضاة ٣ : ٣ ـ ٦، حيث نقرأ (أقطاب فلشتيم «الفلسطينيين» الخمسة وجميع الكنعنيين والصيدونيين والحويين. . . كانوا امتحان إسرائيل بهم لكي يعمل هل يسمعون وصايا يهوه. . . فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم. . .).

٢٧ ـ قد يلتبس البعض بهذا الخصوص حيث أن التوراة تتخذ موقفاً مزدوجاً من داود تراوح بين اللوم والإدانة من جهة، وبين المديح من جهة أخرى. لكن يمكن فهم هذا التناقض في تقييم «المحرر» والكهنة من خلال تحليل موقف شبيه لأي عربي مسلم تجاه الدولة الأموية. فبينما يُقيم الأمويون بشكل إيجابي بسبب الفتوحات العظيمة التي نفذوها، والتي أدت إلى انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة العربية الإسلامية، فإنهم يلامون بشكل شديد بسبب موقفهم شديد القساوة تجاه علي بن أبي طالب وأتباعه. والأمر نفسه يسري على الموقف من الدولة العباسية. فبينما يقيم عهدا الأول بشكل جيد، فإن المؤرخين العرب المسلمين يعتبرونهم مسؤولين عن إدخال عناصر غير عربية للدولة بما أدى في نهاية الأمر إلى سيطرة الأخيرين عليها ومن ثم إلى إنهيارها. كما نجد موقفاً دينياً مشابهاً يتمثل برأيي في الحديث المنسوب للنبي العربي والقائل (أحبوا العرب لثلاث، لأني عربي، ولغة القرآن عربية ولغة أهل الجنة

عربية). وحيث أن القرآن لم يفرق بين المسلمين إلا من خلال التقوى، فإني أشك شخصياً في صحة هذا الحديث، وأعتقد أنه من ابتداع الأمويين.

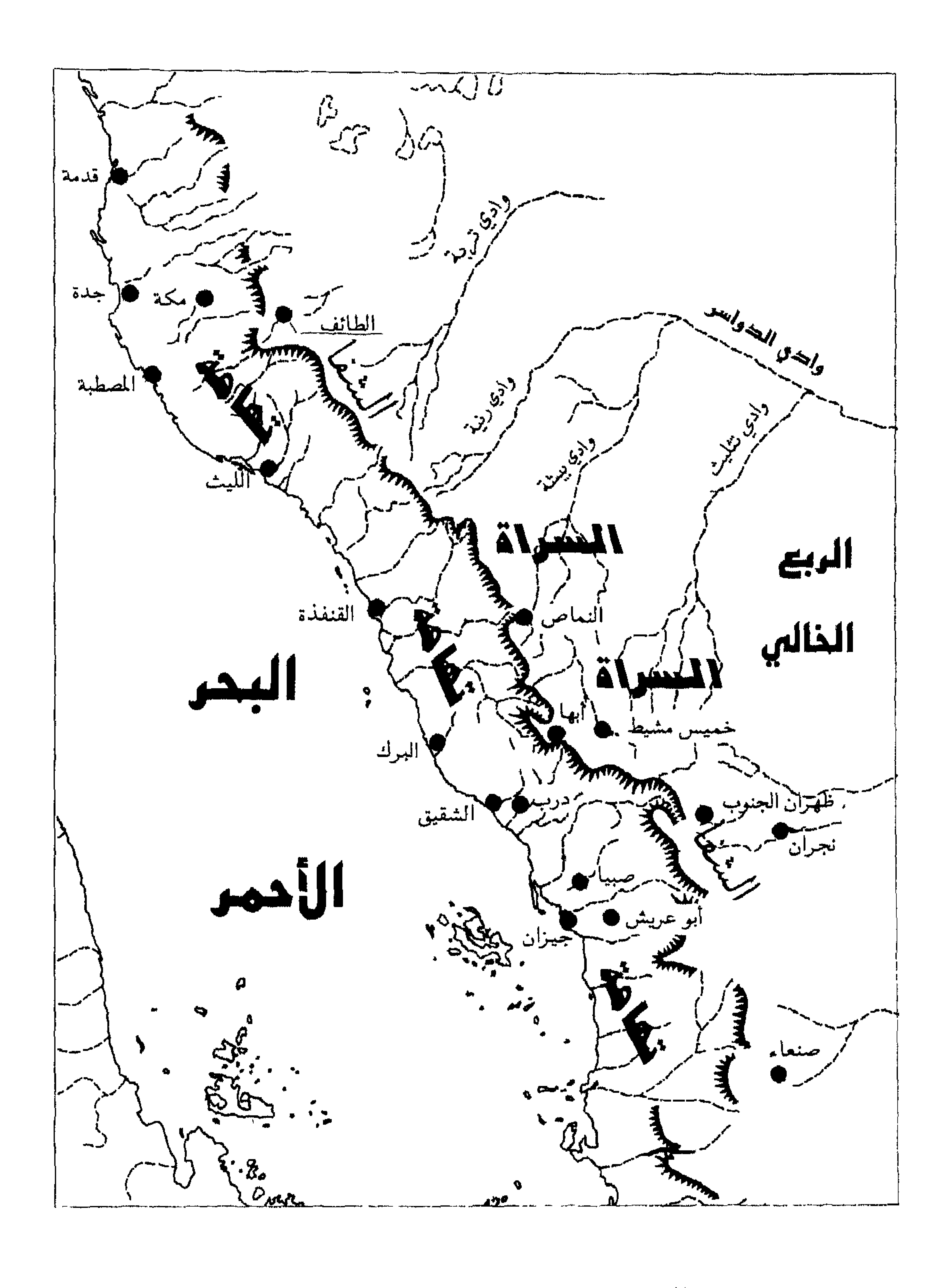
٢٨ ـ نشط في يهوذا إبان عهد يوآش (٧٨٧ ـ ٧٤٧ ق.م).

٢٩ ـ عاموس ٥ : ١٨.

٣٠ ـ انظر سفر إشعيا ٦٦: ٢٠ ـ ٢٢.

٣١ ـ بالإنجليزية، (converts, proselytes).

٣٢ ـ (متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك يهوه إلهك وأمتلكتها وسكنت فيها، فإن قلت اجعل علي ملكاً كجميع الأمم الذين حولي؛ فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره يهوه إلهك. من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً. لايحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك).



مدن عسير الرئيسية

الفصل الرابع

اليهوية واليهودية

لقد تبين من الاستعراض السابق أن أصول بني إسرائيل تعود في بدايات تشكلها إلى مجموعة من الأقوام قيل أن عددها تراوح من ١٢ إلى ٧٠ عشيرة وقبيلة. كما وتم إثبات أن الجامع الوحيد لهذا التجمع القبائلي، كان التعبد لإله أعلى تحول إلى واحد أحد أطلق عليه في نهاية الأمر اسم يهوه، وفي الترجمة التقليدية (الرب). ورغم أن تلك الديانة التي كانت قائمة على تعاليم مبسطة قوامها التوحيد، وربما أيضاً الاختتان وبعض من الوصايا العشر حُصرَت في بداياتها في قبائل محددة، فإن التطور الاجتماعي التاريخي وقيام المملكة بقيادة داود بن يسي قاد ضمن أشياء عديدة إلى دمج أقوام لم تعتبر من الأسباط في ذلك الشعب. وقد عُبر عن ذلك في الإحصاء الذي جرى في عهد داود[1]. وقد تبين لنا أيضاً أن مشاركة قبائل جديدة في ذلك التحالف كان عملية مستمرة. وهناك من علماء التوراة من يرى أن الإحصاء الآنف الذكر مسألة رمزية تهدف إلى التضخيم من حجم مملكة داود، عدا عن أن المقصود بذلك إحصاء الرجال فقط بهدف تنظيم الجيش. رغم ذلك، وجب الأخذ بعين الاعتبار أن التقليد الكهنوتي الذي لم يكن معارضاً لأية حروب تشنها إسرائيل، وقف

بكل قوة ضد «الإحصاء»، بما يؤيد وجهة نظري بأن داود عامل كافة السكان بشكل متساو، ودون تفريق بين بني إسرائيل «الأصليين»، وبين المنضمين لهم.

وقد أشرت في القسم السابق إلى أن التوراة تنقل أن أنبياء بني إسرائيل، وعلى عكس بعض كهنة يهوذا، وقفوا إلى جانب توسع ونشر اليَهْويَّة بين أقوام الإقليم وغيره، بل أنهم وكما هومتوقع، رحبوا بالمهتدين الجدد وطالبوا بمساواتهم مع الرعيل الأول من المتحولين. أي أننا نرى تفرع اليَهْوِيَّة في اتجاهين متوازيين مستقلين عن بعضهما البعض. وقد تبنى أنبياء بني إسرائيل الاتجاه الأول التجديدي المنفتح على شعوب الإقليم بينما تزعم الكهنة أوبعض منهم، اتجاهاً طائفياً إثنياً ضيق الأفق حاول في البداية حصر هذه الديانة في الأسباط وحدها من خلال مقولة (شعب الله المختار) و(أرض الميعاد)، ثم من خلال إدانة مملكة إسرائيل، وبالتالي جعل يهوذا وكهنتها تحديداً الممثلين الشرعيين الوحيدين لتلك التعاليم. لكن حيث أن قيام الملكية وحصر السلطة في قيادات دنيوية لم يُمكن الكهنة من مع تحول شعوب الأقاليم لليهويَّة، فقد علموا ما بوسعهم على محاولة حصر المؤسسات الدينية لليهوية في نسل هارون الذي كانوا ينتمون، أو يدعون أنهم ينتمون إليه.

وحيث أن التوراة سجلت من قبل كهنة نشطوا في يهوذا، وهذه مسألة معروفة ويجمع عليها أهل الاختصاص، فإن تعاليمهم اكتسبت في نهاية الأمر إسم «اليهوذية / اليهودية». ومما ساعد في تثبيت هذا الاسم أن قوات سرجون الثاني الآشوري قضت قرنين من الزمان قبيل انتهاء يهوذا على مملكة إسرائيل التي كانت في حالة صراع دائم مع الأولى، وتمت بعشرة سكانها في مناطق مختلفة من الإقليم وخارجه. لذا، فإن مملكة إسرائيل لم تترك لنا أي أثر متكامل لا عن تاريخها ولا عن وجهة نظرها بخصوص تاريخ بني إسرائيل ككل، ولا عن آراء كهنتها بخصوص اليَهْويَّة، أو تلك المتعلقة بتقييمهم لتعاليم كهنة يهوذا. وحيث أن الفرس تمكنوا من القضاء على الدولة البابلية فترة تاريخية قصيرة بعد سبي يهوذا، فقد توفرت الفرصة للكهنة اليهوذيين فرصة المحافظة على نوع من الرابطة الداخلية فيما بينهم، وتسجيل وتطوير تعاليمهم المنبثقة عن اليهوية في كتاب مقدس يعرف في التراث العربي

الإسـلامي بالاسم «التـوراة» . وبمـا أن كهنـة يهـوذا اعتبروا أنفسهـم الورثة الشرعيين الـوحيـدين لكـل بني إسـرائيل، لقد كان من الطبيعي أن تحوي التوراة تاريخ مجمل ذلـك التحـالف القبلي، وإن كانت التعليقـات الـواردة هنا وهناك منحازة إلى طرف، وهذا شأن كل كَتَبَة التاريخ.

لقـد قلنـا أن اليَهـوِيَّـة لم تكن محصـورة في الأسبـاط التي تسجل التوراة أنها نشأت بينهم، لأن عدد تلك القبـائـل والعشـائـر وانتماءهـا وكمـا بينت في القسم السـابق، كان عرضـة للتغييـر المستمـر. أي أن التطور التاريخي كان يجذب أقواماً جديـدة لليهـويـة، بينمـا إبتعـدت أقوام أخرى عن ذلك التحالف السياسي الديني، وفضلت أن تقـود تطـورها المستقـل، لكن دون أن يعني ذلـك تركهـا لليهـوِيَّة، أي للتـوحيـد. وقد أشرت إلى هذا الأمر في مؤلفي الأول عن الموضوع حيث فهمت أن انفصـال سبطي جاد ورأوبين عن باقي الأسبـاط وعـدم مشـاركتهمـا في الانتقال إلى «أرض الميعـاد»، ما هو إلا تعبيـر عن فصم روابـط التحـالف. لكن باقي الأسبـاط حافظت على تحـالفهـا السيـاسي الديني، ودخلت راغبة أو مكرهة في إتحاد سياسي تُوج في نهـايـة المطاف بتأسيس المملكة الموحدة بقيادة داود بن يسي. وسأقدم في القسم التـالي براهين تثبت علم العهـد القديم بعمليات اهتداء لليهوية من قبل أقوام لم يكونوا أصلاً من الأسباط الأولى. أي إثبات أن مقولة الصفاء الإثني لبني إسرائيل لاتجد أي دعم لها لا من التوراة ولا من أية كتابات أخرى، آخذين بعين الاعتبار أن تلك الأسبـاط لـم تتميـز عن محيطهـا البشري في جزيرة العرب لا من ناحية اللغة ولا من ناحيـة الأصـول، لكن دون أن يتناقض هذا مع حقيقة أن جزءاً منها تحدث بالآرامية بدلاً من الكنعـانيـة. ونظـراً لطـول الموضوع رأيت من الأفضل تقسيمه لبابين إثنين. وقد خصصت الباب الأول لمسألة الاهتداء أو التحول لليهوية من قبل شعوب أو أقوام لم تحسب من بني إسـرائيـل أصـلا، ومعتمداً في ذلك على العهد القديم فقط. أما البـاب الثـاني فمخصص للتعـامل مع مسألة اليهوذية ـ «اليهودية»، والبرهان على أنه عندما قام كهنة يهوذا بتسجيل التوراة في بابل بعد سبيهم من قبل قوات نبوخذنصر، كان بنو إسرائيل قد اختفوا من الخارطة الإثنية للإقليم كمجموعة متناسقة أو متميزة. أمـا مصـادر هذا البـاب فتعتمد على العهد القديم أيضاً، وعلى الأسفار المتأخرة منه

بشكــل خاص. كمــا سأستشيـر مايسمى بـ«الأبــوكــريفــا» والتلمــود وبعض كتــابــات الإغريق واليونان المعاصرة لتلك الفترة، كما سأقدم براهين تاريخية أخرى توضح أن كهنــة اليهــوديــة أو اليهوذية، مارسوا عمليات التبشير لديانتهم حتى مرحلة متقدمة من العصر الحديث.

١) التوراة والتبشير لليَهْوِيَّة

قلت أن اليهوية انتشرت بين سكان الإقليم من خارج بني إسرائيل، وعرضت في القسم السابق إشارة للمسألة. وسأعمل هنا على التوسع في الموضوع مقدماً دلائل عديدة من التوراة تثبت علمها بأن اليَهويَّة إكتسبت وبشكل مستمر مهتدين جداً بما يثبت أن مقولة الصفاء الإثني لبني إسرائيل غير صحيحة. وتعتمد منهجيتي هنا على التحليل اللغوي لمقاطع مختارة من العهد القديم تثبت بشكل واضح أنه عرف بوجود متحولين[٢] أو مهتدين لليَهويَّة. وإذا تمكنا من إثبات هذا الأمر، فمن الصحيح القول أن بني إسرائيل لم يعودوا تجمعاً إثنياً مستقلاً، على الأقل ليس منذ قيام المملكة بقيادة داود. ومن الجدير بالقول أنه هناك اتفاق، بل إجماع، بين أهل الاختصاص على أن اليهوذيين «اليهود»، لم يشكلوا لا في الماضي ولا في الحاضر، مجموعة إثنية قائمة بذاتها، وعلى أن هذا المصطلح يشير إلى أتباع الديانة اليهودية التي نمت داخل بني إسرائيل. رغم ذلك، فإن الدوائر العلمية المتخصصة تتخذ وبكل أسف موقفاً متساهلاً تجاه الحقائق العلمية الثابتة، ربما لتفادي أية اتهامات سياسية. لكن لنترك هذه المسألة جانباً ونركز نظرنا أولاً على مسألة الاهتداء أو التحول[٣] لليهويَّة. ورغم أن هذا الموضوع، مثل علم التوراة، على جانب كبير من التشابك لأنه يتطلب التناول بالتحليل العديد من المفردات التوراتية، إلا أني سأعمل على تفادي الدخول في متاهات لغوية لا نهاية لها، وعلى اختصار الموضوع قدر الإمكان، لكن دون انتقاصه حقه من الإسهاب.

من الأفضل أن نباشر البحث في الموضوع منذ البداية، أي باستشارة العهد القديم عن المعتقدات الأولى لمن تصفهم التوراة بالأجداد الأولين. ونحن نجد الإجابة فوراً في سفر التكوين ٦ : ١ - ٦ الذي ينقل المعرفة بأن إله التوراة يهوه، لم يكن سوى واحد من مجموعة من الآلهة التي كانت متشكلة في تحالف «قبلي» عُرف فيها باسم «بني هـءلوهيم»، أي «بني الآلهة». وكانت تلك الآلهة، وعلى عكس يهوه، تعاشر البشر وتخلف منهم نسلاً من الجبابرة والنوافل. هذا الأمر استفز إله التوراة يهوه على مايبدو لأنه (رأى أن شر الإنسان قد كثر)، مما جعله يقرر مسحه عن وجه الأرض، مستثنياً نوحاً ومن معه من هذا العقاب. المهم في الأمر، أن ذكر يهوه كأحد أعضاء قبيلة الآلهة ليس إلا، الدليل على أن الأجداد الأولين انتقلوا لعبادة يهوه في مرحلة معينة لا تهمنا الآن. وقد خاض يهوه حروباً طويلة مع باقي الآلهة التي كانت منتشرة في جزيرة العرب وتمكن من إخضاعها ثم القضاء عليها أو على طبيعتها الإلهية. أما الكيفية التي تمكن يهوه من تثبيت نفسه كإله واحد أحد فلاشك أنها مسجلة في (كتاب حروب يهوه) المشار إليه في سفر العدد ٢١ : ١٤. ومن الواضح هنا أننا نرى اتجاهاً دينياً لايقول بأن يهوه هو إله واحد أحد، وإنما اعتبر كبير الآلهة الذي يستحق التعبد له.

كما نجد إشارات أخرى لمسألة تحول أو اهتداء من اتفق على تسميتهم بالآباء الأولين، والذين تقول التوراة أن بني إسرائيل انحدروا منهم، ونبدأ هنا بأبرام / إبراهيم التوراة نظراً للمكانة الخاصة التي يتمتع بها في اليهودية. ودون الدخول في تفاصيل تعدد هذه الشخصيات التي تشاركت في الاسم أو متابعة جغرافية تنقلها وترحالها، فإن القراءة الواعية للتوراة تقول حتى في ترجماتها المختلفة أنه لم يكن من أتباع يهوه منذ البدايات، بل تربطه بعدة آلهة ومواقع مقدسة. وقد رأيت أنه من الأفضل تجنب الدخول في تفاصيل تعامل معها كمال الصليبي في مؤلفه آنف الذكر حيث قدم المؤرخ اللبناني في هذا الكتاب الحدث مجموعة من الإثباتات العلمية الرصينة التي تبين أن التوراة تتضمن خرافات وأساطير تعكس الأصول الوثنية لليهوديَّة. وفي الفصل التاسع من ذلك المؤلف، هناك استعراض مختصر للنتائج التي توصل إليها، والتي تفيد بأن آباء بني إسرائيل الأولين عرفوا مجموعة من الآلهة

التي ارتبطت بمجموعة من المفاهيم والأمور المعنوية والأمور المحسوسة مثل البيئة والمجتمعات البشرية، لذا فإني سوف لن أكرر ماورد في المؤلف، معتبراً أو آملاً أنه قد سنحت للقارىء فرصة الاطلاع عليه. ورغم أن علماء التوراة لايقبلون بمدى الانسجام العلمي الذي ذهب إليه الصليبي في تحليل الأصول الوثنية لأجداد بني إسرائيل الأولين، إلا أنهم يوافقون على أن الأخيرين عرفوا إلههم تحت أسماء متباينة ومنها (ألوهيم)، (يهوه)، (أل شداي) و(آل عليون). وحيث أن موضوعة هذا العمل لاتعتمد الآراء التقليدية، سواء تلك المتعلقة بأصول الديانة، أوبجغرافية تلك التجربة التاريخية الدينية كمرجع، إلا أنه من غير الضار أن أسجل وباختصار أن السبب الرئيسي لعدم تقبل هذا الرأي الانطلاق من أن التعبد لإله ما وجب أن يكون مرتبطاً بمكان معين. برأيي أن هذا الاجتهاد لايستند إلى ركيزة ثابتة لأنه يمكن للألهة أن تكون مرتبطة بمجموعة من الظواهر مثل المطر والبرق والرعد والنيازك والقحط والفيضانات.. إلخ، وهذه مسألة معروفة. فعبادة الشمس والقمر والنجوم تعكس برأيي اعتقاد المتعبدين لها بمسؤوليتها عن بعض الظواهر الطبيعية. ومن المعروف أن العرب الجنوبيين عرفوا على سبيل المثال إله الموت أو القائم على أحوال الموتى (بلو)، الإله الموكل بحراس الحدود (رفو)، (منضحت) إله الماء والري و(مقبقبط) الذي يقول أهل الاختصاص بأنه كان إله الحصاد[4]، وما وجود الأسماء الجغرافية في جزيرة العرب التي تحمل أسماء توراتية بصيغة آلهة، ومنها (آل حية)، (آل حنيشة)، (آل دعيا)، (آل سلعي)، (آل نبيح)، (آل هيه)، (آل بشر)، (آل قيس) و(آل عينين) إلا دليل على صحة هذه الموضوعة. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسماء مرتبطة بقصص الخلق والطوفان الوارد ذكرها في سفر التكوين.

وبالعودة لمسألة أبرام / إبراهيم، فإننا نعثر في سفر التكوين ١٢ : ٦ ـ ٧ على إشارة خفية لهذا التحويل. فهناك نقرأ أن أبرام عَبَرَ (حتى مقام شكيم حتى بلوطة مورة وكان الكنعاني حينئذ في الأرض. وظهر يهوه لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً ليهوه الذي ظهر له). ومن الواضح من سياق النص أن أبرام هذا مارس التعبد لإله كنعاني قديم كان له مقام في شكيم، وليس ليهوه. لكن هذه الحقيقة لم ترق للمحرر الذي استهجن على مايبدو أن من ينظر إليه كالجد الأعلى،

كان قد تعبد لآلهة أخرى بما دفعه للتلاعب بالنص وهو الأمر الذي يتضح فوراً من خلال تعليقه (يهوه الذي ظهر له). هذه الصياغة الأخيرة تعني إما أن أبرام عرف إلهاً ثانياً بالاسم يهوه وهو أمر غير الوارد، أو أن النص، وهذه قناعتي، كان يشير لإله آخر. وأعتقد أن النص الأصلي كان مسجلاً على نحو (. . . فبنى هناك مذبحاً للإله الذي ظهر له). وهذا بالضبط مايشرح لماذا يقول التلمود في القسم (سكه ٤٩ ب) أن إبراهيم نفسه كان مهتدياً[٥] ـ (proselyte).

الأمر ذاته ينطبق على يعقوب حيث ينقل سفر التكوين ٢٨ : ١٩ علمه بأنه أطلق الاسم (بيت إيل)، أي (معبد الإله إيل) على المكان الذي تراءى فيه إلهه له. ولو كان يعقوب متعبداً منذ البداية ليهوه، لكان أطلق على هذا المكان اسم «بيت ياهو» أو «بيت يهوه» مثلاً.

ومن الأمور الجديرة أيضاً بالملاحظة، أن الخرافة التي يوردها سفر التكوين ٣٢ : ٢٢ ـ ٢٩ عن معنى (إسرائيل / يسرءل)، لاتقر أصل الاسم اشتقاقاً من يهوه، بل تعيده إلى الاسم العام (إيل) الذي كان يوظف للدلالة على الذات الإلهية.

ومن المعروف أن قصص الآباء أو الأجداد الأولين تنتهي بوفاة يوسف في أرض مصر كائنة أينما كانت، وبه ينتهي سفر التكوين. ونحن نعلم أن التوراة لاتسجل أن أياً منهم كان نبياً. وجل الأمور أنهم كانوا، أو أنهم أضحوا موحدين، أي يتعبدون لإله واحد سمي ءلوهيم ـ في الترجمة العربية «الله»، وأحياناً أخرى يهوه ـ في الترجمة العربية «الرب». والقراءة الدقيقة لسفر التكوين توضح أن هؤلاء الآباء أو الأجداد الأولين لم يقوموا بإنجاز أي عمل محدد على الإطلاق، وأن كل مانعرفه عنهم هو تنقلهم المستمر بين أقاليم مختلفة. أما هدف إلحاق القصص والأساطير والخرافات المرتبطة بهم، فهو شرح ووضع أرضية تاريخية شرعية لنمو اليَهْويَّة كديانة أساسها التوحيد، وكذلك تقديم أسس تاريخية لبعض الطقوس المرتبطة بها، ومنها الختان مثلاً. لكن الحال يتغير بسفر الخروج حيث تبدأ روايات أحداث معينة مرتبطة بمسائل محددة مثل الفرار من مصريم والحديث عن مؤسسات وشعائر دينية لم يعرفها من تقول التوراة أنهم كانوا الأجداد الأولين. فللمرة الأولى يشار إلى وجود كهنة

على سبيل المثال ومنهم هارون، بما يبين أن اليهوية مرت بمرحلة طويلة من التطور في الفترة الواقعة بين يوسف ابن إسحق بن إبراهيم وبين موسى التوراة، أو أحدهم.

ما يهمنا الآن هو أن متابعة روايات موسى الذي قاد عملية الخروج من مصريم تبين أنه لم يكن متعبداً ليهوه منذ البداية. فسفر الخروج ٦ : ٢ - ٣ ينقل قول إله التوراة لموسى «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني إيل شداي[٦] وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم»، أي أن انتقال موسى التوراة ولفيفه «العبرانيين» من التوحيد المجرد إلى التعبد ليهوه، تم بعد الخروج، أو بالأحرى بعد الفرار من مصريم، وبما يعني أن موسى نفسه كان مهتدياً ليهوه. وإذا قبلنا بأن بني إسرائيل الكنعانيين خرجوا من منطقة بيشة بعسير عبر اليمن حيث تعرفوا على يهوه هناك والذي تمثل لهم في نار اليمن، ثم دخلوا في تحالف مع بني يعقوب، أي يهوذا الآرامية، الذين كانوا يقطنون منطقة سراة زهران، فإننا لانجد أية مشكلة في التأكد من أنهم تحولوا لهذه العبادة. وقد ترك لنا بلعام قصيدة في سفر العدد ٢٣ : ٧ - ١٠، ١٨ - ٢٤؛ ٢٤ : ٣ - ٩ و١٥ - ١٩ عن هذا الاتحاد الديني القبلي الذي جمع بني إسرائيل وبني يعقوب أو يهوذا، والذي اكتسب الاسم (جميع إسرائيل). ومن الجدير بالذكر أن سفر يشوع ٢٤ مخصص لمسألة التذكير بأن أجداد الأسباط لم يتعبدوا ليهوه، ومن ذلك القول المنسوب ليشوع في الإصحاح ٢٤ : ١٤ من السفر الذي يحمل اسمه (فالآن أخشوا يهوه وأعبدوه بكمال وأمانة وأنزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصريم وأعبدوا يهوه).

ومما لاشك فيه أن تحول أو إهتداء بني إسرائيل وأجدادهم الأوائل لليهوية كانت مسألة معروفة تماماً للمحرر الذي عمل على تفادي قول ذلك بكلمات صريحة، وفضل إعادة صياغة الرواية المرتبطة بعملية التحول لعبادة يهوه متجنباً توظيف مصطلحات واضحة. لكن التوراة تحوي نصوصاً جلية التعابير تنقل العلم بوجود مهتدين لليهوية، وتنقل تعليمات مفصلة، وإن كانت متضاربة، حول كيفية التعامل معهم. لكن حيث أن الترجمات العربية وغير العربية تشوه النصوص التوراتية أحياناً بهدف الابتعاد قدر الإمكان عن جوهر المسألة، فمن الضروري العودة للنص

الأصلي والتعامل مع بعض المسائل اللغوية ذات العلاقة حتى نتمكن من إنجاز قراءة واعية للنصوص التوراتية، لكن دون الغرق في تفقه لغوي.

إن المفردة التوراتية الأساسية المرتبطة بمسألة التحول أو الاهتداء في «جر»، والمترجمة تقليدياً إلى (غريب، نزيل)، وعادة ماتترجم إلى الإنجليزية بصيغة Sojourner، وبهذا المعنى وُظِّفَت في الترجمة العربية وغيرها. ومن الممكن أن هذه المفردة تفيد هذا المعنى أحياناً قليلة، لكننا سنرى في سياق العمل أنها تنقل معان أخرى.

حيث أن التوراة لاتقدم معنى واضحاً ودقيقاً لكافة معاني المفردة «جر»، فقد لجأ أهل الاختصاص إلى اللغات «السامية» الأخرى، ومنها الثمودية والصفوية. باحثين فيها عن مساعد، لكن دون جدوى. فالنصوص التي ترد فيها المفردة مقتطعة بطريقة لاتسمح بحسم المسألة. كما ولوحظ أن المفردة لاترد في النصوص الآرامية القديمة. وهناك من أهل الاختصاص من يرى أن هذه الكلمة وردت في «نقش ميشع» ملك مؤاب، إلا أن ذلك النص غير كامل بما لايسمح باستخدامه كمرجع. وحيث أن إجتهادات أهل الاختصاص بخصوص المفردة لم تحقق أي إجماع، اقتنع البعض بضرورة اللجوء للغة العربية باحثين فيها عن مساعد. لكن هذه الاستشارة بقيت وبكل أسف، منتقصة، لأنها حُصرت في معان مقررة مسبقاً. لذا فإني أعود مرة ثانية للعربية باحثاً عن شروح للمفردة وبعقل منفتح.

من المعروف أن المفردة العربية «جار، جُور»، وبدون تحريك «جر»، تعني (الجيرة). ويضاف لذلك العديد من المعاني الأخرى ومنها (الشريك)، (الحليف)، (الناصر)، (المُقاسِم). ومن غير المستبعد أن العهد القديم وظف المفردة بمعنى مجازهو (لَصَق) ـ أنظر «غرا»، أي (لَصُقَ)، ومنها (الغِراء)، أي الصمغ الذي يلصق به، لكن هذا معنى مجازي وعام.

لكننا نجد في المعاجم العربية معان أخرى للمفردة أهمها (الميل عن القصد ـ إلى الحق)، والذي أرى أنه ينقل أيضاً روح معنى خُلقي وديني. كما تورد المعاجم العربية معنى آخر للمفردة يحمل في ثناياه فهماً دينياً. فالمفردة «جأر ـ جءر»، تعنى (رفع الصوت لله مع التضرع والدعاء). ورغم أن هذه المعاني تحمل

تأويـلاً دينيـاً عامـاً إلى حد ما، لكن يمكن أن نفهمهـا بشكـل أدق إذا تناولناها ضمن محيطها الحضاري في جزيرة العرب قبل وبعد مبعث النبي العربي.

برأيي أن المفردة «جـار / جأر»، مصطلح يثير الموحدين الذين عرفتهم جزيرة العـرب قبـل الإسـلام، وقيـل منهم ورقـة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل، عدا عن سيف بن ذي يزن الـذي بينت في مؤلفي الأول أنـه من نسـل سبـط جاد. وقيل أيضاً قس بن ساعدة الايادي وأمية بن أبي الصلت. وقد عُرف هذ المنحنى التوحيدي في جزيـرة العـرب بإسم الحنيفيـة، وهـو دين إبـراهيم. ويبـدو أن الأمـر إختلط على الإخبـاريين العـرب الـذين لم يقـدمـوا معلومـات موحدة عنهم، لكن القرآن الكريم يفيدنا بمعرفة دقيقة عن الحنيفيين حيث نقرأ في سورة آل عمران ٧٦، (ماكان إبراهيم يهـوديـاً ولا نصـرانيـاً ولكن كان حنيفـاً مسلمـاً). كما أن الآية ١٢٠ من سورة النحل تسجل (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين). المهم في الأمر هو أن أساس الحنيفية هو التوحيد[٧]. هذا قادني للقناعة بأن المفردة التوراتية «جر»، وظفت بمعنى (مُـوحـد، مُؤمن) أيضاً، وربما هذا هو المقصود بالجملة «جر وتوسب ءنكي عمكم». برأيي أن التـرجمـة الصحيحة لهذا القول المنسوب لإبراهيم في سفر التكوين ٢٣ : ٤ في مجال طلبه قطعة أرض من بني حث لدفن سارة، وجب أن تكون (أنا مُوحِّد ومقيم بوسطكم). أما الترجمة التقليدية القائلة (أنا غريب ومقيم معكم)، فلا معنى لها لأن الجملة التالية لها، أي ٢٣ : ٦، تنقل رد بني حث عليه بالكلمات (سمعاً سيدي. رجل ءلوهيم[٨] أنت في وسطنا). أي أن الاحترام الذي لقيه إبراهيم التوراة من بني حث مرده كونه مؤمناً مُوحداً.

الآن وقـد تمكنـا من التعـرف على معنى المفـردة، يمكننـا متـابعة البحث في الأمـر. وحيث أن المفـردة ترد أكثـر من ثمـانين مرة في التـوراة، فسأقصـر بحثي عن المقصود على نصوص محددة.

ينقـل سفـر الخروج ١٢ : ٤٧ ـ ٤٩، أن تعليمات يهوه بخصوص عيد الفصح كانت على النحـو التـالي: «كـل عودت يسـرءل يعشـوءتو. كي يجورءتك جر وعشه فصـح ليهوه هـمول لو كل زكر وء زقرب لعشتووهيه كـء زرح هـءرص. توره ء حت يهيه لءزرح ولجـر هجـر بتـوككم». أمـا التـرجمـة التقليـدية القائلة (كل جماعة إسرائيل

يصنعونه. وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه فيكون كمولود الأرض. شريعة واحدة تكون لمولود الأرض وللنزيل في وسطكم)، فهي غير واضحة إطلاقاً. وحيث أن النص يتعامل مع قضايا لاهوتية مرتبطة بعيد الفصح، وليس مع تعليمات تتعلق بالأخلاق العامة وحسن الضيافة، فمن المشروع أن نسأل من هو هذا الـ(نزيل). برأيي أن المقصود هنا «المتحول» أو «المهتدي» ليهوه. أي أن المفردة التوراتية «جر» تعني هنا (مُوَحِّد)[9]. آخذين هذا بعين الاعتبار، فإن المعنى الدقيق للمقطع التوراتي «توره ءحت يهيه لءزرح ولجر هجر بتوككم»، وجب أن يكون (وشريعة واحدة تكون لمولود الأرض ولموحد اهتدى في وسطكم).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الترجمة التقليدية تجاهلت أن المقطع الأصلي يسجل «لجر هجر بتوككم»، والتي لايمكن أن تعني (وللنزيل في وسطكم)، لأن المترجمين ألغوا المفردة «هجر» من النص المترجم، عدا عن إضافة أداة التعريف غير الموجودة في النص الأصلي، وهذا لايجوز. هذه الصياغة للنص أقنعتني بأن المقصود هنا (لموحد اهتدى في وسطكم)، أي لموحد، أو لمؤمن التزم بالتعبد ليهوه، ووفق تعاليم الكهنة بالطبع. لذا فإن الترجمة الصحيحة للمقطع وجب أن تكون: (كل جماعة إسرائيل يصنعونه. وإن جاورك مُوحِّد وعمل فصحاً ليهوه يختن كل ذكر منه ثم يتقدم ليصنعه فيضحي كمولود الأرض. تكون شريعة واحدة لمولود الأرض ولموحد اهتدى في وسطكم)، والمقصود موحد تحول لعبادة يهوه وفق الطقوس المعمول بها. أي أن هذا التعليق الكهنوتي يفرض التفريق بين صنفين من المهتدين، أولهما الموحد الذي تحول لعبادة يهوه لكن دون أن يمارس الاختتان. أما الصنف الثاني فهو المهتدي «الكامل» الذي قَبِلَ التقيد بكافة الطقوس التي أدخلها الكهنة[10]. المهم في الأمر أن النص يشير لمتحولين أو مهتدين لليهوية من أقوام لم يكونوا من بني إسرائيل.

أما قول الإصحاح ٢٣ : ١ ـ ٣ من سفر التثنية (لايدخل مخصي بالرض أو مجبوب في جماعة يهوه)، فيشير بلا شك لقبول المهتدين، وإن وضع الكهنة شروط على مظهرهم وصحتهم.

والأمر ذاته يتكرر في سفر راعوت «روت» المؤابية، والتي عرفنا من الفصل الأول أنها كانت جدة داود بن يسي. ويقول الإصحاح ٢ : ١٠ ـ ١٢ من هذا السفر أن روت

هذه لقيت تعـاطفـاً من قبل يوعز من عشيرة أبيمالك الذي خدمت في حقله. وفي مجال الاعـتراف بجميله، تسجـل الـترجمـة العـربيـة التقليدية قولها (كيف وجدت نعمة في عينيـك حتى تنظـر إليّ وأنـا غريبـة)؟ وفي النص التوراتي «. . وءنكي نكريه»، وعادة ماتترجم المفردة التوراتية «ءنكر / نكري»، وبصيغة المؤنث «نكريه»، إلى «غريب / غريبة». لكن هذا الفهم لايستقيم في هذا المقام حيث أن الفقرة التالية تقول: «لأنكِ (. . تَركت أباك وأمكِ وأرض مولدكِ وسرت إلى شعب لم تعرفيه سابقاً. . وليكن أجرك كامـلا من عنـد يهوه إلـه إسـرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه). هذا الحوار القصير يوضح أن سبب تعاطف بوعز مع روت يعود إلى تحولها لعبادة يهوه الذي تركت عائلتهـا ومـوطنهـا تجاه بيت لحم يهوذا لتحتمي تحت جنـاحيـه، أي للتعبـد له. أي أن الـرديف الصحيـح والـدقيق للمفـردة التوراتية «نكريه»، يكون في هذه (مهتدية). ومما يؤكـد هذا الفهم أن التنكـر يعني بالعربية (التغير- «أي المجهول). بذلك يكون معنى الجملة آنفة الذكر (كيف وجدت نعمة في عينيك وأنا مهتدية)، أي غير ملتزمة بالتعبد ليهوه. ومن الواضح أن هدف المقطع للحض على معاملة الموحدين أو المهتدين بطريقة جيدة.

وتنطبق الحـالـة ذاتهـا على سفر أشعيا ٥٦ : ٦ - ٧ والمترجم تقليدياً إلى (وأبناء الغـريب الـذين يقـترنون بيهوه ليخدموه وليحبوا اسم يهوه ليكونوا له عبيداً، كل الذين يحفظـــون يوم السبت لئـــلا ينجســـوه ويتمسكـون بعهـدي آتي بهم إلى جبـل قدسي وأفـرحهم في بيت صلاتي «وتكـون» محرقـاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصـــلاة يدعى لكـــل الشعـوب). لكني لا أوافق على هذه الـترجمـة وأجـد من الضـروري العـودة للتوراة التي تقول: «وبني هنكر هنلويم عل يهوه لشرتوولءهبه ءت شم يهوه لهيـــوت لولعبـديم كل شمـر شبت محللو ومحـزيقيم بيريتي وهبي ءوتيم ءل هر قدشي وشمحتيم ببيت تفلتي عولتيهم وزبحيهم لرصـون على مزبحي كي بيتي بيت تفله يقـرء لكـل هعميم». المعضلة الأولى التي تواجهنـا فهم مستقيم للمقطع تتعلق بكيفية ترجمـة التعبـير «هنلويم عل يهوه»، والمـترجمة خطأ إلى (الذين يقترنون بيهوه) لأن أداة الجـر الـواردة في النص الأصلي هي «عل»، ويرادفها بالعربية «على»، وليس «بـ». ولو كان المقصود بـ«بني هنكر» فعلاً أبناء الغريب، وأن معنى «هنلويم»، تعني (المقترنين/

الذين اقترنوا)، لوجب أن يترجم المقطع إلى وبني الغريب المقترنين على يهوه)، وهو ما لا يجوز.

هذا يقودنا للمفردة الثالثة والأخيرة ذات العلاقة، أي «هنلويم»، أي اسم الفاعل من «لوه»، والمترجمة تقليدياً إلى (يقترن)[١١]. لكن عمومية هذا المعنى تلزمنا أن نستعين باللغة العربية مرة أخرى.

تفيد المعاجم العربية المتخصصة أن الكلمة «لوى»، تعني (جَدل / التفاف)، وهو ماجعل المترجمين ينقلون المعنى إلى (ملتصقين) أحياناً. وما الجَدل إلا الاتحاد والارتباط الوثيق. وحيث أن النص يتعامل مع مسألة لاهوتية، فمن الطبيعي أن المقصود هنا «المهتدين» الذين التفوا على، أوحول إله إسرائيل، أي المتحولين إلى عبادته، حيث يدعو النص للمساواة بينهم وبين الرعيل الأول من أتباع يهوه «الأصليين» من بني إسرائيل.

بهذا نجد أن المفردات التوراتية الثلاثة «لوي»، «نكري» و«جر»، مترادفات، وتعني في الكثير من الأحيان (مهتدي، متحول لديانة)[١٢]. وإذا قبلنا بذلك، فإن معنى الفقرة يستقيم لغوياً ونحوياً ليكون «وأبناء المهتدين الملتفين حول يهوه ليخدموه وليحبوا اسم يهوه ليكونوا له عبيداً. كل الذين يحفظون يوم السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدي آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي ومحرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب».

الآن وقد تمكنا من التعرف على معاني المفردات الثلاثة بدقة، يمكننا مواصلة البحث في مسألة الاهتداء لليهوية أو التحول إليها معتمدين على أسس صلبة.

ينقل سفر أشعيا ٥٦ : ٣ بلغة التوراة أنه «وءل يءمر بن هنكر هنلوه ءل يهوه لءمر هبدل يبدلني يهوه معل عمو..»، والمترجمة إلى العربية (فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلاً إفرازاً أفرزني يهوه من شعبه..). برأيي أن هذه الترجمة غير دقيقة أبداً لأن «هنلوه ءل يهوه»، لاتعني (الذي اقترن بيهوه)، لأن الأداة الموظفة في النص التوراتي هي «ءل»، والتي لاتعنى (بـ) وإنما (إلى). وفي حالة الأخذ بالترجمة المعتمدة فإن معنى التعبير «هنلوه ءل يهوه» وجب أن يكون (المقترن

إلى يهــوه)، وهــو مالايجــوز. وقد عرفنا من الفقرة السابقة أن «هنلوه» هي بصيغة اسم الفاعل من «لوه»، أي (جَدَل / التف)، والتي هي تعبير مجاز يعني (إهتدى).

المعضلة اللغـويـة الثالثة في هذه الجملة القصيرة تتعلق بفهم مستقيم لـ«معل عمو»، والمترجمة للعربية (من شعبه)، وهو مالايصح لأن الرديف الصحيح وجب أن يكـون في هذه الحـالـة «معمـو». اجتهادي بهذا الخصوص أنه وجب قراءة المقطع على نحو «م عل عمو»، بمعنى (من عُلا شعبه) ـ أي «من مجد شعبه». وبغض النظر عن مدى صحة التعبير الأخير والذي لايؤثر على المقصود، فإن فهمي للمفردة «لوه»، يقـوم معنى الجملة ويكـون (فـلا يتكلم ابن المهتدي المتحول[١٣] ليهوه قائلاً فصلني يهــوه فصـلاً من مجـد شعبـه. . .). ويتضـح من النص الأصلي أن الكـاتـب وظف المفـردة «هنلوه» بمعنى (المهتـدي) لتهـذيب النص وتفـادي تكـرار المفردة الأصلية «هنكر» التي تحمل في هذه الحالة نفس المعنى. ويبدو أن هذا النص ينتقد التفريق بين أتبـاع يهوه «الأصليين»، وبين الرعيل اللاحق، أي المتحولين أو المهتدين إليه، والذين كانوا من سكان بني إسرائيل. ومما يؤكد هذا أن رؤ يا إشعيا «الثاني» تبشر بيوم جديـد يتسـاوي فيـه أوائـل المؤمنين بيهوه مع المهتدين إليه. أي أن الأنبياء، وعلى عكس الكهنة أو بعض منهم، لم يفرقوا بين أتباع يهوه من بني إسرائيل وأولئك الذين إنتمـوا لأقـوام أخـرى. وهـذا الأمـر يدعمـه نص أشعيا ٦٦ : ٢٠ ـ ٢٢ الذي يسجل (ويحضر كل أخوتكم من كل الأمم تقدمة ليهوه على خيل وبمركبات وبهوادج وبغال وهجن إلى جبل قدسي أورشليم قال الرب كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر إلى بيت يهوه وأتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين).

الأمـر ذاتـه ينطبق على قول نبي التـوراة أشعيا المسجل في الإصحاح ١٤ : ١ من السفـر الـذي يحمـل إسمـه والقائل «كي يرحم يهوه ءت يعقب وبحر عود بيسرءل وهنيحم عل ءدمتم ونلوه هجر عليهم ونصفحو عل بيت يعقب». أما الترجمة العربية القائلة (لأن الرب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقترن بهم الغـربـاء وينضمـون إلى بيت يعقـوب) فهي غيـر دقيقة أبداً. فالقول «وبحر عود بيسرءل»، لايمكن أن تعني (ويختار أيضاً إسرائيل)، لأن الأخيرة مسبوقة بأداة الجر، أي حرف البـاء. الـواضـح أن المقصود بهذه المفردة (تَوسَّعَ) ـ أنظر بالعربية «بَحَرَ»،

بمعنى (انبسط وتوسع). كما وجب ترجمة المفردة «هجر»، إلى (المهتدي) أو (المتحول لعبادة يهوه). وقد ابتعد مترجمو النص تماماً عن الموضوع بفهم أن «ونلوه هجر عليهم»، تعني (فتقترن بهم الغرباء). السبب هو أن المفردة «هجر» بصيغة المفرد وليس الجمع، أي أن المقصود (ويلتف المهتدي عليهم، أو حولهم)، أي على يعقوب وعلى إسرائيل. أما التعبير «نصفحوعل»[١٤]، وهي المرة الوحيدة التي ترد في التوراة، فوجب أن تعني (نميله على) ـ أنظر بالعربية القول «نصفحُه على»، أي (نميله على)[١٥]. بذلك يستقيم معنى الجملة ليكون (لأن يهوه سيرحم يعقوب ويتوسع مرة أخرى في إسرائيل ويريحهم على أرضهم ويلتف حولهم المهتدي ونميله على بيت يعقوب).

لكن النص الوارد في سفر الملوك الأول ٨ : ٤٠ ـ ٤٣ فيستحق تعاملاً مفصلاً لأن الترجمة التقليدبة ابتعدت بشكل غير معقول عن نص وروح ماورد في التوراة. فالفقرة السابقة للمقطع، أي ٨ : ٤١ تقول بلغة التوراة «وجم ءل هنكري ءشر لء معمك يسرءل هوء وبء مءرص رحوقه لمعن شمك»، ولايمكن ترجمتها إلى (وكذلك الأجنبي الذي هو ليس من شعبك إسرائيل هو جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك). السبب أن المفردة «هنكري» مسبوقة بأداة الجر «ءل»، ويرادفها في اللغة العربية (لـ، إلى) التي حُذفت من الترجمة العربية وغيرها. وفي حالة قبول البنية اللغوية المعتمدة، وإعتبار ٨ : ٤١ مقطعاً منفصلاً، وجب ترجمته على النحو التالي: (وكذلك إلى الأجنبي الذي ليس من شعبك إسرائيل هو جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك)، والذي لايفيد أي معنى. برأيي أن هذا المقطع هو جزء من الجملة السابقة، أي ٨ : ٤٠. وفي حالة قبول هذا، يستقيم المعنى تماماً حيث يكون المقصود بالجملة الأخيرة (لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا وكذلك للمهتدي الذي ليس من شعبك إسرائيل). ويبدو أن المحرر فوجيء تماماً بنص يقول أن يهوه أعطى الأرض ملكاً ليس لبني إسرائيل فقط، وإنما للمهتدين أيضاً، وذلك بما يتعارض مع مفاهيم «أرض الميعاد» و«الشعب المختار». هذا جعله برأيي يعيد تقسيم المقطع، لكنه لم يتمكن من التلاعب بالنص الذي يبدو أنه كان مسجلاً، أي أصلياً.

كما وجب ترجمة المفردة «هنكري» الواردة في النص ذاته ـ أي ٨: ٤٣، أيضاً إلى (المهتـدي). بهـذا فإن التـرجمة الكاملة للمقطع ٨: ٣٩ ـ ٤٣، الذي هودعاء وتضرع لإله التوراة، وجب أن تكون على النحو التالي:

فاسمَع أنتَ من السماء مكانَ سُكناكَ
وأغفر وأعطِ كُل إنسان كأفعاله
وفقَ معرفتك قلبه،
لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر.
لكي يخافوك كل الأيام
التي يحيون فيها على وجه الأرض
التي أعطيتَ لآبائنا
وللمهتدي الذي ليس من شعبك «إسرائيل».
هو جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك.
لأنهم يسمعون باسمك العظيم
«وبيدك القوية وذراعك الممدودة»
فمتى جاء وصلى في هذا البيت
فاسمع أنتَ من السماء مكان سكناك
وأفعل وفقَ كل مايدعو به إليك المهتدي
لكي تعلم كل شعوب الأرض اسمك.
فيخافوك كشعبك إسرائيل
ولكي يعلموا اسمك أُطلق على هذا البيت الذي بنيته.

ولايفيـدنـا هذا النص من النـاحية اللغوية والتأكد من مسألة تحول أقوام أخرى لعبـادة يهـوه فحسب، وإنمـا نفهم أيضـاً أن المهتـدي منـاط به مهمة التبشير بديانته الجـديـدة، وهـو مايعبر عنه القول (وافعل كل مايدعوا به إليك المهتدي ـ هو جاء من أرض بعيـدة). أمـا المقطـع «لأنهم يسمعـون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك

الممـدودة» ، فهـو إضـافـة من «الـمحـرر» الكهنوتي الولع بتكرار صيغة (يدك القوية وذراعك الممدودة) عند ذكره ليهوه[١٦].

كمـا رحب نبي التـوراة زكـريـا بانضمـام أقـوام جديدة للديانة التي كان يدعو إليها. فالإصحاح ٢ : ١١[١٧] من السفر الذي يحمل اسمه يسجل «ونلوو جريم ربيم ءل يهـوه بيـوم هـهـوء. . . »، والمترجم تقليدياً إلى «فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليـوم. . ». لكن هذه التـرجمة غير صحيحة لأن القول «ونلووجريم ربيم ءل يهوه»، لاتعني أبـداً (فيتصـل أمم كثيـرة بيهـوه)، لأن الاسم يهـوه ـ في التـرجمـة العـربيـة (الـرب) ـ مسبـوق بأداة الجر «ءل»، ويـرادفها في العربية (إلى)، وليس حرف الجر (بـ). وحيث أنـه تبين لنـا أن المفـردة التوراتية «لوه»، تعني (إلتف)، أي (إهتدى)، وأن «جر» ـ وبصيغة الجمع مع أداة التعريف الكنعانية «هجريم»، تعني (موحدون)، فإن الترجمة الصحيحة للنص وجب أن تكون (واهتدى موحدون كثير ون ليهوه).

ومن المسائل المثيرة حقاً أن التوراة نفسها تسجل أن بعض الأسباط «الفرعية» تحولت لليهوية. فسفر الأيام الثاني ١٥ يتعامل مع هذه المسألة حيث ينقل الإصحاح ٩ : ١٥ «ويقبص ءت كل يهوده وبنيمين وهجريم عمهم مءفريم ومنشه ومشمعون كي تفلو عليـو ميسـرءل. . . . ». أمـا التـرجمـة التقليـدية للنص القائلة (وجمع كل يهوذا وبنيـامين والغـربـاء معهم من أفـرايم ومنسي ومن شمعـون لأنهم سقطـوا عليـه من إســرائيــل. . . .)، فلا تحمــل أي معنى على الإطــلاق. وفي حالـة أن المفـردة «هجـريم»، أي صيغـة الجمـع من المفـردة «جـر»، فعلاً تعني (الغرباء)، فمن غير الممكن تفسيـر كيف يمكن وصف الأسبـاط أفـرايم ومنسي وشمعـون بأنهـا غريبة أو أجنبيـة، أي ليست من بني إسـرائيـل. واقع الأمر أن «هجريم» تعني (المهتدين) من هذه الأسباط والتي انضمت ليهوذا وأسلوب تعبدها ليهوه. بهذا فإن هذا المقطع يعني (ويجمـع كل يهـوذا وبنيـامين والمهتدين معهـم من أفرايم ومنسي ومن شمعون لأنهـم جاؤ وا إليـه من إسـرائيل. . .). ويفهـم من النص أن الأسباط الثلاثة الأخيرة تحولت لعبادة يهوه وفق طريقة يهوذا. ومن الجدير بالذكر أن هذا النص مرتبط بآسا ملك يهوذا الـذي تكيـل التـوراة المـديـح له، والذي يعتقد بأنه حكم يهوذا بين الأعوام (٩٠٨ ـ

٨٦٨ ق. م) ـ مرة أخرى أربعون عاماً! ومن الجدير بالذكر أن التوراة نفسها تتحدث أن الأسباط كانت تتعبد وفق الطريقة التي كانت تراها.

ويتجدد عدم معرفة التوراة بوجود إسرائيل صافية عرقياً من سفر العدد ٣١ الذي يتحدث عن سبي إثنين وثلاثين ألف عذراء تم ضمها لإسرائيل. وهذا يتفق تماماً مع قول سفر التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٥ (وإذا خرجت لمحاربة أعدائك. . . ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة وإتخذتها لك زوجة. . . وتنزع ثياب سبيها عنها. . . . ثم تدخل عليها وتتزوج بهات فتكون لك زوجة). كما أن سفر التكوين ٣٨ مخصص لمسألة زواج يهوذا بامرأة كنعانية. وبغض النظر عن خطأ التأويل الذي وقع فيه علماء التوراة، فمن الواضح أنها أضيفت للنص بهدف تبيين عدم وجود بني إسرائيل صافين عرقياً. أي أن الاختلاط بينهم وبين الشعوب الأخرى كان مسألة قديمة للغاية. ومن المعروف أن أرميا كان ينتظر اليوم الذي تتحول فيه مصر وأشور لليَهْوِيَّة ـ أنظر سفر أرميا ١٩ : ١٨ ـ ٢٤. كما أن نبي التوراة صفنيا تنبأ مُرحِّباً باليوم الذي ستتعبد فيه كافة الشعوب لإله التوراة؛ أنظر سفر صفنيا ٣ : ٩ ـ ١٠ القائل (لأني حينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم يهوه، ليعبدوه بكتف واحدة).

ومن الجدير بالذكر أن كافة الأسماء المركبة لبني إسرائيل الواردة في العهد القديم حتى تأسيس مملكة داود، بل وبعض الملوك مثل يربعام، رحبعام، أبيام. . . إلخ لا تحمل الاسم يهوه على الإطلاق، بما يثبت أن مسألة التعبد ليهوه جرت في مرحلة لاحقة. أي أن بني إسرائيل وملوكهم وكهنتهم كانوا أنفسهم متحولين أو مهتدين لليهوية.

وأخيراً لابد من التنويه بأن «السبعونية» تترجم المفردة التوراتية «جر»، إلى (مهتدي، متحول عن دينه لدين آخر)، وبالإنجليزية proselyte, convert أكثر من ٧٥ مرة[١٨]. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه النسخة من العهد القديم اعتمدت رسمياً وأنجزت عبر فترة استمرت حوالي قرنين من الزمان، وشارك فيها رجال الديانة اليهودية من مختلف الاتجاهات والأقاليم، فمن الصعب فهم عدم قبول علماء التوراة لهذا المعنى. برأيي أن الترجمة اليونانية صحيحة في معظم الأحيان لأنه ماكان مسموحاً لأحد أن يقدم أية ترجمة لأي مفردة دون حيازة موافقة كافة مراكز مختلف الاتجاهات اليهودية.

لاشك أن هذه المسألة مطولة للغاية، لكني عملت قدر الإمكان على تجنيب القاريء الإرهاق الناتج عن أي تَوسُّع لاضروري في الموضوع. في الوقت نفسه أعتقد أني قدمت أدلة كافية على أن التوراة عرفت وجود مهتدين لليهوية. ولاشك أن أعداد المهتدين أو المتحولين كان كبيراً بما اقتضى وضع مراسم خاصة لكيفية التعامل معهم. وقد رحب أنبياء بني إسرائيل بالمهتدين الجدد وساووا بينهم وبين بني إسرائيل، بل واعترفوا بحقهم في أن يفرزوا كهنة ولاويين. لقد وقف الأنبياء إلى جانب هذه المجموعة معتبرينهم أعضاء كاملين في الديانة التي كانوا يدعون إليها، لأن إسرائيل كانت بالنسبة لهم رابطة دينية لاتفرق بين الأقوام والأمم. لقد كانت نظرة أنبياء بني إسرائيل كونية لأنهم دعوا لكسب كافة الشعوب للتعبد ليهوه. ومن الطبيعي أنه كان من مصلحة إله التوراة يهوه أن تنتشر تعاليمه بين كافة الشعوب. وفي المقابل، وقف بعض الكهنة ضد هذا الاتجاه المنفتح، وحاولوا حصر هذه الديانة في مجموعة معينة معتبرين بني إسرائيل تجمعاً دينياً إثنياً. لكن تأثير الكهنة بقي محدوداً، هذا في أحسن الأحوال. فبقيام مملكة (ي) بني إسرائيل، انتشرت عبادة يهوه بين شعوب الإقليم وخارجه، مما قاد إلى نشوء تيارات دينية مختلفة تعرف حالياً خطأً بأنها اليهودية، وبرأيي أن الكهنة الذين جاؤوا من يهوذا، كانوا من الآراميين بما يفسر سبب اشتراط سفر التثنية ٢٦ : ٥ أن يكشف الذي يريد المشاركة في الاحتفال عن انتماءه الإثني ويقول (آرميا تائهاً كان أبي). وعندما تمكن الكهنة من إستئناف نشاطهم الواسع بعد السبي وانتهاء النبوءة، وفي غياب أية سلطة دنيوية، كانت قرون عديدة قد مرت على ذوبان بني إسرائيل وإندماجهم مع وفي أقوام وشعوب الإقليم، ولم يبق منهم وعنهم سوى الذكريات، وهذا موضوع الباب التالي.

٢) التهود والتهويد

إن الاعتقاد الشعبي العام بأن أتباع الديانة اليهودية هم نسل بني إسرائيل الإثني، ينطلق من مقولة صفاء الأخيرين العرقي، وهو ما أثبتنا خطأه في الباب السابق. هذا يعني أنه من غير الممكن أن كافة يهود العالم ينتمون لجنس واحد، لأن بني إسرائيل لم يتشكلوا من مجموعة إثنية محددة مختلفة عن محيطها، بل أنهم كانوا تجمعات قبائلية تباينت عن محيطها البشري فقط من ناحية الإيمان بيهوه كعظيم الآلهة أولاً، ثم كالإله الواحد. وهذا بالضبط مايشرح عدم معرفة التوراة للغة خاصة لبني إسرائيل ميزتهم عن محيطها البشري، بل أنهم، مثل جيرانهم، كانوا ناطقين باللسان الكنعاني. رغم هذه الحقائق الأولية التي قدمت إثباتات لها من التوراة، هناك إصرار من قبل البعض، إما عبر التصريح المباشر أو من خلال إحاطة الحقائق التاريخية بصمت مطبق، على أن اليهود ينتمون لنفس العرق، أي أنهم منحدرون من الأسباط. ومادام هناك مثل هذا الإصرار، فلا بأس من مسايرة الرأي والبحث في هذا الموضوع بما يستحقه من التفصيل لإثبات خطأ هذه المقولة، وتبين أنها تتناقض مع محتويات العهد القديم وكتابات الكهنة الواردة في التلمود، وكذلك مع ماتوفر من مصادر تاريخية مُوثقة.

قبل ذلك لا بد من التذكير بخطأ توظيف الاسم «يهود» للدلالة على أتباع اليهوديَّة وما انبثق عنها من تيارات في ذلك الحين. ورغم أن المصادر التاريخية تتحدث عن اليهود، إلا أن هذا اسم جامع يعود لـ«يهوذا»، وهو اسم المملكة التي

قضى عليها نبوخذ نصر. لكن عندما ننظر للخارطة الدينية في المشرق العربي بعيد نهاية الإمبراطورية الفارسية على يد قوات الاسكندر المقدوني، فإننا نجد طوائف «يهوذية» عديدة اختلفت عن بعضها البعض في مسائل دينية جوهرية بما قادها لحروب طاحنة. ومن هذه الاتجاهات الفريسيين والصدوقيين والعيسويين (Essener)، وجماعة قمران . . . إلخ[١٩]، ونحن نعرف من مصادر عديدة أن العديد من الطوائف اليهودية لم تعترف بالتلمود، ومنها تلك التي كانت مقيمة باليمن. وقد بقي الاختلاف بين هذه التيارات إلى عصرنا الحالي. وما المشكلة المحيطة حالياً بالفلاشا في أعقاب تهجيرهم إلى فلسطين المحتلة إلا لدليل على تاريخ طويل من الخلافات والاختلافات. لكن الآن وقد هدأ غبار الحملة الدعائية المرافقة للتهجير، فوجيء الجميع بتقاليد الفلاشا وطقوسهم الدينية الخاصة بها، ومن ذلك تقديم الضحايا. ومن المعروف أن هذه الطائفة لاتعترف بـ«عيد الفوريم»[٢٠] وبدلاً من الاعتراف بأن اليهودية أو اليهوذية، ماهي إلا تيار كهنوتي انبثق عن اليهوية، باشرت السياسة باختراق جديد لعلم التوراة حيث يدور حديث عن أنهم أحد التيارات المسيحية.

وبالعودة لمسألة القسم الرئيسية، هناك العديد من المراجع التي يمكن الاستعانة بها للبحث في مسألة تهود طوعي أو تهويد إجباري لأقوام عديدة اعتبرت من خارج بني إسرائيل. وفي مقدمة هذه المراجع العهد القديم نفسه، وتحديداً الأسفار التي تنقل أحداث مابعد سبي يهوذا، ومنها التي تحمل الاسم عزرا، نحميا، أستير، زكريا ودانيال. ويضاف لذلك بالطبع بعض الأسفار المسماة «أبوكريفا»، ومنها سفرا المكابيين المعترف بهما من قبل التيار الكاثوليكي فقط.

المرجع الأول الذي وجب العودة إليه للبحث في موضوع مكونات يهوذيي السبي هو السفر الذي يحمل اسم الكاهن عزرا، والذي يوصف في التوراة بأنه كان (كاتباً ماهراً في شريعة موسى) - عزرا ٧ : ٦. ومن الجدير بالذكر أن العهد القديم يقول بأن عزرا هذا نشط إبان سيطرة فارس على بابل، وذلك خمسون عاماً بعد سبي يهوذا على يد قوات نبوخذنصر[٢١]. ويقال أن عزرا اختير من قبل الكهنة أو بعض منهم، لإنجاز فرز إثني ليهوذي السبي، ذلك أنه « . . . . هيأ قلبه لطلب شريعة يهوه

والعمـل بهـا وليُعَلم إسـرائيـل فريضة وقضاء» ـ سفر عزرا ٧ : ١٠ . وبغض النظر عن تاريخيـة هذا الكـاهن أو الأخبار المنقولة عن إعادة بناء الهيـكل والتي ليست موضوع البحث، فإن دعـواتـه لتنقيـة بني إسـرائيـل لدليل على أنه جاء متأخراً. وما الكلمات التوراتية المنسوبة له في الإصحاح ٩: ٢ من السفر الذي يحمل اسمه، والقائلة بأنه «اختلط الـزرع المقـدس بشعـوب الأرض»، إلا إعتـراف بأن مهمتـه تجـاوزها ركب التطور التاريخي؛ أنظر أيضاً سفر عزرا ١٠، ونحميا ١٠ : ٣٠. ويؤكد هذا الأمر ما نُسب لنحميـا الذي يقال أنه كان معاصراً له. فالإصحاح ١٣: ٢٣ ـ ٢٧ من السفر الذي يحمل اسم الأخير، يسجل بكلمات واضحة أنه: «في تلك الأيام رأيت اليهـوذيين[٢٢] الـذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات ونصف كلام بنيهم باللسـان الأشـدودي ولم يكـونـوا يحسنـون التكلم باللسان اليهوذي بل بلسان شعب وشعب. فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً ونتَّفتُ شعورهم». إن هذه التعاليم القائمة على الصفاء الإثني لم تكن من الأنبياء بل تعود لبعض الكهنة الآراميين الذين كانـوا من يهـوذا تحـديـداً. لذا فإن تعـاليم الأخيرين لم تحمل الاسم إسرائيل، إنما أطلق عليها اسم اليهودية، الأصح (اليهوذية).

أمـا المـرجـع الثـاني الـذي يمكن استشـارته بخصوص مسألة التهوُّد فهو سفر أستيـر، والـذي يرى أهـل العلم أنه يعود للقرن الثاني قبل الميلاد؛ أنظر استعراضي للسفر في الفصل الأول من المؤلف. ففي الإصحاح ٩: ٢٧ من هذا السفر والذي يشير إلى «عيد الفوريـم» المقرر في ١٤ / ١٥ من شهر آذار من كل عام، يرد التالي: «قيمـو وقبـل هيـهوديم عليهم وعل زرعم وعل كل هنلويم عليهم. . .». أما الترجمة الدقيقة للنص وجب أن تكون على نحو «أوجب اليهوذيون وقبلوا على أنفسهم وعلى نسلهم وعلى الملتفين حولهم. . . أن يعيـدوا هذين اليـومين. . .». ومن الـواضح من الـنص الـتـوراتـي أن الـمـقـصـود بـ«هنلويم»، ليس (الـذين يلتصقـون بهم / الملتصقين)، وإنمـا جمـاعة معينة هي المتهوذون أو المتهودون، أي أن السفر يميز بين اليهـوذيين «الأصليين» كجمـاعـة دينيـة، والمتهـوذين من الأقـوام الأخـرى. كما يُظهر النص أنـه من غيـر الممكن أن المقصـود باليهـوذيين جمـاعة إثنية، لأنه ليس بإمكان المـرء أن يغيـر من جنسيتـه إلا بالادعـاء الكاذب. ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن

النص يتحـدث عن أن «اليهـوذيين أوجبوا وقبلوا على أنفسهم» الاحتفال بالعيد الذي يقـال أنـه نشأ بمنـاسبة تصفية أعدائهم في الإمبراطورية الفارسية .

لكن هذا الحدث غير صحيح من الناحية التاريخية ، وهو مايتفق عليه أهل الاختصـاص . ولـو كان المقصود فعلاً مسألة تاريخية ، لما كان اليهوذيون محتاجين لأن (يقبلوا وأن يلتزموا) بالاحتفال به ، بل على العكس لكانوا (قرروا) عمل ذلك . ويبدو من الصياغة أن المقصود هو قيام الكهنة بفرض هذا العيد الفارسي على أبناء ملتهم . هذه حقيقـة وجب أخـذهـا بعين الاعتبـار نظـراً للتأثيـر الفـارسي الكبيـر على الديانة اليهودية ، وهذه مسألة لاجدال فيها أبداً بين العلماء .

ونعثـر عبـر قراءة مقاطع أخرى من نفس السفر على اعتراف واضح وصريح بأن المصطلح أو الاسم «يهـوذا» ، أو «يهـوذيين» ، والـذي كان يشير للتجمع القبائلي في مملكـة يهـوذا ، أضحى اسمـاً جمـاعياً لمجموعة دينية وليس أكثر من ذلك ، فسفر أستير ٨ : ١٧ يقـول بلغـة التـوراة «وبكل مدينه ومدينه وبكل عير وعير مقءم ءشر دبر هملك ودتـو مجيـع شمحـه وششون ليهوديم مشته ويوم طوب وربيم معمي هـءرص متيهديم كي نفـل فحـد هيـوديم عليهم» . والترجمة العربية للنص هي (وفي كل مدينة ومدينة وفي كل جبل وجبل وصل إليه كلام الملك وأمره كان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويـوم طيب وكثيـرون من شعـوب الأرض تهوذوا لأن رعب اليهوذيين وقع عليهم)[٢٣] . لكن بغض النظـر عن الـرديف الصحيـح للمفردة ولتاريخية الرواية الواردة في السفر، فإننـا نجـد اعتـرافـاً صريحـاً بوجود أقوام تحولوا لليهودية ، وإن لـم يعترف بهم الكهنة كيهود كاملين ، مما جعلهم يصفونهم بأنهم (متهودون) . وبمقارنة هذا النص بسابقه ، نجـد أن الفـردة «متيهـديم» مستخـدمة هنا كرديف لـ«هنلويم» ، بما يعني أن الأخيرة تعني فعلاً (مهتدين ، متحولين) .

وبـإستشارة سفر زكريا الذي يرى بعض أهل الاختصاص أنه يعود لنفس مرحلة الحشمونيين التي سُجِّل فيها سفر أستير ، نقرأ في الإصحاح ٢ : ١١ أن زكريا يخاطب بنت صهيون ، أي أورشليم ، قائلاً «ونلوو جريم ربيم ءل يهوه بيوم ههوء وهيولي لعم وشكنتي بتـوكـك ويـدعت كي يهوه صبء وت شلحني ءليك» . أما الترجمة العربية

التقليدية التي تقول (فيتصل أمم كثيرة بيهوه في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود أرسلني إليك)، فهي غير دقيقة إطلاقاً. فالصياغة «ونلوو جريم ربيم ءل يهوه بيــوم ههـوء»، تعني (واهتـدى موحـدون كثـير ون إلى يهوه في ذلك اليوم)، لأن الأداة الموظفة ليست (بـ) كما في الترجمة التقليدية، وإنما («ءل» يهــوه)، والتي لايمكن أن تعني (بيهـوه). أمـا المفـردة «نلوو»، فهي جمـع الغـائب لصيغة«انفعل» ـ من المفردة «لوه» التي رأينا في الباب السابق أنها تعني (هُدى، هداية).

وهنـاك مشكلة أخرى في الترجمة التقليدية، وتتعلق بالمفردة «لعم»، والمترجمة إلى (شعب). وفي حالة أن هذا هو المعنى المقصود، يكون الرديف (لشعب)، بما يشـوه النص ويجعله غيـر مفهـوم. برأيي أن المقصـود هنـا صيغـة الجمع من الكلمة «لـع»، بمعنى (حنجـرة) ـ أنظـر سفـر أمثـال ٢٣ : ٢. أي أن النص يستخـدم صورة تعبيـريـة تشيـر إلى قيـام المهتـدين بالـدعـوة والتبشيـر بديـانتهم الجديدة. في كافة الأحـوال، فمن الـواضـح أن هذا المقطـع يشيـر إلى مهتدين لعبادة يهوه، ولذا وجب ترجمتـه على نحـو (واهتـدى موحدون كثيرون إلى يهوه في ذلك اليوم وكانوا لي دعاة وسكنت بوسطك كي تعلمي أن يهوه الصبيات أرسلني إليك).

ونعثر على إشارات أخرى للمهتدين في الإصحاح ١١ : ٤٣ من سفر دانيال، حيث نقـرأ مايلي : «وبهكسليم يعـزرو عزر معوط ونلوو عليهم ربيم بحلقلقوت». أما التـرجمـة العـربيـة فتـورد النص على النحـو التـالي (فإذا عثروا[٢٤] يعانون عوناً قليلاً ويتصـــل بهم كثيــرون بالتملقـات). لكن الفهم الـدقيق والمستقيم للجملة يستلزم العودة للنص الأصلي.

إن الخطأ الـذي وقـع فيـه مترجمـو كافة النسخ المعمول بها، قيامهم بترجمة التعبير «نلوو عليهم» إلى (ويتصل بهم)، رغم أن الفعل الموظف في النص الأصلي هو«عليهم» وليس (بهم). برأيي أن هذه التـرجمـة غيـر دقيقـة لأنـه فيما لوكان الرديف العـربي للمفـردة «نلوو»، هو(يتصل)، لوجب كتابة الجملة (ويتصل عليهم)، وهذا لايجوز. المقصود إذن بهذه المفردة (جدل / التفاف)، وهو المعنى الدقيق للمفردة العربية (لوى). وفي حالة قبول هذا، فإن المعنى يستقيم تماماً.

وقد ترجم التعبير «حلقلقوت» إلى (التملقات)، رغم أن النص الأصلي غير مسبوق بأداة التعريف المضافة في الترجمة العربية. رغم ذلك، يبدولي أن إجتهاد المترجمين صحيح، لكن على طريقة «رمية دون رام» ذلك أن المعاجم التوراتية لاتقدم أي تفسير للمفردة. ونحن نعلم أن التعبير «حلقلقوت» لاترد بهذا المعنى سوى مرتين، وفقط في سفر دانيال ١١ : ٢١. برأيي أنه وجب كتابة هذه المفردة على شكل «حلق لقوت»، حيث يشير الأول إلى (الحنك) والثاني إلى (اللقوة). وبخصوص المفردة الأخيرة، تفيد المعاجم العربية أن اللقوة (داء في الوجه يَعْوَج منه الشدق). وقد بقي هذا التعبير العربي الفصيح في بعض لهجات المشرق العربي، وأعني به (لاوق)، بمعنى «قَلَّد باستهزاء». أي أن المصطلح التوراتي يشابه التعبير الشعبي (حنك أعوج)، والمقصود بذلك كلام غير صادق. والآن وقد استكملنا فهم المفردات يتبين أن معنى الجملة هو (وبضيقهم يؤازرون أزراً قليلاً ويلتف حولهم كثيرون بقلب غير صادق). والمقصود بالأخيرين طبعاً «المنافقون».

الآن يمكننا الانتقال إلى تعامل الأبوكريفا مع مسألة التهود. فالإصحاح ٢ : ٤٥ ـ ٤٦ من سفر من المكابيين الأول، والذي يعود لفترة الحشمونيين في فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، ينقل المعرفة بأن الكاهن متتيا بن يوحنا (جال وأصحابه. . وهدموا المذابح، وختنوا كل من وجدوه في تخوم إسرائيل من الأولاد الغلف وتشددوا). أي أن الحديث هنا يتم عن أن اليهوذيين كطائفة دينية، وليس أكثر من ذلك. وقد رأينا سابقاً أن التوراة عرفت إتجاهين بخصوص المهتدين، أولهما يدعو للختان، والآخر متساهل بخصوص هذه المسألة. أما هذا السفر فيشير إلى التيار الأول المتشدد.

كما تتوفر لدينا مصادر هامة أخرى عن عمليات تحول لليهودية تمت بشكل طوعي أوقسري، نقلها المؤرخ يوسيفوس فلافيوس في مؤلفاته (تاريخ الحروب اليهوذية)، (حوليات يهوذية)، وغيرها. وفي مجال الإشارة إلى عمليات إجبار سكان فلسطين وسوريا على التهود، سجل هذا المؤرخ في كتاب (الحوليات اليهوذية ـ ١٣ : ٩ / ٣)، أن الكاهن الأكبر هيركانوس، أجبر كافة الأدوميين على ممارسة الاختتان والأخذ بالتعاليم اليهودية فيما إذا رغبوا في البقاء في أوطانهم. ويبدو أن

النص هنـا يشيـر أيضـاً لمجمـوعات سكانية انتمت لبوتقة حضارية أخرى، وربما أن المقصود بهم الإغريق الذين لم يعرفوا طقس الختان. والأمر ذاته ينطبق على سكان إتـوريـا Ituraea ، حيث سجـل نفس المؤرخ أن ابن الكـاهن آنف الـذكـر المسمى أريستوبولوس، أجبر السكان على الاختتان والتقيد بتعاليم اليهودية[٢٥]. بل أن عملية التهـويـد القسـري كانت أوسع من ذلك بكثير، حيث نقرأ في نفس المؤلف ـ ١٣ : ١٥ / ٤ ، أن اليهـوذيين (اليهـود)، سيطـروا على مدن كثيـرة كانت للسـوريين، الأدوميين، والفينيقيين، وأجبـروا سكـانهـا على التهـود والاختتـان. ومن هذه المدن والأقاليم المذكورة في المؤلف مدينة (قيسارية)[٢٦] الواقعة قرب حيفا، (خربة أرسـوف)[٢٧] قرب يافـا، (يافا)[٢٨] (يَبنة)[٢٩] الواقعة قرب الرملة، (أشدود)[٣٠]، غزة، (كفـر حتـا)[٣١] قرب نابلس، رفـح[٣٢]، (العـريش)[٣٣]، (دورا)[٣٤] قرب الخليـل، (مـريش) قرب الخليـل / (تـل صنـداحنـة)[٣٥]، (سبسطيـة)[٣٦] قرب نابلس، جبـل الكـرمـل، (جبـل طابور) قرب مدينة الناصرة، (بيسان)[٣٧]، (أم قيس)[٣٨] قرب نهر اليرموك بالقطر الأردني، (مرتفعات الجولان)[٣٩] بالقطر السوري، (المدائن)[٤٠] قرب نهـر دجلة بالقطـر العـراقي، جبلة، أي (جبيـل) بالقطـر اللبنـاني، أسبون (حسبان) بالقطـر الأردني مقـابـل اريحـا، مادبـا، ليمبـا (بـالأردن)، أورونس، تيليثـون(؟)، زارا(؟)، وادي سيليسا(؟). ثم قاموا بتدمير قرية (طبقة فحل) ؟ (خربة فحـل) ؟ [٤١] الـواقعـة بالقطـر الأردني جنوبي نهر اليرموك لأن سكانها رفضوا التعهد بالالتـزام بالتعـاليم اليهـوديـة. ويضيف يـوسيفـوس أنـه تم تدميـر العديد من المدن الأخرى في سوريا للسبب ذاته. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإغريق أطلقوا الاسم «سـوريـا» على كافـة المنطقـة الـواقعـة بين البحر الأسود ومصر، فإنه من الواضح أن عمليات التهويد القسرية هذه جمعت الكثير من الأقوام، وفي الوقت نفسه تنفي فكرة أو مقولة (اليهود الصافين عرقيا) والتي ناضل الكهنة من أجل تثبيتها.

ويضـاف لذلـك أن المؤلف المـذكـور آنفـاً سجل في كتاب (تاريخ الحروب اليهـوديـة ـ ٤ / ٩ : ٣ ـ ٥)، أن أحـد رؤسـاء انتفـاضـة يهوذية (يهودية)، كان اسمه «سمعان بر جيورء»[٤٢] المهم في الرواية أن الاسم جيورا لفظة الآرامية، ويرادفها في الكنعانية «جر»، بمعنى (مهتدي) ـ أنظر سفر الخروج ١٢ : ١٩ . ومن الجدير بالذكر

أن سمعان هذا قاد حرباً ضد أدوم، ثم انتقل لمحاربة أورشليم (القدس) نفسها بهدف القضاء على الكهنة أصحاب فكرة النقاء الإثني وجامعاً حوله العبيد الذين كانوا بلا شك قد أجبروا على التهود، لكن لم تتم مساواتهم مع الآخرين. كما أن المؤلف نفسه يسجل في كتاب (ضد أبيون ـ ٢ : ٣٩)، أن الإغريق وغيرهم اجتذبوا لليهودية.

ويتعامل التلمود نفسه مع مسألة المتهودين، بل ويحض وإن بطريقة غير مباشرة، على التهويد القسري من خلال تسجيل أن اقتناء العبيد من قبل اليهود يعتبر عملاً ورعاً لأنه يسمح للرقيق بالتعرف على إله التوراة. لذا فقد حرم بيع العبيد لغير اليهود لأنه سيؤدي إلى ارتدادهم عن دينهم. كما ابتدع الأحبار تعبيراً خاصاً للتعامل مع المتحولين، ومنها «قرب تحت كنف هشكينه»، أي (قُرِّب تحت كنف السكينة). أما إشارات التلمود للمتحولين أو المتهودين فنجدها في التلمود البابلي «قدشيم ٤ / ١ ؛ ٧١ ء، ب»، «منحت ٨٥ ب»، «بركت ٨ ب»، و«حريت». كما نعثر عليها أيضاً في التلمود الفلسطيني في قسم «يبمت ١٦ء؛ ٨٥ ب». ومن الجدير بالذكر أن التلمود البابلي يشير على لسان الرابي ماير في قسم «جيطين ٥٥ ب» إلى تهود الإمبراطور نيرون الذي اشتهر بهمجيته ضد المسيحيين واليهود أيضاً.

لكن لم يوجد هناك موقف موحد تجاه المتهودين، حيث وجد تيار مبكر وقف ضد هذه العملية واصفاً المتحولين بأنهم فاسدون وداء البرص. فالتلمود البابلي يورد في قسم «يبمت ١٦ ب» والتلمود الفلسطيني في القسم «يبمت ١ : ٦»، بأنه من غير المسموح تهويد أهل تدمر أو الأكراد. المهم هو حقيقة أنه لولا أن أعداد المتهودين كانت كبيرة لما كان هناك من داع لتعامل التلمود مع هذه المسألة بالتفاصيل المعروفة.

وقبل الانتهاء من هذه المسألة وجب لفت الانتباه إلى أن القسم (سكه ٤٩ ب) من التلمود البابلي يسجل أن إبراهيم نفسه كان متحولاً proselyte. لكن من الواضح أن الأحبار أخطأوا في الاجتهاد هنا حيث ترجموا المفردة «جر» إلى (متحول / مهتدي)، والذي يبدو أنه تعليق على النص الوارد في سفر التكوين ٢٣ : ٤ الذي

يقـول «جـر وتـوسب ءنكي عمكم» . وقد سجلت رأي بهذا الخصوص في بداية هذا القسم حيث ترجمت المقطع إلى (أنا مُوحِّد ومقيم معكم) .

كما أن الكتابات اليهودية تسجل أن كافة أبطال التوراة كانوا مبشرين ، هذا عدا عن الإشارة إلى أن كبار أحد اليهود مثل شميع ، أبطلون ، عقبة ، ومائير كانوا أنفسهم متحـولين لليهـوديـة . فعلى سبيل المثال يذكر التلمود البابلي في القسم «قدشين ٨٥ ب» أن الرابي يهوذا كان متهوداً من الهند .

كمـا ونجـد إشـارات في العهد الجديد لرجالات هامة تحولوا لليهودية . ودون الـدخـول في تفـاصيـل طويلة ، أذكـر منهم نيقـولاس المهتـدي[٤٣] من أنطاكية ـ في الترجمة العربية (دخيلا) . لكن النسخة اليونانية الأصلية توظف المصطلح Proselytos ، وبـالإنجليـزيـة Proselyte أي (مهتـدي) . والعهد الجديد نفسه يشير لوجود متحولين لليهـوديـة . فإنجيـل متي ينقـل في الإصحـاح ٢٣ : ١٥ على لسان يسوع بن يوسف النجار سخريته من أحبار اليهودية بقوله : (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطـوفـون البحـر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً . ومتى حصل تصنعونه إبناً لجنهم أكثـر منكم مضـاعفـاً) . والمقصـود بهـذا وفق فهمي الشخصي «ويل لكم أيها الكتبة والفـريسيـون المنافقون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متحولاً (convert) واحداً . وعندما يحصل ذلك ، تضحي ملاءمته لجهنم ضعفي استحقاقكم لها» . ويتفق أهل الاختصـاص على أن هذه المقـولة المنسوبة ليسوع تعكس النشاط التبشيري القوي للطوائف اليهودية في ذلك الحين .

ونقـل إلينـا بعض المؤرخين والكتـاب الإغـريق والـرومان معلومات هامة عن أعمال التبشير اليهودية في الإمبراطورية الرومانية . ومن هؤلاء (كيكرو)[٤٤] في كتاب (Pro Flaco / مع فلاكـو) ؛ الشـاعـر هوراكيـه[٤٥] في مؤلف (Satir أو Sermones / أحاديث) ؛ الفيلسوف سنيكا[٤٦] في مؤلف (De Superstitione خرافات) ؛ المؤرخ (تـاكتيكـوس)[٤٧] في مؤلف (حوليات / Annales) ؛ الشاعر جوفينال[٤٨] في مؤلف Saturae / هجـاء) ، وكـذلـك المؤرخ كاسيـوس ديـو[٤٩] في مؤلف (تـاريخ روما ـ Historia Romana)[٥٠] .

لكن عمليـة التهـود لم تقتصـر على العصـرين الإغـريقي والروماني فحسب ،

وإنما امتدت لفترة طويلة بعد ذلك. وفي مقدمة هذه العمليات كان تهود الخزر أو ملوكهم. ورغم أن العلماء أصروا قديماً على اعتبار تلك القبائل التركية الجذور من بقايا بني إسرائيل ومن «الأسباط الضائعة» تحديداً، إلا أن البحث العلمي الجاد أجبرهم على التخلي عن هذا الطرح التعسفي والعودة لما كتبه ابن فضلان و ابن حوقل والإصطخري والمسعودي وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب.

كما تتحدث المصادر التاريخية عن أن جامعي الضرائب اليهود في أوروبا القرون الوسطى، كانوا يستغلون وظائفهم لإجبار السكان الفقراء على التحول لليهودية مقابل التساهل في حساب المبلغ الواجب دفعه. كما توجد أخبار بأن مسيحيي الأندلس تقدموا بشكوى لملك فرنسا Charles the Bold ، لأن السلطات العربية هناك أصدرت قراراً عام ٨٤٠م. يخيرهم بين الموت أو الإسلام أو التهود. كما طالبوا بطرد بودو ألعازار الذي كان شَماس الكنيسة في بلاط لويس الورع ـ Louis the Pious ، ثم تحول لليهودية وفر إلى الأندلس. ومن المعروف أن المجمع الكنسي المنعقد عام ٥٤١ بمدينة أورليانز بفرنسا اتخذ موقفاً حازماً ضد عمليات التهويد مانعاً زواج الإماء بيهود، أو تحرير العبيد إذا ماقترن بشرط بقائهم على ديانتهم اليهودية. كما وأصدر الملك الغوطي ركارد قراراً في إسبانيا عام ٦٠٠ م منع بمقتضاه تهود العبيد. ويضاف لذلك حقيقة أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أصدر في منتصف القرن العاشر قراراً جعل حكم الإعدام عقوبة لممارسة عملية الختان، كما ومنع بيع الإماء أو الجواري المسيحيات لليهود. ومن الجدير بالذكر أن مؤسس المذهب البروتستانتي مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م)، اتهم اليهود بأنهم يمارسون عمليات التبشير والتهويد.

ولم تقتصر عمليات التهود على أوروبا فقط بل أنها إمتدت لتشمل أقاليمها الشرقية أيضاً حيث تم تأسيس (طائفة الملتزمين بالسبت / Somerei Sabat)[٥١] في روسيا في القرن السادس عشر. وقد بقيت هذه الطائفة محافظة على نفسها حتى بدايات القرن الحالي حيث هاجر كثيرون من أعضائها إلى فلسطين. وفي القرن الثامن عشر تم إجبار الكثير من الرقيق في أمريكا الشمالية على التهود.

من الممكن الاستطالة أكثر في هذه المسألة[٥٢]، لكن هذا الموضوع طويل للغاية، لذا وجب التوقف الآن خاصة وأننا تمكنا من تقديم إثباتات كافية على أن مقولة الصفاء الإثني لليهود لاتستند إلى أية دعائم كانت. ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن اليهودية كانت منتشرة بمختلف طوائفها إلى حد كبير في أوروبا، لكنها فقدت موقعها لصالح المسيحية في فترة قصيرة للغاية. والسبب على مايبدو أن أحبار اليهود وقفوا ضد مساواة المتهودين وحقوقهم في المؤسسات الدينية لليهودية[٥٣].

هوامش الفصل الرابع

١ - من الخطأ النظر لهذا الإحصاء بالمعنى الحديث للكلمة. فالهدف كان على مايبدو حصر عدد الرجال المقاتلين من كل عشيرة بهدف تنظيم مساهمة كل منها في الجيش المحارب. لكن هذا لايتنافى مع تقييمي للمسألة حيث تبقى حقيقة أن جيش داود ضم كافة شعوب مملكته حديثة التكون.

٢ - بالإنجليزية proselytes, converts.

٣ - Proselytism, conversion.

٤ - راجع بهذا الخصوص مؤلف:

Goetter und Mythen im Vorderen Orient. Heransgegeben von Hams W. Haussig, Ernst Klett Verlag. Stuttgart. 1967. Bd I.

٥ - في النص الأصلي «جر».

٦ - في الترجمة العربية («الإله القادر على كل شيء» بدلاً من إيل شداي).

٧ - من الممكن فهم هذا المنحنى التوحيدي عند تناول قضية مسلم بن حبيب (مسيلمة الكذاب). فقد عرف عنه وعن قومه بني حنيفة تعبدهم لإله واحد عَرفه الإخباريون العرب بأنه «الرحمن»، وكذا كان اسم حديقته المرتبطة به، أي (حديقة الرحمن). ومن غير الممكن الآن معرفة الكثير عن بني حنيفة لأن مسليمة لم يؤمن بالرسول، هذا عدا عن إدعائه مشاركة النبي محمد في النبوة. بذلك، أضحى خارجاً عن الإسلام وسُدِلَ الستار عليه وعلى أية معلومات محايدة عن تعبد بني حنيفة.

٨ - في النص المترجم، (الله).

٩ - يبدو أن هذه المجموعة من الناس إستمرت في الوجود عبر الاسم العربي (جار الله).

١٠ - من الواضح أن هذا النص التوراتي أيضاً يفرق بين صنفين من المهتدين أولهما المؤمن بيهوه دون أن يختن، والمسمى «يرءي ءدوني / يرءي يهوه» - في الترجمة العربية، (خائفو الرب / متقو الرب)، والمشار لهم في سفري ملاخي ٦: ١٦؛ والمزامير ١٥؛ ٢٢؛ ٢٣؛ ٢٥؛ ١٢؛ ١١٥؛ ١١ وغيرها. ومن المعروف أن النصرانية الرسولية التي قامت في فلسطين وفق تعاليم يسوع بن يوسف النجار، لم تكن تفرض الختان، وربما نجد جذورها هنا. أي أن هذه الديانة لم تكن تفرعاً من إحدى الطوائف اليهودية، وإنما إحدى الاتجاهات المنبثقة عن اليَهويَّة. أما الصنف الثاني من المهتدين، فهو «الكامل»، أي الذي آمن بإله التوراة يهوه وخضع لطقس الاختتان. وما صيغة (ولموحد اهتدى في وسطكم) إلا إشارة للذي مارس الاختتان في وسط بني إسرائيل بعيد حلوله بينهم.

١١ - أنظر سفر التكوين: ٢٩ : ٣٤.

١٢ - هناك مشكلة تتعلق بالتعرف على اللاويين في التوراة، لكن ليس هناك من مجال للبحث في هذا الموضوع المسهب. ومن الممكن العثور على أثر منهم في الأولياء (ولي - بالاستبدال عن «لوه»). ومن الجدير بالذكر أن المراجع تنقل حديثاً شريفاً يُعرِّف الأولياء بأنهم (هم الذين يذكرون الله برؤيتهم)، أي السمت والهيئة، وقيل أيضاً بالإخبات والسكينة. وقيل هم (المتحابون في الله). وأضيف لذلك (إن من عباد الله عباداً ماهم بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله. وهم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، وأن وجوههم نور وإنهم لعلى منابر من نور).

١٣ - أي «المهتدي».

١٤ - بالسامك.

١٥ - ومنها القول (قَلب المؤمن مصفح على الحق، أي ممال عليه).

١٦ - هناك مشكلة أخرى مرتبطة بالنص تتعلق بالمقطع (هو جاء من أرض بعيدة)، التي تختلف في أسلوبها عن باقي النص. هذا جعلني أرجح أنها إضافة أخرى من المحرر الذي اعتقد، أو حاول فرض رأيه بأن المفردة «هنكري» تعني (الغريب). في الوقت نفسه وجب عدم إستبعاد أن المقصود هنا تعبير تصويري يرمز للهداية ليهوه.

أي أن «عرص رحوقه» لاتعني (أرض بعيدة) وإنما (أرض أو بلاد سكرى)، علماً بأن المفـردة (رحق) تعني (خمـر) في اللغة العربية. ومما يدعم هذا الفهم وجود مفردتين بالعـربيـة في هذا النص، وهن «يسمعـون» في ٨ : ٤٢ ، و«يـدعون» في المقطع ٨ : ٤٣ . ولـو كانت المفـردتان كنعانيتين، لتم صرفهما على نحو «يشمعو» و«يدعو». وهناك الـرأي بأن الصيغـة التي تحمـل النـون الـلاحقـة في حالة الجمع ليست عربية وإنما توراتيـة مبكـرة يطلق عليهـا في هذا التهـذيب العلمي إسم Nun paragugicum . من ناحيتي، أنا أرجح أن هذه الصيغة ليست مبكرة، وإنما متأخرة نشأت بسبب التعريب المستمـر الـذي كان يمر فيه بنو إسرائيل، وفي حالة صحة رأيي بهذا الخصوص، فإن فهمي لـ«ءل» الـواردة في النص الأصلي على أنهـا تعني (لِـ) يكـون مبرراً من الناحية اللغوية ويجعل ترجمتي النص صحيحة تماماً.

١٧ ـ في النص الأصلي، ٢ : ١٥ .

١٨ ـ هنـاك العـديـد من أهل الاختصاص من يرى أن المصطلح اليوناني proselytos ابتدع من قبل مترجمي السبعونية و استخدم للمرة الأولى فيها.

١٩ ـ أنظر الملحق في آخر المؤلف.

٢٠ ـ أنظر كل من الفصل الأول والملحق عن هذين العيدين.

٢١ ـ أنظر الإبهام المحيط بشخصه وبالسفر نفسه في الفصل الأول من هذا الكتاب.

٢٢ ـ في الترجمة التقليدية المعتمدة (اليهود).

٢٣ ـ في الترجمة التقليدية (اليهود) بدلاً من (اليهوذيين). وقد رأيت وجوب ترجمة المفردة «عيـر» إلى «جبـل»، وليس «بـلاد» كمـا في النص العـربي المعتمـد. السبب هو أن المعاجم المختصة تعترف بأن أصل المفردة غير معروف، ويعتقد البعض أنه مستعار من السـومـريـة «عورو، عيري ـ eru, eri» بمعنى (مـدينـة). أنا أرى أن المقصود هنا (جبل)، ذلك أنه المعنى الذي تورده المعاجم العربية.

٢٤ ـ الأصح، (تعثروا).

٢٥ ـ راجع مؤلف (حوليات اليهوذية ـ ١٣ : ١١/ ٣).

٢٦ ـ في النص اليوناني الأصلي، Stratonstrum .

٢٧ ـ في النص اليوناني الأصلي، Apolonia .

٢٨ ـ في النص اليوناني الأصلي، Joppe .

٢٩ ـ في النص اليوناني الأصلي، Azot .

٣٠ ـ في النص اليوناني الأصلي، Anthedon .

٣١ ـ في النص اليوناني الأصلي، Raphia .

٣٢ ـ في النص اليوناني الأصلي، Raphia .

٣٣ ـ في النص اليوناني الأصلي، Rhinokorura .

٣٤ ـ في النص اليوناني الأصلي، Adora .

٣٥ ـ في النص اليوناني الأصلي، Marissa .

٣٦ ـ في النص اليوناني الأصلي، Samaria .

٣٧ ـ في النص اليوناني الأصلي، Skythopolis .

٣٨ ـ في النص اليوناني الأصلي، Gadara .

٣٩ ـ في النص اليوناني الأصلي، Gaulanitis .

٤٠ ـ في النص اليوناني الأصلي، Seleukia .

٤١ ـ في النص اليوناني الأصلي، Pella .

٤٢ ـ بالعربية، (سمعان بن المهتدي).

٤٣ ـ العهد الجديد، سفر أعمال ٦ : ٥ .

٤٤ ـ اسمه اللاتيني M. Tullius Cicero (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م). خطابي وسياسي وكاتب روماني. مؤلفاته تضم خطابات، كتابات في علم البلاغة Rhetoric، فلسفة ورسائل. ومن مؤلفاته الفلسفية (الدولة ـ De republica)، (القانون ـ De legebus)، (السيئات الكبرى والحسنات الكبرى ـ De finibus bonorum et malorum).

٤٥ ـ Flaccus Horace (٥٦ ـ ٨ ق.م). كاتب روماني تأثر بالفلسفة والفنون الإغريقية، حارب إلى جانب قتلة يوليوس قيصر في الحرب الأهلية الرومانية.

٤٦ ـ اسمه باللاتينية Seneca الأصغر (حوالي ٤ ق.م ـ ٦٥ م). فيلسوف وكاتب ورجل دولة روماني. كتب العديد من المؤلفات ومنها (رسائل حول الأخلاق ـ Epistulae morales)، (مسائل علمية طبيعية ـ Naturalis quaestionis). بعد إتهامه بالمشاركة في التآمر ضد نيرون أجبر على الإنتحار.

٤٧ ـ اسمه اللاتيني Punlius Cornelius Tacitus (٥٥ ـ ١٢٠ م). يعتبر آخر مؤرخ روماني هام.

٤٨ ـ الاسم اللاتيني Iunus Juvenal (٦٠ ـ ١٢٠ م). شاعر روماني ساخر. انتقد في مؤلفاته الأحوال السيئة للفقراء في مدن الرومان وكذلك أسلوب معيشة الأغنياء. من أشهر المقولات التي أطلقها (العقل السليم في الجسم السليم).

٤٩ ـ باللاتينية Casius Dio (١٦٠ ـ ١٢٠ م). مؤرخ إغريقي أضحى عضواً في مجلس الشيوخ الروماني. كتب ٨٠ مؤلفاً عن تاريخ روما منذ تأسيسها وحتى عهده، لكن بقي منها الكتب ٣٦ ـ ٦٠ التي تتعامل مع الفترة ٦٨ ـ ٥٧ ق.م. وأجزاء من الكتب ٧٨ و٧٩ التي تشير لأحداث الأعوام ٢١٧ ـ ٢٢٠ م.

٥٠ ـ لقد استقيت الترجمات الإنجليزية للنصوص الأصلية من الكتابات الصادرة ضمن مجموعة Classical Loeb Liberary .

٥١ ـ بالإنجليزية Sect of the Subotniki .

٥٢ ـ لقد استمرت عمليات التبشير والتحول لليهودية حتى أياما هذه حيث تم تأسيس العديد من الجمعيات التبشيرية اليهودية أذكر منها (الاتحاد الإسرائيلي العالمي الموحد ـ United Israel World Union) عام ١٩٤٤م، «لجنة للمتسبين» ضمن (المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين Central Conference of American Rabbis) عام ١٩٥١. (الرابطة العالمية لنشر اليهودية ـ World Union for The Prpagation of Judaism) عام ١٩٥٥ م؛ (الجمعية الإعلامية اليهودية في أمريكا The Jewish Information Society of America) عام ١٩٦٢م.

٥٣ ـ من الأمور الجديرة حقاً بالملاحظة السرعة المذهلة التي فقدت اليهودية مواقعها لصالح المسيحية الرسولية. السبب يعود بلا شك لصرامة بعض الاتجاهات الحاخامية تجاه الراغبين في الدخول لليهودية والمسجلة في التوراة. ورغم أن هذه موضوعة طويلة نوعاً ما، فلا بأس من المرور السريع عليها لفهم هذه المسألة، وإدراك مدى تقسيم «اليهود» بنظر بعض الأحبار كما يرد في التلمود. فعلى سبيل المثال نقرأ في التلمود البابلي (حوريوت ١٣ء) التالي: «كهن قودم للوي، لوي ليسرءل، يسرءل لممزر، وممزر لنتين، ونتين لجر، وجر لعبد مشوحرر». ومعنى ذلك (الكاهن يأتي قبل اللاوي، واللاوي يأتي قبل الإسرائيلي، والإسرائيلي يأتي قبل ابن الزنا، وإبن الزنا يأتي قبل النتن، والنتن قبل المهتدي، والمهتدي قبل العبد

المعتق). وقد عُرف الـ«نتن»، بأنه (خادم المعبد المناط به أدنى الأعمال) ـ أنظر سفر أخبار الأيام الأول ٩ : ٢ ؛ في الترجمة التقليدية (الموهوب)! السبب هو أن «النتن»، وعلى عكس المتحول ترعرع في ظل قدس. وقد دار نقاش بين الكهنة حول هذه المسألة حيث تفيد «الجمار»، تعقيباً، أن الحبر شمعون بن يوحاي أفتى بوجوب تقديم العبد المعتق على المتحول لأنه، وعلى عكس الأخير، ترعرع في ظل مقدس.

وقد وضع بعض الأحبار قوانين صارمة متعلقة بوضع المتحولين أو المتهودين ضمن ملتهم الجديدة. فقد فرض على المتحول أن يقطع كافة علاقاته العائلية بعد التحول حيث يعتبر أنه جديد الولادة حيث يعطى إسماً «يهودياً» جديداً ليس له علاقة بعائلته. وفي العادة كان الاسم الجديدة بصيغة محددة مثل (. . . بن أبراهام). وتبعاً لذلك فإن أقارب المتهود لايحق لهم وراثة ممتلكاته. وفي حالة أن المتهود لم يخلف بعيد تحوله، تضحي أمواله ملك لأول من يسيطر عليها (جيطين ٣٩ ء). ومن الأمور التي لم يختلف عليها بين الأحبار، عدم السماح للمرأة المتهودة بالزواج من كاهن، إلا إذا كانت قد تحولت لليهودية قبل بلوغها سن الثالثة (قيدوشين ٧٨ ء).

ومما استفز المتحولين أن القوانين التلمودية لاتسمح للمتهود بشغل أي منصب عام ـ مثلاً (قيدوشين ٧٦ ب). كما لا يسمح له بتولي منصب قاضي في محكمة جنايات، أوحتى في محكمة مدنية (سنهدرين ٣٦ ب)، عدا عن عدم جواز أن يصدر حكماً على متهود آخر. بل أن بعض الحاخامات أعربوا عن عدائهم للمتحولين، ومن ذلك قول الرابي حيا (لاتثق بأي متحول حتى بعد مرور ٢٤ جيل على نسله لأن الشر يكون متوارثاً فيهم) ـ مدراش روت زوتا ١ : ١٢.

كمـا أن المواقف العدائية التي اتخذها بعض الأحبار من أمم أخرى قد ساهمت لحد بعيد في الابتعاد عن اليهودية. فالتلمود البابلي ينقل في (سكه ٥٢ ب) أن (يهوه ندم على خلق أربعة أشياء هي السبي البابلي، الكلدانيين، الإسماعيليين وغريزة الشر) ـ قارن سفر أيوب ١٢ : ٦؛ علماً بأن المقصود بالإسماعيليين هم العرب. وهناك إشارة أخرى للعرب ترد في قسم (قيدوشين ٧٢ ء)، حيث يوصف الإسماعيليون، أي العرب، بأنهم مثل شيطان المراحيض. وفي مقام الحديث عن خصائص الأمم الأخرى، يقول التلمود البابلي في قسم (بريته ٤٩ ب)، بأن المرء

يعثر على تسعة أعشار العهر والفجور في جزيرة العرب. وقد وصف العرب في التراث الأدبي الحاخامي ومنه التلمود، بأنهم (أمة منحطة) أو (أمة دنيا)؛ أي «عومه شفله».

وقد اتخذ التراث الكهنوتي مواقف عدائية من أقوام أخرى، ومنهم الأكراد وأهل تدمر - التلمود البابلي (بيوموت ١٦ء) و(قيدوشين ٨٥ ب).

الفصل الخامس

شاول ومسألة فلسطين

لقد تناولنا في القسم السابق من المؤلف بعض القضايا المرتبطة بالتوراة بشكل نظري بحت. وقد تبين لنا من ذلك التحليل أن فهماً عميقاً ومستقيماً لقضايا لاتزال موضوع نقاش قد تيسر بشكل كبير من خلال تناول التراث التوراتي ضمن بيئة جزيرة العرب وتراثها الديني الذي تراكم لمئات السنين، ووصل لذروته بالإسلام. وسأتناول في هذا القسم بالتحليل بعض المسائل التوراتية الجغرافية المرتبطة بمفاهيم سائدة لنرى إن كان بالإمكان تقديم دعم إضافي لموضوعة البحث. وقد رأيت عدم التوسع في الموضوع الذي سأتناوله هنا وحصره في جانب جغرافي واحد من مسألة «فلشتيم»، والمترجمة في النسخة العربية من العهد القديم إلى (الفلسطينيين)، هذا رغم أن النسخ الأخرى تورد الاسم بصيغة (Philister-Philistines).

تسود قناعة لدى علماء التوراة بشكل خاص، وبين العامة بشكل عام بأن اسم الأرض فلسطين، يعود في أصوله لشعب أو لقبائل انتمت لما يعرف بـ«شعوب البحر». ويطلق الاسم الأخير في علم التاريخ القديم المتخصص بالمشرق العربي

وفي علم التـوراة أيضـاً، على مجمـوعـة من القبـائل أو الشعوب التي يقال أنها غزت مصر في الألف الثانية قبل الميلاد. وهناك رأي بأن هذا التحرك القبلي الذي تم عبر إقليم البلقان وكذلك عن طريق البحر، لم يكن غزواً، وإنما هجرات قبلية. وبغض النظـر عن طبيعـة هذا التحـرك البشـري، تفيـد الحـوليـات المصرية أن هزيمة تلك الموجة البشرية تم في عهد رمسيس الثالث (١١٩٣ ـ ١١٦٢) ق. م. تقريباً، حيث أوقف تقـدمهم عنـد مصب نهـر النيـل. وفي النقـوش العـائـدة لذلـك الفرعون، ترد تفـاصيـل إلحـاقه هزيمة بأعدائه، ومنهم (دانونا) و(فولستا)[١]. رغم ذلك، فإن الآثار التي عُثر عليها في مدينة حابو قرب الأقصر في مصر العليا تسجل أن ذلك تم في فترة أبكـر، وفي عهـد الفـرعـون رمسيس الثـاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق. م) تحـديداً. ومن ضمن القبائل المذكورة في النقش (ثكر)، (شكلش)، (دنين)، (وشش)، و(فـرشت)[٢]. وانطـلاقـاً من حقيقـة أن قدمـاء المصريين لم يوظفوا حرف اللام (ل) لكتـابـة الأسمـاء غير المصرية، وإستعاضوا عنها إما بحرف الراء (ر)، أو حرف النون (ن)، إقتنـع معظم العلمـاء بأنـه وجب كتـابـة الاسم (فـرشت) على نحو(فلشت). وبينما تعتبر هذه القراءة ممكنة من الناحية المنهجية، لكنها ليست إلزامية. بكلمات أخرى، فإنه من الممكن أن تلك المجموعة المشار إليها في النقوش المصرية عُرفت بإسم «فلشت»، لكن هنـاك إحتمـال بأنهـا سُميت (فرشت)[٣]. على أية حال، اعتبر علمـاء التـوراة أن الأخيـر هو الاسم الـوارد في التـوراة بصيغة (فلشت / فلشتيم)[٤]، لكني سأعود لهذه المسألة لاحقاً.

رغم ذلـك، هنـاك تيار في علم التوراة يرى بأن الإسم («فلشتيم» / فلسطين) يعـود في أصله إلى الفلسجيين Pelasgians الـوارد ذكـرهـم عنـد هيـردوت[٥] كجيران أقاموا في إقليم شرقي بلاد الإغريق، وغير المعروف عنهم أي شيء حتى الآن.

ثم تلى ذلـك اجتهـاد بأن الاسم «فـرست / فرشت» يشيـر لقبـائـل جاءت من جزيرة كريت، أو من قبرص، أو من الشواطىء الغربية لآسيا الصغرى.

وحيث أن الأمـر يتنـاول بالـدحض مسـائل أضحت راسخة في هذا العلم وفي عقولنا منذ فترة طويلة، فمن الضروري تبيين الكيفية التي وصل عبرها علماء التوراة إلى إستنتـاجـاتهم التي تربـط بين «فلشتيم» العهـد القديم من جهة، وبين «فرشت»

و«فلست ـ فرشت» النقوش المصرية من جهة أخرى. وبعد ذلك آترك للقاري تقرير مدى قناعته بالمقولات السائدة وأرائي بخصوص التحديد الجغرافي المرتبط.

بقراءة النصوص التي تشير إلى (سفن كفتو ـ «كفتيو») العائدة لفرعون مصر أمنوحتب الثالث (حوالي ١٤٠٠ ق.م)، رسى رأي علماء التوراة أو معظمهم، على أن الاسم «كفتو / كفتيو» يشير إلى جزيرة كريت. السبب أنه عثر على إسم «كفتره» فيما يعرف باسم «النصوص الاقتصادية» العائدة لمملكة ماري. كما أن العلماء يفيدون بأن الاسم «فلست» ورد في نصوص أرخت بعهد فرعون مصر رمسيس التاسع (١١٣٤ ـ ١١١٧) ق.م. تشير إلى «شعوب بحر» ثلاثة هي (شرادنا)، (تيكر)، و(فلست). وقيل أيضاً أن النص يشير إلى ثلاث مدن «فلسطينية» هي عسقلان وأشدود وغزة. وحيث أنه وجدت نقوش أوغاريتية[٦] تشير إلى (كفتر / «كفت ـ ر») و(حكفت / «ح ـ كفت»)[٧] فقد حدد أهل الاختصاص الموقع (ين) بأنهما جزيرة كريت الواقعة في البحر المتوسط. والقضية المركزية في هذا العمل ليس التثبت من موقع المناطق الواردة ذكرها في نقوش ماري وأوغاريت، وإنما تبيين أسلوب ومنهجية علماء الآثار والتوراة في تحديد (فلشت) بأنها هي «فلشتيم» التوراتية، وبأن المقصود بهم إغريقيون من جزيرة كريت. قبل ذلك لابد من لفت الانتباه إلى أن الاسم «فلشت» لايرد إطلاقاً في هذه النقوش.

واقع الأمر أن الأسلوب الذي اتبعه علماء الآثار في تحديداتهم الجغرافية لاتستند إلى أية لقى على الإطلاق. فكل مافي الأمر أن سفر صفنيا (٢ : ٤ ـ ٥) يسجل وفق الترجمة التقليدية، وبالتالي السائدة، مايلي: (لأن غزة تكون متروكة وأشقلون للخراب. أشدود عند الظهيرة يطردونها وعقرون تستأصل. ويل لسكان ساحل البحر أمة الكريتيين. كلمة الرب عليكم. ياكنعان أرض الفلسطينيين إني أخربك بلا ساكن). أي أن فهمهم التقليدي لجغرافيا النص الذي يشير إلى المدن «عزه»[٨]، «ءشقلون»[٩]، «ءشدود»، و«عقرون»[١٠]، والذي يربط بين «ءرص فلشتيم» ـ في الترجمة التقليدية (أرض الفلسطينيين)، وبين (الكريتيين)[١١]، أقنعهم بأن «فلشتيم»، هم «كرتيم»، أي (أهل جزيرة كريت)، الذين عرفوا أيضاً بالاسم «كفتر».

ويضاف لذلك كله، أن التوراة تسجل اتخاذ داود حراساً من «جت» و«فلشتيم» و«كرت». وحيث أن التوراة تذكر فلشتيم وجت سوياً، فقد اعتبر هذا دليل! على أن «فلشتيم» جاءوا من كريت، هذا رغم أن النصوص ذات العلاقة لاتربطهم ببعضهم البعض من الناحية الجغرافية، لاضمناً ولا صراحة.

المهم في الأمر أنه رغم كافة «الشواهد» آنفة الذكر، لم يعثر على أية آثار تفيد بأن أولئك الفلسة الكريتيون قد تمكنوا من استيطان الإقليم. بالطبع وجدت آثار سكن أُرخت بأنها تعود لتلك المرحلة، لكن التنقيبات الأثرية بينت أن البشر إستوطنوا فلسطين منذ مايزيد عن ثلاثمائة ألف (٣٠٠٠٠٠) عام. أما اللقى التي تم العثور عليها فهي أوانٍ فخارية وجد تشابه بين رسومات عليها فسرت بأنها نقوش كتابية أو مايشبه ذلك، وبين تلك العائدة للحضارة القبرصمنوية Cypro- minoan وغيرها. كما عثر في «تل القُصيلة» الواقعة على نهر العوجا قرب «ملبس»[١٢] على مستوطنة وصفت بأنها فلستية أو فلشتية، بسبب التشابه القائم بين بعض مبانيها وتلك القائمة في قبرص. لكن الأمر الجدير بالملاحظة فعلاً أنه لم يعثر على أية نقوش كتابية تسمح بترجمة اللقى الأثرية إلى نصوص مفهومة تسمح بحسم أوحتى مجرد التعرف على أصحابها، وهذا مايعترف به العلماء دون إستثناء. وجل ماعثر عليه حتى الآن ختم إسطواني في مدينة أشدود عليه علامات تشبه تلك العائدة للحضارة القبرصمنوية الغير محددة الأصول حتى يومنا هذا. كما عثر على بعض اللوحات الآجرية التي تحمل علامات مشابهة في «دير عَلّا» الواقعة في غور الأردن جنوبي مدينة بيسان.

بهذا نكون قد استعرضنا الأرضية التي استند إليها علماء الآثار والتوراة لتشكيل قناعاتهم بأن الاسم الحديث فلسطين، يعود لـ«فلشتيم» العهد القديم، والذي يقال أنه يعود لشعب جاء من جزيرة كريت أو السواحل الشرقية لبلاد الأناضول ولـ«شعوب البحر». وأنا مقتنع لو أن أي طالب قدم مثل هذا التحليل لأي مؤسسة علمية تحظى بحد أدنى من احترام الذات وعقل الآخرين، محدداً من خلاله مواقع جغرافية غير مرتبطة بالتوراة، وبالتالي بالعواطف الدينية والأحكام الفكرية المسبقة، لما أعيد إليه عمله مرفقاً بلوم شديد وتوصية بحضور دورة محو أمية فحسب، وإنما لنال بضعة صفعات على قفاه. فمثل هذه المنهجية غير مقبولة في أي علم، ناهيك عن علم

الآثار. فمن غير الجائز أبداً إتخاذ التشابه النطقي بين الاسم التوراتي «كرت»، واسم الجزيرة اليونانية كريت للحسم بأن المقصود واحد[١٣]. فأين بنو إسرائيل من البحار وأين كريت. فالتوراة حتى في القراءة التقليدية، لا تشير إلى أية نشاطات بحرية لذلك الشعب الصغير. وقد تعاملت مع هذه المسألة بإسهاب في الفصل الأخير من مؤلفي الأول عن الموضوع، ولذا ليس هناك من داعي لتكرار المسألة[١٤].

وحيث أنه تبين لنا عدم وجود أي مبرر علمي كان للربط بين «فلشتيم» العهد القديم من جهة، وبين الأسماء آنفة الذكر الوارد ذكرها آنفاً، فإن الأسلوب الأمثل للتعرف على المقصود بذلك الشعب استشارة العهد القديم نفسه.

قبل مباشرة البحث في مسألة «فلشتيم» التوراة، من المفيد لفت الانتباه إلى حقيقة أن النسخة العربية، وعلى عكس الترجمات الأخرى، لاتترجم «كرتي / كرتيم»، والتي أولت تقليدياً لتعني (كريتي / كريتيين)، على هذا النحو. فسفر صموئيل الثاني ٨ : ١٨ يورد في النص الأصلي أن «وبنيهوبن يهويدع وهكرتي وهفلتي وبني دود كوهنيم هيو». أما الترجمة العربية التقليدية فتورد الجملة على النحو التالي (وبناياهوبن يهوياداع على الجلادين والسعاة وبنو داود كانوا كهنة). أي أن المترجمين فهمو أن المفردة «هفلتي» تعني السعاة، لكن دون اعطاء تفسير لغوي لهذا التأويل[١٥]، والمفردة «هكرتي»، على أنها تعني (جلادين). السبب أن المفردة التوراتية «كرت» تعني (قطع، بتر) ـ أنظر سفر صموئيل الأول ١٧ : ٥١ ـ ولذا فقد فُهِمَ أن المقصود هنا (الجلادون)؛ المفردة العربية الأصح في هذا المقام هي (السياف). برأيي أن هذه الترجمة خطأ لعدة أسباب أولها أن المفردة «هكرتي» بصيغة المفرد والنسبة إلى «كرت»، وليس بأسلوب الجمع. ثانياً، من الصعب القبول بأن المقصود هنا «جلادون»، لأنه يشار إلى تعيينهم ككهنة من قبل داود، ودون إضافة تعليق أو لوم على داود لمثل هذا القرار. بل إن هذا الخبر يرد في معرض المدح حيث نقرأ (وكان يهوه يُخلِّص داود حيثما توجه. . . وكان داود يجري قضاء وعدلاً لكل شعبه)[١٦]. أما الترجمة الصحيحة للنص الوارد في سفر صموئيل الثاني ٨ : ١٨، فوجب أن تكون على النحو التالي (وبنيهوبن يهويدع والكرتي والفلتي وبني دود كانوا كهنة). ومن الواضح أن المترجمين ووجهوا بمأزق في هذا النص. فإذا قاموا بترجمة

«هكرتي»، إلى (الكريتيين)، أي أهل جزيرة كريت، لوجد دليل على أن الكهنة لم يكونوا من بني إسرائيل فقط، وإنما أيضاً من شعوب أخرى من خارج الإقليم. وإذا تمت ترجمة المفردة إلى (الجلاد / السياف)، فهناك أيضاً مشكلة بكيفية دخول مثل هؤلاء الأفراد إلى سلك الكهنوتية، والمشكلة الثالثة التي واجهت المترجمين هي أن كلا الاسمين يأتيان بصيغة المفرد، بما دفعهم لتحرير النص بشكل كامل، وإضافة أداة الجر (على) غير الموجودة في النص[١٧].

ويضاف لذلك معضلة ظلت بلا حل حتى الآن، ألا وهي تحديد هوية «بني دود»، وبالعربية (بني داود)، حيث أنه من الممكن فهم أن المقصود بالأخيرين أبناء داود بن يسي. لذا فضل أهل الاختصاص تجاهل مسألة تعريفهم. لكن القراءة المنفتحة للنص، وغير المقيدة بمفاهيم مسبقة تحل المعضلة. أي أن المقصود هنا قيام داود بتعيين إدارة جديدة على مملكته حديثة التأسيس ضمت رجالاً من مناطق مختلفة. أما المقصود بـ«بني دود»، فإن المقصود هنا القبيلة الحجازية «دودان» ـ بصيغة الجمع من «دود»[١٨]، والتي ورد ذكرها عند صاحب (لسان العرب). أما «هفلتي»، أي «الفلتي»، فيشير بلا شك إلى أن من القبائل الاسم، ومنها (الفلتة)[١٩] التي تسكن جنوبي الطائف.

وبالإضافة لضعف أدلة ومنطق علماء التوراة والآثار، فإن النقطة الأساسية التي ترغمنا على إهمال الرأي بأن «فلشتيم» التوراة هم نفسهم «فرشت» أو «فالوستا» النقوش المصرية، تكمن في تجاهل أهل الاختصاص لمسألة جوهرية تتعلق بتاريخ المنطقة، ألا وهي أن مامن شعب ينتمي لخارج بوتقة الإقليم الحضارية تمكن من فرض اسمه على منطقة أو إقليم. فالإغريق والرومان قاموا بتغيير أسماء بعض المدن والأقاليم في المشرق العربي، ومنها مدينة عَمّان التي أضحت فلادلفيا في عهد الرومان[٢٠]. وقد عرفنا من فصل سابق أنهم أطلقوا اسم «الطرف الآخر» على بعض مناطق شرقي الأردن. لكن هذه المناطق والمستوطنات استعادت أسماءها الأصلية بعد رحيل الغزاة. برأيي أن الحال نفسه ينطبق على فلسطين حيث أستبعد أن الاسم فلسطين يعود لشعب مجهول الهوية والأصول، لم يترك لنا أي أثر عن نفسه أو عن ثقافته، حتى عبر طرف ثان.

وفي المقابل، فإن سكان المشرق العربي لم يقوموا بتغيير اسم أي من المواقع حتى لو

كانت غير عربيـة . فطـرابلس هي تعـريب للاسم الـرومـاني Tripolis ، بمعنى «العـاصمة الثلاثية» ، أي محطة لقاء تجارية لثلاثة مدن بالاسم . والأمر ذاته ينطبق على نابلس ، والذي هو تعريب لفظي للاسم الأصلي Neapolis ، بمعنى «المدينة الجديدة» . . . إلخ .

النقطة المهمة الثانية هي أن العهد القديم لايسجل إطلاقاً أن «فلشتيم» ، كانوا ممن عُرفـوا بـ«شعـوب البحـر» ، بما يعني برأي أن التشابه في الاسمين عرضي ليس إلا . ومن الأمـور الـواجب أخـذها بعين الاعتبار في هذاالمقام أن هيردوت سجل في مؤلف (التاريخ ٧ : ٨٩) ، أن الفينيقيين ذكروا أنهم جاءوا من البحر الأريتيري ، أي (الأحمـر) ، قبـل استيطـانهم على السـاحـل . ويضيف في المؤلف ذاته أن الساحل الذي يقطنونه وحتى مصر ، يسمى فلسطين . أي أن الفهم التقليدي لوطن «فلشتيم» العهد القديم ، والذي حُصر في منطقة ساحلية صغيرة جنوبي فلسطين ، يتناقض مع ماسجله هيرودوت في المقطع آنف الذكر ، ورغم تناقضه مع مايرد في المؤلف ذاته (٣ : ٥) . وفي نهـايـة الأمر ، وفي غياب أية إثباتات أثرية ، فإن المنهجية العلميةتلزم بترجيح ماسجله هيردوت .

المسألـة الثـالثـة الواجب تذكرها ، هي أن بني إسرائيل الناطقين بالكنعانية لم يجدوا أي صعوبة في التحدث مع فلشتيم التوراة ، بل أن التوراة تسجل أن داود كان مرتزقاً عنـدهم . ويضـاف لهذا كله ، أن إله «فلشتيم» العهد القديم كان إلهاً «سامياً» معروف هو«دجن» ، أي «حنطة» . وفي مواجهة هذه الحقيقة ، يفسر أهل الاختصاص رأيهم بأن «شعوب البحر» هذه كانت قد أنهت مرحلة التمثُّل مع محيطها الحضاري . برأيي أن هذا التفسيـر لايستنـد إلى شواهـد تاريخية حيث أن الواقع يظهر عكس ذلك . وأعني بذلـك أن المشـرق العـربي مازال يحظى بثراء وجود تجمعات بشرية تعود في جذورهـا إلى مئـات السنين ماتـزال تحافظ بدرجة أوبأخرى ، على تقاليدها وتراثها . فمسيحيـو المشـرق العـربي ، ورغم أنف الـرأي الغـوغـائي السـائد ، ليسوا من بقايا الصليبيين ، وإنمـا عرب عاريـة وأقحـاح يعـودون في أصولهم للغساسنة . والأمر ذاته ينطبق على آشوريي القطر العراقي . كما أن المهاجرين الأرمن الذين فروا من ديارهم عقب المـذابـح الهمجيـة التي مورست ضدهم في تركيـا «الحـديثة» ، حافظوا على خصـائصهم القـوميـة ، والحـالة ذاتها تسري على اليونان الذين يعيشون في فلسطين

المحتلة، وفي مدينة القدس تحديداً. والأمر ذاته يتكرر بخصوص الشركس والشاشان في الأردن. . . إلخ. وانطلاقاً من هذه الحقائق التاريخية المثبتة، فإني أستبعد أن «شعوب البحر» مروا بعملية تمثل خلال تلك الفترة القصيرة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن التوراة تذكر «فلشتيم» بالعلاقة مع إبراهيم الذي حدد عصره بأنه حوالي ١٨٠٠ ق.م، بينما يرد أول ذكر لـ«شعوب البحر» حوالي خمسماية عام بعد ذلك. هذه الحقيقة أحرجت الإتجاه التقليدي السائد بماجعلت البعض يقترح تقديم مرحلة إبراهيم لتتناسب مع المعارف العلمية المثبتة، أي مع الحوليات المصرية. لكن هذا لم يرق لمعظم العلماء الذين يفضلون القول بأن الاسم لايعود لـ«شعوب البحر» الوارد ذكرها في النقوش المصرية، وأن التشابه في الاسمين هو عرضي ليس إلا.

بهذا نكون قد تمكنا من استعراض الآراء الأساسية بخصوص المسألة، وبيّنا وهانة الأدلة التي وظفها أهل الاختصاص لتثبيت آرائهم، والتي هي ليست أكثر من افتراضات. فإذا أخذنا هذه الحقائق منفردة ومجتمعة، يتبين فوراً أن المقصود بـ«فلشتيم» التوراة شعب قديم من شعوب المنطقة وليس من خارجها.

وحيث أن موضوعة العمل تنطلق من أن جزيرة العرب التي احتضنت بني إسرائيل حتى السبي البابلي، فإن البحث عن «فلشتيم» يجب أن يتم هناك. لكن قبل مباشرة بحثي، أود لفت الانتباه إلى أن كمال الصليبي تعامل مع بعض جوانب هذه المسألة في مؤلفيه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» و«حروب داود». لذا فسأتجنب الخوض في مسائل تم التعامل معها، وسأتناول الموضوع من جوانب أخرى.

يرد ذكر «فلشتيم» للمرة الأولى في التوراة في سفر الخروج، وفي مايسمى بـ«قائمة الشعوب» تحديداً. وفي الإصحاح ١٠ : ١٤ من ذلك السفر، نقرأ أن «كفتريم» و«فلشتيم»، اعتبرا من نسل «مصريم» عبر «كسلوحيم» و«فتروسيم». وحيث أن أهل الاختصاص يعرفون «كفتوريم» بأنهم هم «كرتيم»، أي الكريتيين الإغريق، فمن غير الممكن أن المقصود بفلشتيم العهد القديم نفس «فرست» أو «فلست» النقوش المصرية. أي أن الحديث يتم عن شعب آخر، لأن كريت أو

«كفتور» ليست من نسل مصريم (مصر) بكل تأكيد. والنص الوارد في عاموس ٩ : ٧، والقائل (ألم أصعد إسرائيل من أرض مصريم وفلشتيين «فلشتيم» من كفتور) يوضح هذه المسألة تماماً. وبمراجعة سفر أرميا ٤٧ : ٤ الذي ينقل أن «كي شدد يهوه ءت فلشتيم شء روت[٢١] ءي كفتور»، والذي يعني «لأن يهوه يهلك فلشتيم بقية ساحل كفتور»، وليس (جزيرة كفتور) كما هو وارد في الترجمة التقليدية المنطلقة من أن المقصود هنا جزيرة كريت. ومن المعروف أن المفردة التوراتية «ري»، تعني أيضاً (ساحل، شاطيء)، وهكذا ترجمت في سفر أشعيا ٢٠ : ٦[٢٢]. والساحل أو الشاطيء، ليس مرتبطاً بالبحر فقط، وإنما ممكن أن يكون للوديان أيضاً. بهذا فإن النص يشير إلى أي من المواقع التي تسمى «الفقرة»، «فقارة». ومنها على سبيل الذكر لا الحصر فقارة الحر (فقرءت)؛ بالقلب والاستبدال عن «كفتور»، والتي تقع بمنطقة عسير، وقربها وادي ردوم ووادي العوراء.

الآن وقد تبين لنا أن التوراة، وعلى عكس ماحاول أهل الاختصاص إيهامنا به وإقناع أنفسهم، لاتشير إلى جزيرة كريت أو أهلها، يمكننا الانطلاق نحو معالجة مسألة «فلشتيم» كما وردت في العهد القديم. وحيث أن الاسم يرد في التوراة، منفرداً أو مركباً، أكثر من خمسين مرة، فمن الطبيعي أن أحصر بحثي في نصوص محدودة. ونظراً لقلة النصوص التوراتية المرتبطة بـ«فلشتيم» والتي تحوي أسماء مواقع جغرافية، رأيت أنه من الأفضل أن أحصر بحثي هنا في بعض مقاطع سفر صموئيل الأول التي تشير لحروب شاول ضدهم.

لعل إحدى الصعوبات التي تواجه البحث في الموضوع حقيقة أن النصوص ذات العلاقة لاتقدم عرضاً متكاملاً لأحداث تاريخية بين شاول وفلشتيم. فكل ماتنقله التوراة إشارات عابرة لمعارك صغيرة بين الطرفين تتضمن ذكراً لبعض المواقع الجغرافية. رغم ذلك، إذا قمنا بعمل مقارنة بين الأماكن المذكورة في النصوص المحددة، مع تلك الواردة في نصوص أخرى، فمن الممكن تقديم تحديد دقيق للأقاليم التي جرت فيها المعارك.

برأيي أن النص الأهم الذي وجب استشارته في هذا المقام هو الوارد في سفر صموئيل الأول ٣١ : ٨ ـ ١٣، والذي ينقل رواية قيام فلشتيم بأخذ جثة شاول من

أرض المعـركـة بعيد انتهاء الحرب بين الطرفين. وينقل الإصحاح ٣١ : ٨ من النص العـربي المعتمـد أنـه (في الغـد لما جاء الفلسطينيون ليعرُّوا القتلى[٢٣] وجدوا شاول وبنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع). لكن باستشارة النص الأصلي نجد أنه لا يشير إلى (جبل جلبوع)[٢٤]، وإنما يذكر «هر هجلبع»، بمعنى (جبل الجلبع)، لأن الاسم «جلبـع» مسبـوق بأداة التعريف. وباستشارة المعاجم الجغرافية المتخصصة بجزيرة العرب، نجد الموقع فوراً في قرية (رهوة الجعاب)[٢٥]، الواقعة في تهامة عسير، وفي بلاد بارق تحـديـداً. وحيث أن النص الأصلي يشيـر إلى «هر»، بمعنى (جبل)، فقد يعترض البعض من منطلق أن الموقع المقترح من قبلي يشير إلى قرية، وليس لجبل. ولكن استشارة المعاجم المحلية تحل المشكلة حيث أنها تفيد بأن «الرهوة» تعني في لهجة أهل الإقليم (المكان المنبسط في الأرض المرتفعة). وحيث أن تسجيل التوراة تم بعيـداً عن الأقـاليم التي جرت فيهـا ومن قبـل أجيـال لم يكن لها دراية بتضاريس المنطقة، فقد حصل التباس في أمر الموقع بحيث فُهم أنه يشير لجبل.

ويمكن التأكد من صحة تحديدي للموقع عبر إكمال قراءة النص ٣١: ٩ ـ ١٠ الـذي ينقـل أن فلشتيم قامـوا بقطـع رأس شاول ونـزع سلاحـه، وأرسلوا إلى أرض فلشتيم للتبشيـر بالقضـاء على عدوهم. وفي مجـال المبـالغة في مدى مأساوية نهاية شاول، يضيف النص بأن الأخيـرين (وضعـوا سلاحـه في بيت عشتـاروت وسمَّـروا جسده على سور بيت شان)[٢٦]. وبغض النظر عن الصحة التاريخية لهذا التصرف، من الطبيعي أن نستنتـج أن المـوقعين وقعـا في أرض فلشتيم، أو في منـاطق خاضعة لسيطـرتهم على الأقـل، وأن كليهمـا كانا قريبين من موقع المعركة. وهذا الأمر يتأكد مرة أخـرى من خلال قراءة النص ضمن جغـرافيـة جزيـرة العـرب. أمـا المـوقع بيت عشتـروت حيث يقـال أن فلشتيم وضعـوا سلاح شاول. فيـه فهـو قريـة (العشرة/ عل عشـرت) الـواقعة في منطقة تنومة بسراة عسير. ومن الجدير بالذكر أن الاسم التوراتي يعني (معبـد «الإلهـة» عشتـرت). أمـا الشكـل العـربي للاسم فيعني أيضـاً (الإلهة عشرت)، بما يبرر تماماً افتراض أنه كان لها معبد للتقرب إليها في المنطقة. وحيث أن الـنص يضيف أن فلشتيم سمَّـروا جسـد شاول في أو على سور «بيت شن»[٢٧]، فالمقصـود بذلـك قريـة (الشنـو / «علشن») الـواقعة في جبل ضرم بتهامة بللسمر في

عسير. أما الشكل الحالي للاسم العربي فهو كسابقه، ويعني (الإله شن)، والذي كان له بلاشك مذبح للتقرب له بالمنطقة. ويبدو أن فلشتيم قد اختاروا هذا الموقع لصلب شاول لأنه يقع على منطقة مرتفعة بما يسمح بمشاهدته من قبل أكبر عدد من قومهم.

ويضيف النص في المقطع (٣١: ١١ ـ ٣١)، أنه (لما سمع سكان يابيش جلعاد[٢٨] بما فعل فلشتيم بشاول، قام كل ذي بأس وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان[٢٩] وجاءوا بها إلى يابيش[٣٠] وأحرقوها هناك. وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابيش[٣١] وصاموا سبعة أيام). وقبل متابعة جغرافية الحادثة، وجب ملاحظة أن النص يشير إلى موقعين مختلفين هما «يبيش جلعد» وإلى «يبشه»، رغم أن الترجمة التقليدية تلغي الإختلاف في تهجئتهما. أما الموقع الأول، أي «يبيش جلعاد»، فهو إسم مركب يشير برأي إلى قرية أو مستوطنة بإسمم «يبيش» موصوفة بأنها تقع بمنطقة أو بإقليم إسمه جلعد[٣٢]، وبالعربية، الجعدة، أو إلى قرية بالإسم تابعة لقبيلة بالإسم جلعد. وبالنظر لخارطة جنوب غرب جزيرة العرب نجد الإسم فوراً في (وادي يُبَيس) بتهامة بمنطقة المخواة في بلاد غامد وزهران. وقد عرفنا من مؤلفي الأول عن الموضوع أن أجزاء من بلاد غامد وزهران كانت تعرف بإسم «جلعد»، أي (الجعدة)، حيث توجد العديد من المواقع بها التي تحمل الإسم حتى يومنا هذا. ويضاف لذلك حقيقة أن المعاجم الحديثة تسجل وجود قبيلتين بالحجاز بإسم الجعدة. وحيث أن النص الأصلي يقول بأن السكان (ساروا الليل كله) من «يبيش جلعد»، أي (يُبيس الجعدة)، يمكن أخذ ذلك حرفياً، والقول بأن الأخيرة كانت قريبة من المكان الذي سمِّر فيه شاول، والذي هو (الشنو) في جبل ضرم، وأيضاً بتهامة. إجتهادي بهذا الخصوص أن المقصود بالقول (ساروا الليل كله) إشارة إلى قيام سكان بتكريم إستثنائي لشاول حيث عملوا على إراحة جسده بالسرعة الممكنة.

ويقول النص أن سكان (وادي يبيس) قاموا بإحراق رفات شاول وأبنائه في «يبش»، أي (يبش)، وليس (يابيش) كما هو مسجل في الترجمة التقليدية. أما الموقع المقصود هنا فهو قرية (يبس) الواقعة بإقليم المظيلف بالقنفذة.

ويشيـر النص أخيـراً إلى قيـام سكـان (وادي يُبيس) بدفن جسد شاول وأبنائه «تحت هـءشل بيشه»، أي (تحت الأثلة في بيشه)، وليس (تحت الأثلة في يابيش) كمـا ورد في التـرجمـة التقليـديـة. وحيث أن النص لايقول بأن الدفن تم فوراً، فمن الصحيـح الإستنتـاج بأن موقعـه لم يكن قريباً من المنـاطق الأخـرى المسجلة في النص. أمـا المـوقع المقصود فهو (بيشه)، والذي هو اسم مدينة إمارة بمنطقة عسير، والتي تقـع محـاذيـة لـ(يبيس الجعدة)، ولكنها بعيدة عن مواقع فلشتيم. أي أن أهل وادي يبيس قامـوا بدفن شاول في موقـع بعيـد عن متنـاول فلشتيم بحيث لايتمكن الأخيرون من التشـويـه برفـاته من جديد. لذا فإني أرجح أن المقصود بمكان الدفن ليس مدينة أو مستوطنة محددة، وإنما في منطقة بيشة تحت أثلة ما.

بهذا نكون قد تمكنا من تقديم وصف كامل ودقيق لجغرافية المنطقة التي قتل فيها شاول، وكذلك للمكان الذي تم دفنه فيه. ولفائدة تسهيل الأمر على القاريء، أعيـد تسجيـل مختصر للمواقع كما هي واردة في سفر صموئيل الأول ٣١ : ٨ ـ ١١، والتي هي على النحو التالي:

١) قُتل شاول في (رهوة الجعاب) في بلاد بارق بتهامة عسير.

٢) وضع فلشتيم سلاح شاول في قرية (العشرة) الواقعة في منطقة تنومة بسراة عسير.

٣) سمروا، أي صلبوا، أو مسمروا، جسد شاول على سور قرية الشنو الواقعة في جبل ضرم بتهامة بللسمر في عسير.

٤) قام سكـان (وادي يُبيس) بمنطقـة المخواة بتهامة بلاد غامد وزهران بأخذ جسد شاول من قرية الشنو الواقعة بتهامة بللسمر ورحلوا بها إلى قرية (يبس) الواقعة بإقليم المظيلف بالقنفذة حيث أحرقوها هناك.

٥) قام سكان (وادي يبيس) بدفن رفات شاول وأبنائه تحت الأثلة في منطقة بيشة بسراة عسير.

الآن وقـد تمكنـا من تقـديم تحـديد دقيق لموقع سقوط شاول، وجب مراجعة بعض المسائل المرتبطة بأسماء المواقع الجغرافية، ووجهات النظر التقليدية بخصوصها.

تفيد المراجع المتخصصة أن الموقع «هر هجلبع»، مذكرة سبع مرات في التوراة. واقع الأمر أن عدم القراءة الدقيقة للنصوص والفهم الخاطيء لجغرافية التوراة هو الذي أدى لسوء التأويل هذا. كما أن الترجمة العربية التقليدية، وبالتالي غير الدقيقة للنصوص، تزيد الأمر تشويشاً بما يستدعي العودة للنصوص الأصلية. وبمراجعة التوراة، فإننا نجد أن الاسم «هر هجلبع»، أي (رهوة الجعاب) يرد فقط في سفر صموئيل الأول ٣١ : ١، ٨، مرفق بذكر مواقع جغرافية أخرى حددتها في الفقرات السابقة. ويعود الاسم للظهور بشكل مقتضب في سفر صموئيل الثاني ١ : ٦ في مجال نقل خبر وفاة شاول لداود. كما أن سفر الأيام الأول ١٠ : ١، ٨ ينقل رواية قتله، والواضح أنها تكرار لنصوص سفر صموئيل الثاني ٣١: ٨ ـ ١٣. ويلاحظ القاريء أن الرواية الأخيرة مرفقة بتعليق المحرر الشامت بشاول، هذا عدا عن أنها تسجل أن رأس الأخير عُلِّق في «بيت دجن»، وهو الأمر غير الوارد في الرواية الأولى. ومن الممكن أن المقصود بالموقع الأخير قرية (دغما) بمنطقة الليث المجاورة للمواقع الأخرى. ومن الجدير بالذكر أن الاسم الحالي هو بصيغة آرامية حيث أن حرف الألف اللاحق هو أداة التعريف في تلك اللغة. وعند كتابة الاسم باللغة العربية، فإنه يكون على نحو (الدغم)، أي «الإله دغم» ـ بالقلب عن (دجن)، وينقل بذلك نفس روح الاسم الوارد في التوراة.

أما الاسم الوارد في سفر صموئيل الأول ٢٨ : ٤، وصموئيل الثاني ٢١ : ١٢، فهو «جلبع»، وفي الترجمة التقليدية (جلبوع). وبرأيي أن هذا الموقع مختلف عن المسجل في الفقرة السابقة، لأنه ليس «هر هجلبع»، وبالعربية (جبل الجلبع)، وإنما «جلبع»، أي دون ذكر لجبل، عدا عن غياب أداة التعريف، أي حرف الهاء. كما أن المواقع الجغرافية المرتبطة بالاسم الأول، لاوجود لها في النصوص التي تشير إلى «جلبع». لهذا وجب التفريق الواضح بين الموقعين، رغم تشابه الاسمين من الناحية اللفظية.

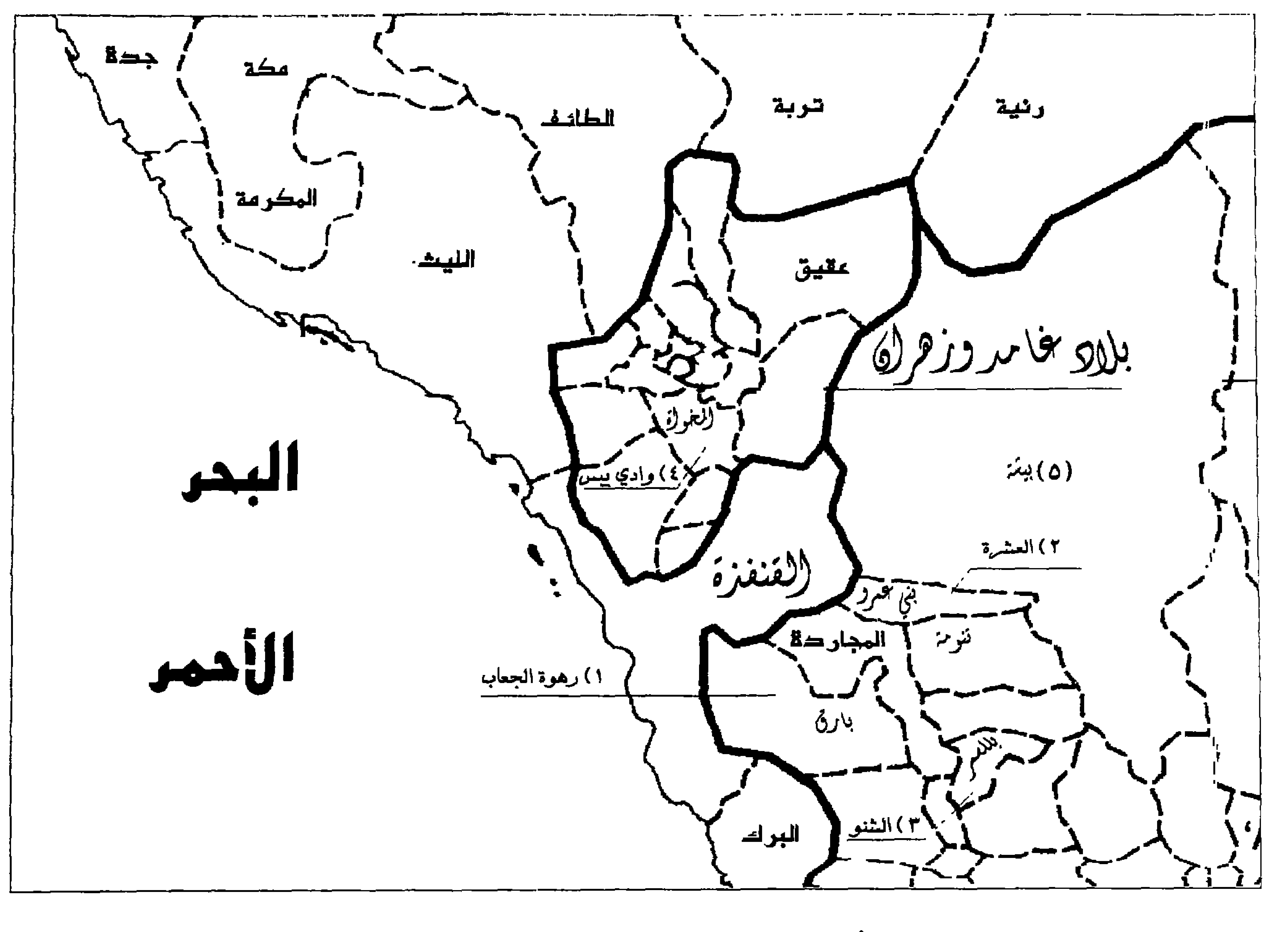
ويرد الاسم بصيغة «هري بجلبع»، للمرة الأخيرة في سفر صموئيل الثاني ١ : ٢١، ضمن مرثية لشاول قيل أنها من نظم داود. وقد ترجم كمال الصليبي الصيغة

هذه إلى (تلال بالجبع)[٣٣]. ومن الواضح من الصيغة الأخيرة أن ناظم المرثية هذه لم يكن له دراية بجغرافية المنطقة التي سقط فيها شاول.

أما الملاحظة الثانية التي وجب أخذها بعين الاعتبار فهي أن الاسم «بيت شن» حيث سُمِّر شاول، والذي حددته آنفاً بأنه (الشنو)، ليس الموقع «بيت شءن» الوارد ذكره في سفر يشوع ١٧ : ١١، سفر القضاة ١ : ٢٧، سفر الملوك الأول ٤ : ١٢، وسفر الأيام الثاني ٧ : ٢٩. وبالإضافة إلى اختلاف سقوط الوقفة الحنجرية (ء)، فإن مايدعم رأيي هو أن المواقع المذكورة بالإرتباط مع الأخير لاأثر لها في النصوص التي تشير إلى «بيت شءن»، هذا رغم أن الترجمة العربية للعهد القديم، كغيرها من الترجمات التقليدية، تسجل أن المقصود بالاسمين موقع واحد عُرف بأنه مدينة بيسان شمالي شرق فلسطين، بينما يرى البعض أنه (تل الحصن) الواقع للشمال منها.

والأمر ذاته ينطبق على أسماء المواقع الأخرى الواردة في سفر صموئيل الأول ٣١ : ٨ - ١١، والتي يرى البعض أنها مكررة في مقاطع توراتية أخرى. ودون الدخول في تفاصيل طويلة ومملة، فمن الواضح من دقة إحداثيات النص الأخير أنه أصيل ويعتمد على مراجع مسجلة. وعلى العكس من ذلك، فإن النصوص الأخرى تعتمد على روايات شفهية بما أدى لحصول تباينات حتى في نطق، وبالتالي في تهجئة الاسم نفسه.

بهذا أنهي بحثي بخصوص المسألة متفادياً أية إرباكات للقاريء قد تنتج عن توسع أكبر، في الوقت نفسه أترك له تقرير مدى قناعاته بالآراء التقليدية السائدة، أو بتحديداتي اللغوية والجغرافية.



جغرافية مصير شاول

هوامش الفصل الخامس

١ - (Danuna) و (pulasta) .

٢ - (kr), (skis), (dnyn), (wss و (prst) على التوالي .

٣ - لقد واجهتنا مثل هذه الحالة بخصوص مسألة بلاد «فونت / فنت» الوارد ذكرها في النقوش المصرية، والتي أوفيتها بحثاً في مؤلفي الأول عن جغرافية التوراة . وقد تبين من التحليل الجغرلغوي، أن الاسم الأصلي كان بلاشك «فلت»، وليس «فنت»، وقد تبين من خلال هذه المنهجية، أن المقصود فعلاً بلاد الـ«فلت»، بمعنى «بلاد الموت». وقد وجدت دعماً لهذه القراءة من خلال تحديد أن المقصود بالإقليم «حضرموت» .

٤ - في الترجمة العربية (فلسطين / الفلسطينيين)، وفي الإنجليزية (Philistines) ، ومن الجدير بالذكر أن المعاجم الإنجليزية وغيرها تُعرِّف الأخيرين بأنهم (من يفتقدون لتهذيب ثقافي أو جمالي).

٥ - أنظر كتاب (التاريخ)، مثلاً ٦٥ : ١ .

٦ - النقش يقول وفق رأي أهل الاختصاص «كفتر كسو ثبته حكفت ءرص نحلته»، والمترجم إلى (كفتر «هي» عرش جلوسه، وحكفت «هي» أرض وراثته) . والمسألة التي تستحق الانتباه ليس الترجمة بحد ذاتها، وإنما في الاستنتاج المرتبط والذي يقول بأن هذا النص يشير إلى أن جزيرة كريت كانت الموطن الأصلي لسفن الأوغاريتيين (كذا) . ومن المهم الإشارة إلى أن اللقى الأثرية تبين أن أوغاريت كانت مركزاً للعديد من حضارات الإقليم حيث عثر فيها على نقوش متعددة اللغات . وبينما

وجب عدم استبعاد أنه وجدت علاقة بين الطرفين، أي بين أوغاريت وكريت، فهذا التحليل غير مقبول إطلاقاً لأنه لم تعثر على أية لقى أثرية تسمح بمثل هذا الخيال. في الوقت نفسه، فإن النقش يذكر مصر بشكل واضح، أي «حكفت». ومن المعلوم أن اسم الأخيرة هو Aigyptos، وهو الشكل الإغريقي للاسم المصري «حي ـ كو ـ فتاح»، بمعنى (معبد كا الذي لفتاح). وقد أخطأ المؤرخون الإغريق حيث اعتقدوا أنه اسم البلد، بينما هو الاسم المصري لمدينة ممفيس التي وقعت قرب مدينة القاهرة. وبالاضافة لهذا، يرى العلماء أن قبرص كانت في تلك المرحلة ذات صبغة «سامية».

٧ ـ لاحظ غياب الحرفين، أي الراء (ر) والحاء (ح) في النقوش المصرية.

٨ ـ في النص المترجم، (غزة).

٩ ـ معرفة بأنها المدينة الفلسطينية (عسقلان).

١٠ ـ حددت تقليدياً بأنها مدينة (عاقر) قرب مدينة يافا، لكن عدم العثور على آثار سكني في تلك المرحلة أولد إتجاه جديد يرجح بأنها (خربة المقنع) قرب مدينة الرملة.

١١ ـ يرد كلا الإسمين في النص التوراتي دون أداة التعريف المضافة في النص العربي.

١٢ ـ حالياً، (تل أبيب)، في فلسطين المحتلة.

١٣ ـ هذا يذكرنا بالمتمسكين بالعروبة «من الذنب»، والذين يصرون على أن إسم العاصمة الألمانية (برلين) عربي. المنطلق في ذلك هو التشابه في اللفظ بين اسم المدينة الألمانية، وبين الكلمتين (بَرّ لَيِّن) واقع الأمر أن إسم العاصمة الألمانية ليس جرماني وإنما سلافي، ويعني وفق رأي علماء اللغات (مستنقع). وعلى الرغم من تفاهة المسألة، إلا أن الرأي «العروبي» ممكن أن يلقى أرضية علمية إذا ثبت وجود اتصال قوي بين العرب والسلاف بدرجة أدى إلى قيام تبادل أو إستعارات لغوية. والأمر الثاني، وهو الأهم، إثبات أن العرب استخدمت (بَرّ لَيِّن) كمصطلح أو كاسم للدلالة على المستنقعات، وهو مالاتفيده المعاجم المتخصصة.

١٤ ـ هنا تواجهنا مشكلة أخرى تتعلق بتحديد علماء التوراة لمواقع أخرى وردت في التوراة. فسفر عوبديا يقول في ٢٠ (وسبي أورشليم الذين في صفارد «صفرد ـ بالسامك» يرثون مدن الجنوب). وبسبب التأويل الخاطيء لمجمل التوراة، فقد قرر أهل الإختصاص أن المقصود بالمكان «إسبانيا»، ومنها يأتي الاسم «اليهود السفرديم». واقع الأمر أن التوراة لاتعرف إسبانيا ولم يسمع كاتبها ومحررها باسم

هذا البلد، ويبدو أن المقصود أي من الموقعين باليمن باسم (الصردف).

١٥ - من المعروف أن التوراة لاتحوي أي فعل بصيغة «فرت»، بما يعني أن مترجمي النسخة العربية إستعانوا باللغة العربية في اجتهادهم، ومن المعروف أن «الفلتان»، يعني (السريع). كما تفيد المعاجم العربية بأن «الرجل الفلتان»، هو(النشيط). ويبدو أن هذا ماشجع على تأويل المفردة لتفيد معنى (السعاة).

١٦ - من غير المستبعد وجود خطأ في نقل النص لأننا نعثر على إشارة أخرى لهذه المسألة في سفر صموئيل الثاني ٢٠ : ٢٣ حيث نقرأ هناك بلغة التوراة «. . وبنيهو بن يهويدع عل هكري وعل هفلتي»، وبالعربية (. . وبنياهوبن يهوياداع على الكري وعلى الفلتي). في الترجمة العربية التقليدية (وبنايا «هو» على الجلادين والسعاة). ومن الواضح أن مترجمي النسخة العربية مصممين على التمسك بتأويلهم المفردة «هفلتي»، هذا رغم أن النص لايتحدث هنا عن «هكرتي»، وإنما عن «هكري»، المهم في المسألة هو عدم استبعاد الرأي السائد بأن النص يشير إلى قيام داود بتعيين بنياهو بن يهويدع رئيساً على (الكرتي) و(الفلتي).

١٨ - يضاف لذلك مجموعة أخرى من القبائل أو العشائر بالاسم منها داود، وهو فخذ من عبد الله بن العباس من قريش، وكذلك اسم عشيرة داود من عنزة، كما حوفظ على الاسم في مجموعة من المواقع منها قريتين بإسم (دودة)، إحداها بمنطقة العرضية الشامية بالقنفذة وأخرى بمنطقة جيزان. وهناك أيضاً (أم الدود) في منطقة جيزان وأخرى قرب مكة المكرمة. واسم الأخيرة يعطينا مثلاً قوياً على كيفية تحويل أسماء المواقع. وحيث أن القائمين على أمور المنطقة بجزيرة العرب انطلقوا من فرضية أن الإسم عربي، رأوا فيه تشاؤ ماً وقرروا تغييره إلى الاسم الجديد (أم الورود). ومن الواضح أن الاسم الأصلي للقرية ليس عربياً، وإنما كنعاني ويعني بالعربية (وُدّ).

١٩ - بالإضافة إلى (فُليت) و(فليتة) اللذين يسكنون منطقة مر الظهران قرب الطائف. وتفيد المعاجم المتخصصة أن الأخيرين يعتبرون من الأشراف، أي من نسب الحسين بن علي. وقيل من نسب الحسن، كما تفيد المعاجم العربية أن «فليت» أي صيغة التصغير من «فلت»، هو اسم علم.

٢٠ - أنظر المزيد من الأسماء في الفصل السابق.

٢١ - أنظر المفردة العربية (سار) بمعنى (بقية).

٢٢ ـ الأمر ينطبق على القطر الجزائري حيث يعني الاسم بالتأكيد (السواحل)، ويبدو أنه تعريب لاسم كنعاني قديم.

٢٣ ـ الهدف من تعرية جثث القتلى معرفة هويتهم ذلك أن التوراة تنقل أن فلشتيم، وعلى عكس بني إسرائيل، لم يمارسوا طقس الختان. وقد مارس العرب الشيء ذاته، خاصة في صدر الإسلام.

٢٤ ـ محددة تقليدياً بأنها قرية جلبون (كذا) الواقعة قرب مدينة جنين بوسط فلسطين. لكن علماء التوراة لايقدمون أي شرح لكيفية قلب حرف العين (عين) إلى حرف النون (ن).

٢٥ ـ هنا تم تعريب نطقي للاسم، وهي حالة نراها تتكرر، ومنها تحول الاسم الجغرافي التوراتية «جلعاد» إلى (الجعد) أو (الجعدة). وهذا أمر بدهي ولاخلاف عليه في هذا التهذيب العلمي.

٢٦ ـ في النص الأصلي «بيت عشتروت» و«بيت شن» على التوالي.

٢٧ ـ الموقع محدد تقليدياً بأن مدينة بيسان الواقعة شمال شرقي فلسطين. واقع الأمر أن الاسم التوراتي موجود في قرية (بيت شنا) الواقعة قرب مدينة القدس. لكن التباين بين مكانها وبين تحديدهم المسبق لجغرافية التوراة جعلهم يهملون الاسم. ويضاف لذلك، أن هناك تناقضاً صارخاً بين مفهوم التحديد التقليدي لبيت شن، والتي كانت بلاشك من مدن فلشتيم، وبين المفهوم بأن أرض الأخيرين كانت محصورة في شريط ساحلي غرب فلسطين حوالي مدينة غزة المحتلة.

٢٨ ـ في التوراة «يبيش جلعد».

٢٩ ـ في النص الأصلي «بيت شن».

٣٠ ـ في النص الأصلي «يبش».

٣١ ـ في التوراة، «يبشه».

٣٢ ـ من المعروف أن الرأي التقليدي يقول بأن بعض مناطق القطر الأردني هي جلعاد التوراتية. لكن لو كان هذا صحيحاً، لسجل النص التوراتي أن أهل (يبيش جلعاد) عبروا الأردن في طريقهم لأخذ جسد شاول وأبنائه. وحيث أن النص لايشير لأي عبور، فمن الواضح أن الفهم التقليدي لجغرافية النص، وبالتالي لمجمل التوراة، غير قادر على الإجابة على هذه التناقضات.

٣٣ ـ أنظر الصليبي، كمال: (حروب داود). دار الشروق، عمان ١٩٩٠، ص ٣٢.

الفصل السادس

الأسباط الضائعة

لقد كانت إحدى النتائج الحتمية لحكم سليمان، انهيار مملكة داود وإنقسامها إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل اللتين كانتا في حالة عداء مستحكم عدا عن فترة قصيرة إبان حكم أحاب بن عمري[1]. وقد تعاقب على حكم الأولى تسعة عشر ملكاً من سلالة داود بن يسي، واتخذوا من أورشليم عاصمة لهم حتى نهايتها على يد قوات الملك البابلي نبوخذنصر حوالي عام ٥٨٦ ق. م. ويفيد العهد القديم أن يهوذا ضمت فقط سبطي يهوذا وبنيامين، وهو الأمر الذي تم إثبات أنه غير صحيح.

أما ملوك إسرائيل فقد تمركزوا في ترصة ثم انتقلوا إلى شمرون، وتعاقب على حكمها أيضاً تسعة عشر ملكاً كان آخرهم هوشع بن أيلة[2]. ووفق رواية العهد القديم، فإن ملوك الأخيرة وعلى عكس يهوذا، لم ينتموا لسلالة واحدة. وتقول التوراة التي بيّنا أنها مسجلة أصلاً من وجهة نظر منحازة ليهوذا، أن مملكة إسرائيل ضمت الأسباط العشرة الباقية[3].

وقد جاءت نهاية مملكة إسرائيل قرنين قبيل يهوذا، أي حوالي عام ٧٢٢ ق. م. على يد قوات سرجون الثاني ملك آشور[4]. وتسجل التوراة هذا الحدث في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٦ بالكلمات التالية: «بسنت هتسيعيت لهوشع لكد ملك

ءشور ءت شمرون ويجل ءت يسرءل ءسوره وشب ءتم بحلحوبحبور نهر جوزن وعري مدي»، والمترجمة تقليدياً إلى (في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور شمرون وسبى إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان ومدن مدي). برأيي أن هذه الترجمة غير صحيحة لعدة أسباب. أولاً، أنه رغم إمكانية أن المقصود بـ«ءسوره»، فعلاً مملكة أشور، لكن هذا الفهم الجغرافي ليس إلزامياً.. أي أنه من الممكن أن المقصود إقليم ماعرف بالاسم، ثانيا، إن «حبور نهر جوزن» يعني وفق ماأرى (قاع نهر جوزن). السبب أن المفردة العربية «خبر»، تعني ضمن أشياء عديدة (قاع مستدير يجتمع فيه الماء) لأن الخَبْرُ (من مواقع الماء ما خَبِرَ المسيل في الرؤوس فتخوض فيه). أما المقصود بالمفردة «عري»، فهو «جبال» وليس «مدن»، وبالتالي، فالمقصود بالمقطع آنف الذكر (في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور شمرون وسبى إسرائيل تجاه أشور وأسكنهم في حلح وحوض نهر جوزن وجبال مدي)[٥]. وهنا يكمن لب المشكلة حيث يوجد إصرار في اليهودية وبعض التيارات المسيحية الاصولية، على أن إسرائيل فُقِدَت منذ هذا الحدث، وبُدء في مراحل تاريخية معينة بالبحث عنها في مختلف أصقاع الأرض، وهو الأمر الذي سأعيره الانتباه في هذا الباب.

لابد أولاً أن يكون واضحاً في ذهننا أن الفكرة القائلة بأن الأسباط العشرة التي سُبيت من قبل الآشوريين، قد إختفت أو ضاعت، لاتستند إلى أية إشارة في كتاب اليهودية المقدس، لاصراحة، ولا بشكل ضمني. والتوراة تقول وكما أشرت آنفاً بأن ملك أشور، والذي لم تعرف اسمه أصلاً، (أسكن إسرائيل في حلح وحابور ونهر جوزن ومدن مدي)، وليس أكثر من هذا. ويضاف لذلك حقيقة عدم احتواء العهد القديم لأية مقولة منسوبة للأنبياء، تنقل علمهم بأن إسرائيل ضاعت.

كما وجب الأخذ بعين الاعتبار أن الإصحاح ٥ : ٢٦ من سفر الأيام الأول يشير أيضاً لمسألة سبي إسرائيل، ويضيف التعليق «إلى هذا اليوم». فهذا القول يظهر أنه لم يوجد أدنى شك لدى كاتبي السفر عن مكان وجود الأسباط ذات العلاقة. ومن الجدير بالذكر أن النص الأخير لايشير للأسباط العشرة التي قيل أنها سكنت مملكة إسرائيل، وإنما للرأويين والجاديين ونصف سبط منسي فقط. هذا يعني أن فكرة

الأسباط الضائعة لاتمت للتوراة لا من قريب ولا من بعيد، وإنما من إنتاج الكهنة وبعض الاتجاهات الأصولية المسيحية البروتستانتية، وعلى رأسها الكنيسة الأنجليكانية في بريطانيا. أي أن الفرضية تنتمي لضرب الخرافة، لا الأسطورة لأنها لاتجد أي سند لها إلا في عقول أصحاب الهوس العرقي والتطرف الديني.

رغم ذلك، سأقوم بالتعامل مع المسألة في الصفحات التالية مُزوداً القارىء بما توفر لدي من معلومات ذات علاقة لمساعدته في التعرف على أبعاد وعواقب توظيف الدين، أي دين، لكتابة التاريخ وفي رسم السياسة.

لقد ربطت خرافة الأسباط المفقودة أو الضائعة في اليهودية بمسألة قدوم المسيح المنتظر ليعيد مجد إسرائيل الضائع، وفي المسيحية بالعودة «الثانية» للمسيح وحكمه للأرض ويوم القيامة. ورغم حقيقة أن «الكتاب المقدس» بقسميه لايحوي إشارة لهذه المسألة، فإن الهوس الديني العرقي جعل البعض يؤول مقولات توراتية محددة لتتناسب مع فكر ديني سياسي معين.

إن أول المقولات التوراتية التي تستحق التعامل معها هي الرؤيا المنسوبة لنبي التوراة إشعيا عن المسيح المنتظر، والمنقولة في الإصحاح ١١: ١١ ـ ١٢ من السفر الذي يحمل اسمه، والتي تقول في الترجمة التقليدية (ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلم ومن شنعار ومن حمت ومن جزائر البحر ويرفع رايات الأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض). كما فهم أن رؤيا إرميا الواردة في الإصحاح ٣١: ٨ والمترجمة إلى (هانذا آتي بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض...)، تشير للمسألة نفسها. ويضاف لذلك رؤيا حزقيال الواردة في الإصحاح ٣٧: ١٩ ـ ٢٤. لكن أية قراءة كانت لهذه النصوص، تبين أنها لاتحوي أية إشارة على الإطلاق إلى ضياع أية أسباط.

وهنا يكمن جوهر المشكلة للاتجاهات الأصولية المسيحية الغربية، والبروتستانتية الأنجليكانية تحديداً. فإذا كانت الأسباط قد ضاعت فعلاً، فإن هذا يتناقض مع قول أنبياء بني إسرائيل بأنها ستظهر مجدداً بعد سبيها، هذا على الرغم من عدم توفر أية مقولة تقول بأنها اختفت. ومن الواضح أن المقصود بالرؤى المنسوبة

لأولئك الأنبياء بأنهم لم يفقدوا الأمل بأن بني إسرائيل، وليس مملكة إسرائيل، ستستعيد إيمانها، وليس أكثر من هذا. وهنا لابد من التذكر بأني قدمت براهين عديدة على أن الاسم إسرائيل لم يعن للأنبياء تجمع إثني مستقل، وإنما جامعة دينية. لكن أولئك الأصوليين المتمسكين غوغائياً بما نظر له بحرفية النصوص، قرروا أن المقصود ضياع مادي للأسباط. وحيث أنهم فهموا الرؤى والتنبؤات آنفة الذكر، بأنها تشير لظهور الأسباط، لذا فإنهم أخذوا على عاتقهم مهمة البحث عنهم، مهما كان الأسلوب والمنهجية.

من الممكن تتبع محاولات تطبيق هذه الخرافة لبدايات القرن الخامس عشر عقب اكتشاف القارة الأمريكية للإسبان، بالتالي للعالم القديم. فمن المعروف أن عمليات التبشير التي قام بها الأوروبيون، كانت دوماً تسبق جيوشهم الغازية. لكن هناك حالة استثناء فيما يخص القارة الأمريكية حيث كانت الجيوش هي التي سبقت المبشرين[٦]. ووفق المراجع التي تمكنت من الاطلاع عليها، فإن أقدم إشارة إلى الأسباط الضائعة طرحت من قبل الإسباني جومارا Gomara الذي إقتنع بأن الهنود الحمر هم الأسباط المفقودة. وبعد ذلك طرح الفرنسي دليري Delery المسألة نفسها عام ١٥٥٦، علماً بأنه كان من أتباع المذهب اللاهوتي البروتستانتي المسمى (المذهب الكالفيني)[٧]. وتلى هذه الجملة رأي الأخوين الإنجليزيين Genebard and Andrew Thevet. أما القس Duran of Tzucuco، فوصل إلى قناعات حاسمة بالموضوع عرضها في مؤلف (تاريخ إسبانيا الجديدة ـ History of New Spain) الصادر عام ١٥٨٥. كما أن المحامي الفرنسي لسكاربو Lescarbot، والذي كان عضو في برلمان باريس، وصل عام ١٦٠٩ إلى نتيجة مشابهة مفادها أن سكان أمريكا هم نفسهم الكنعانيون! وبعد إنتشار الغزو والاستيطان الأوروبي للأمريكيتين، طرح الإسباني جارسيا Garcia في مؤلف (أصل الهنود ـ Origin do Los Indos) الصادر عام ١٦٠٧، بأن البيرو هي نفسها أوفير المشار إليها في سفر الملوك الأول ٩: ٢٨.

لكن هذه الفكرة لم تحصر في اتجاه ديني مُعيَّن، حيث أن المراجع التاريخية تسجل أن حاخام مدينة أمستردام الهولندية منسي بن إسرائيل، بارك خرافة أطلقها

رحالة إسمه أنتونيو دي مونتزينوس Antonio de Montezinos، بأن بعض سكان أمريكا الجنوبية هم «الأسباط الضائعة». وقد قام الحاخام بتسجيل قناعاته في مؤلف سُجل باللاتينية تحت عنوان (أمل إسرائيل ـ The hope of Israel)، والذي صدر في طبعتين عامي ١٦٥٠ و١٦٥٢، وأهدي للبرلمان البريطاني. وقد ترجم هذا المؤلف للإنجليزية، وصدر في ثلاثة طبعات متلاحقة. وقد وظفت هذه الخرافة في النقاش الذي دار مع أوليفر كروميل (Oliver cromwell) [٨] في بريطانيا بهدف السماح بإدخال اليهود لبريطانيا، وهو الأمر الذي حصل فعلاً.

ولم يتأخر الإنجليز عن الركب في هذا المضمار حيث قام توماس ثرجود Thomas Thorogood بالمشاركة في نشر الخرافة. وقد طرح رأيه بأن «الأمريكيين» ينحدرون من سلالة نوح في كتاب نشر عام ١٦٥٠ تحت عنوان (يهود في أمريكا ـ Jews in America). وليس من الصعب معرفة مصدر آراء هذا الكتاب إذا عرفنا أنه كان عضواً في (جماعة المُقَدِّسين)[٩]. وبمتابعة الموضوع، نكتشف أن الفكرة أطلقت من قبل المبشرين الأوائل الذين سجلوا أن قبائل (الكارن الحمر) في بورما هم الأسباط الضائعة. لكن الدكتور تيلر من (المبشرين الأبرشيين / Congergational Missionary)، اكتشف خطأ الآخرين لأنه وجدهم في شعب الزولو[١٠]. أما الأسقف وليم تيلر William Tayler، فقد عثر عليهم جنوب زميله، وتحديداً في إقليم (كفير) في جنوب أفريقيا، وسجل هذا في كتاب (مغامرات مسيحية في جنوب إفريقيا Christian Adventures in South Africa)، الصادر في مدينة نيويورك عام ١٨٧٦.

ومن طبيعة الأمور و«المنطق»، أن يكتشف بعض الأوروبيين أصولهم الضائعة. فقد تشكلت حركة إنجليزية في نهاية القرن الثامن عشر تحت اسم (الأنجلو إسرائيلية ـ Anglo- Israelism)، نشرت مقولة أن وعود إله التوراة يهوه لبني إسرائيل سيتم تحقيقها من خلال بريطانيا وأمريكا. وقد ضمت هذه الحركة بعض الشخصيات الحاكمة في بريطانيا ومنها أعضاء في مجلس اللوردات وأسقف المستعمرات[١١]. ولم يقصر البلاط الإنجليزي عن المشاركة في الحملة حيث أعلن الفلكي التابع للبلاط الإنجليزي بإسكتلندا C. Piazzi Smith، في كتاب (تراثنا في الأهرامات ـ Our Inheritance in the Greal Pyramids بأن الإنجليز هم ورثة قدماء

المصريين . وقد قامت قيادات هذه الحركة بإصدار العديد من النشرات المخصصة بكاملها للمسألة . وتفيد المراجع أن الشخصية التي لعبت دوراً أساسياً في هذه الحركة التي وصل عدد أعضائها في ذلك الحين إلى حوالي مليوني شخص ، كانت ريتشارد برذر Richard Brother الذي ادعى تسلمه المعرفة عبر الوحي بصفته من أقارب الإله ، أي المسيح ، ومن سلالة داود . وقد أعلن الأخير ودون أن يرف له جفن ، أن الإله سيعلنه أميراً لبني إسرائيل بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٧٩٥ . ورغم عدم تحقق هذه المسألة ، نشر كتاب عام ١٨٢٢ بعنوان (معلومات صحيحة عن غزو السكسونيين لإنجلترا وإثبات أن الأمة الإنجليزية تنحدر من سلالة الأسباط العشرة الضائعة) . وفي مؤلف صدر منه ربع مليون نسخة في بريطانيا ، أعلن كاتب آخر يسمي إدوارد هاين Eduard Hine نفس المسألة عبر العديد من المنشورات والكتب ، أهمها الصادر في لندن عام ١٨٧١ تحت عنوان (تطابق هوية الأمة البريطانية بالأسباط الضائعة)[١٢] .

وقد انتقلت عدوى هذا الفكر الأصولي والهوس الديني إلى أمريكا عبر جرينود G. W. Greenwood الذي أصدر نشرة شهرية عام ١٨٨٠ مخصصة للمسألة بعنوان (ورثة العالم ـ Heir of the World) . وشاركه في الرأي القس بول Rev. W.H. Poole ، ورغم أن الموضوعة نقلت لألمانيا عبر مؤلف (الجرمان قبائل سامية ـ Die Germanen ein Semitischer Volksstamm) ، والذي نشر في برلين عام ١٨٧٨ من قبل الكاتب بكهاوس Backhaus ، إلا أن هذا لم يرق لعلماء تلك البلاد .

ومن الممكن متابعة أصول هذه الأفكار العجيبة في تأويلات ضيقة الأفق لبعض مقاطع العهد القديم . ومن «البراهين» التي قُدمت لشرح كيف يمكن لإسرائيل أن تظهر تحت إسم آخر ، ماورد في سفر هوشع ٩ : ١ ـ ١٠ ، والمترجم تقليدياً إلى : «فقال أدع اسمه لوعمي[١٣] لأنكم لستم شعبي وأنا لاأكون لكم . لكن يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لايكال ولايُعدَ ويكون عوضاً عن أن يقال لهم لستم شعبي يقال لهم أبناء الله الحي» .

أما تفسير كون بريطانيا مقر عودة ولادة إسرائيل فقد استقي من سفر أشعيا ٢٤ : ١٥ القائل (. . في جُزر البحر «مجدوا» اسم الرب إله إسرائيل) ـ إرميا ١٥ : ٤

الـذي فهم أن المقصـود جعـل يهـوذا عبـرة للأمم بسبب عصيـانهـا؛ إشعيا ٤١ : ١ «أنصتي إلي أيهـا الجُـزُر»؛ إشعيـا ٤٢ : ٤ «لايكـل ولاينكسـر حتى يضـع الحق في الأرض وتنتظـر الجُـزُر شريعتـه»؛ إرميـا ٣ : ١٢ «اذهب ونـادي بهـذه الكلمات نحو الشمـال». ويبـدو أن أصحـاب هذه الفكـرة اقتنعوا بأن بلد الضباب والبرد هي مكان ظهور الأسباط الضائعة لأن سفر إشعيا ٤٩ : ١٠ يسجل أن المُخلصين سيكونون في مكـان «. . . لايضـربهم حر ولا شمس. . .». وحيث أن سفـر إشعيـا ٤٩ : ١٩، يسجـل أن إسـرائيـل ستكـون «. . . . ضيقة على السكان»، وأن سفر الخروج يقول «أمـة وجمـاعـة أمم تكـون منـك»، فقد رأوا في بلادهم الصغيرة المكان المناسب. وبسبب من ضيق البـلاد وكثـرة السكـان والأمم فيهـا، فقـد رأوا أن استعمـار بريطانيا للشعـوب الأخـرى هو عمـل إلهي يتمـاشى مع مايرد في سفر إشعيا ٤٩ : ٢٠ «ضيق علي المكان، وَسِّع لي لأسكن»؛ أشعيا ٤٤ : ٣ «أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتـك»؛ والتثنيـة ٧ : ٦ «إيـاك قد إختـار يهـوه إلهك لتكون له شعباً أخص من جميـع الشعـوب الـذين على وجه الأرض»؛ و١٤ : ٢ الذي يقول «. . . وقد إختارك يهوه لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»، و٢٨ : ١ «. . . اليوم يجعلك يهوه إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض».

وحيث أن رافعي لواء هذا الفكـر كانـوا من أتبـاع الكنيسـة الأنجليكـانيـة، أي الـوحيـدة في صحة مذهبها! فقد أول القول المنسوب لإشعيا في الإصحاحات ٤٩ : ٢١ و٥٩ : ٣ ليشير لهم كالموحيدين الناطقين بالحقيقة.

ولم يكن إستقـلال أمـريكا عن بريطانيا ليغيب عن هذا الفهم الأعوج للكتاب المقـدس لأنـه أخـذ بعين الاعتبار في سفر التكوين ٤٨ : ١٩، والذي يفيد بأن سبط منسي سيستقـل عن باقي بني إسـرائيـل. وحيث أن الاسم «أمـريكـا» يعود للإيطالي أمـريكـو فسبـوتشي الـذي وصلت سفينتـه للقـارة الأمـريكيـة، فلم يكن هذا ليعيق أصحاب الفكرة عن القول بأن الأخيرة هي سبط منسي.

ويتجلى مدى ابتذال هذا الفكر التأويلي بتبرير قيام الإنجليز و«الأمريكيين»[١٤] بإفنـاء السكـان الأصلين في القـارة الأمـريكيـة، أي قبائل الهنود الحمر لأنه تم عملاً

بمقولـة سفـر التثنيـة ٣٣ : ١٧ القـائل «ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض . هما ربوات أفرايم وألوف منسي» .

وقد عثر أيضاً على شعار إنجلترا وإسكتلندا، أي «أحادي القرن»[١٥] والأسد، في سفر العدد ٢٤ : ٨ و٩، بالإضافة إلى شعار أمريكا، أي النسر، والمذكور في سفر حزقيال ١٧ : ٣ .

أمـا وعـد سفـر التكوين ٢٢ : ١٧ بأن نسل إبراهيم سوف «يرث باب أعدائه»، و٢٤ : ٦٠ القـائـل «وليـرث نسلك باب مبغضيـه»، فلم يكن هنـاك شك لديهم بأنـه تحقق في استعمار بريطانيا لكل من جبل طارق وهلجولاند وعدن ومالطا وسنغافورة . أما كون بريطانيا هي مكان بعث الأسباط، فكان أمر بدهي! لأن سفر أشعيا ٦٥ : ١٥ يقـول «فيميتـك السيـد الـرب ويسمي عبيـده إسمـاً آخراً»، ولغتهم إنجليزية وليست كنعـانيـة لأن سفـر أشعيـا ٢٨ : ١١ يقـول «إنـه بشفـة لكنـاء وبلسـان آخر يكلم هذا الشعب» . أمـا كون العـائلة الملكيـة البـريطانية هي التي ستحكم العالم إلى الأبد، فكـان من أكثـر الأمـور بداهـة لأن سفـر أخبار الأيام الثاني ١٣ : ٥ يقول «أما لكم أن تعرفوا أن يهوه إله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل لداود إلى الأبد» . وقد عثر على هذا البرهان أيضاً في التوراة، لأن الأسباط العشرة سيقت إلى بابل! آشور! في نفس الـوقت الـذي ظهرت فيه قبائل السكيثيين الذين إعتبروا إعتباطياً بأنهم أجداد الأنجلو سكسون . ومن هناك توجهوا بالسفن إلى الدانيمارك، أي بلاد سبط دان! وفق مافهم من سفـر القضـاة ٥ : ١٧ ، ثم ظهـروا في إيـرلنـدا تحت اسم آخر حيث خلفوا سلالة الملكـة فكتـوريـا . أمـا الشق الإيـرلندي من سبط دان، فقد أحضر معه إلى بريطانيا حجر يعقوب الذي استخدم في حفل تتويج ملوك إسكتلندا، والموجود إلى يومنا هذا في «أبرشية وستمنستر»، أي «Westminister Abbey» .

وقد شارك رعيل جديد من الكتاب في الهوس الجماعي الذي اجتاح بريطانيا في تلك الفـترة حيث أعلن كاتب إسمـه ويلسن J. Wilson ، نفس الـرأي في مؤلف (أصولنـا الإسـرائيليـة ـ Our Israeli Origin) الصـادر عام ١٨٤٥ . وشارك آخرون في المسألة منهم جلفر A. R. Glover في كتاب (إنجلترا بقايا يهوذا ـ England the Remmant of Judah)، وكاربنتر W. Carpenter في مؤلف (العثور على الإسرائيلين ـ Israelites Found) .

ومـع تقـدم التطلعـات الاستعمـارية، ضُم الأثيوبيين للقائمة من قبل الكاتب الألماني مركر M. Merker في كتاب صدر عام ١٩٠٤ ببرلين تحت عنوان (المساي ـ Die Masai). أمـا كون «الشنـداي»، أي الطبقـة اليـابـانيـة المقدسة، هي الأسباط الضـائعـة، فقـد أُعلن للعـالم عبر مكليود Mcleod في مؤلف (ملخص تاريخ اليابان العتيق ـ Epitome of the Ancient History of Japan)، الصادر في مدينة طوكيو عام ١٨٧٩.

ومن المعـروف أنـه وجـدت أفكـار أخـرى بهـذا المـوضـوع ومنهـا أن طائفـة (المـرمـون ـ The Mormons)، التي أسست في الـولايـات المتحـدة الأمريكية عام ١٨٣٠، هم نفسهم الأسباط الضائعة.

كمـا عثـر البعض على الأسبـاط «الضـائعة»، وعلى رأوبين وجاد ونصف سبط منسي في جزيرة العرب. السبب هو أنهم فهموا المفردة «حبور»، الوارد ذكرها آنفاً في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٦ بأنها موقع عُرف بأنه (خيبر). وقد رأينا خطأ هذا الفهم لأن المقصـود ليس موقـع، وإنمـا مصطلح يعني (مكـان تجمع مياه الأودية). ومن الأمور التي تستحق الـذكـر أن بعض رجـال الـديـانـة اليهـوديـة أشـاروا في ثمانينات القرن الماضي لمجموعات في اليمن تقول بأنها من (أبناء موسى)، أي من «بني إسرائيل» وليس «يهود». وعلى الرغم من أن الوجود «اليهودي» في اليمن كان معروفاً منذ أقدم العصـور، إلا أن هذه المسألـة أثـارت الانتباه لأنها تتحدث عن إسرائيليين. وقيل أن أحـد حاخـامـات مدينة صفد الفلسطينية المسمى برك بن صموئيل، أرسل للاتصال بهم. ووفق روايته تحدث عن عبوره أرض صحراوية وأقام الاتصال بأحد أعضاء المجموعة.

كمـا اقتنـع آخـرون بأن طائفـة الفلاشا الحبشية هي نفسها الأسباط الضائعة. ويضـاف لهـذا مجمـوعـة أخـرى من الشعـوب ومنهـا الألمان، شعب الملايو وقبائل «البوشتو» الأفغانية، التي تسمي نفسها حتى يوما هذا بإسم بني إسرائيل.

وحيث أن المـوضـوع طويـل للغـايـة، سأتـوقف الآن عن التعـامـل مع هذه المسألة. وهنا أود التأكيد بأني أشرت لهذه المسألة لتوضيح أن هذا التهذيب العلمي لم يُفصـل يوم ما عن السيـاسـة. ولم يكن فكراً مجرداً مستقلاً عن الوقائع والإفرازات

السياسية العالمية، وإن كان أكثر العلماء يتفادون الحديث الصريح في هذا العصر.

هذا لاينفي أبداً أن الرعيل الأول من علماء التوراة قدموا إبداعات علمية في المجال تدين لها بالكثير. لذا، ليس هناك داع للدخول في تفاصيل أخرى عن المسألة حيث أنه توضح وبلا أدنى شك أن مثل هذه الأفكار لاتنتمي لأي أساس في التوراة، وإنما من بقايا نظرية الصفاء الإثني المرتكزة على أقصى درجات السفاهة. أما منطلق هذه الخرافة فهو الفكر الكهنوتي الذي أدان مملكة إسرائيل، وإعتبر ضياعها المزعوم عقاباً لها على ذنوبها بحق إله التوراة[١٦]. أما تفاهة مقولة الأسباط الضائعة فتتجلى في الاستنتاج القائل بأن كون الإنسان أسترالي أو نيوزيلندي أو أمريكي هو عقابه لأنه كان أوروبياً عاصياً!

هوامش الفصل السادس

١ ـ ٨٧١ ـ ٨٥٢ ق.م.

٢ ـ ٧٣٢ ـ ٧٢٣ ق.م تقريباً؛ انظر سفر الملوك الثاني ١٧ : ١ ـ ٦.

٣ ـ أنظر سفر الملوك الأول ١١ : ٢٦ ـ ٢٩.

٤ ـ ٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م.

٥ ـ تعريفي للمواقع هو كالتالي:

حلح: وادي اللحوح (لحح ـ بالإستبدال عن حلح) بمنطقة بلغازي بجيزان.

نهر جوزن: مجرى وادي جيزان.

عري مدي: أي جبال مدي، جبال قرية ميدي باليمن على حدود منطقة جيزان.

ءشور: منطقة وشر في بلغازي بإقليم جيزان.

٦ ـ من المعروف أن إكتشاف أمريكا للعالم القديم من قبل كرستفر كلمبس، تم بطريق الصدفة حيث أن هدفه كان اكتشاف طريق بحري جديد للهند. وفي هذا المجال سجل المستشرق السوفياتي «الروسي»، مايلي: «وبفضل الترجمات اللاتينية للمصنفات العربية، وجد التحديد المأموني للدرجة طريقه لأوروبا، والذي كان محدداً بستة وخمسين ميلاً وثلثي الميل. ونتيجة لذلك، فقد تكرر ماوقع للسريان والعرب مع اليونان، ذلك أن علماء القرنين الرابع عشر والخامس عشر الأوروبيين لم يلتفتوا إلى الاختلاف بين المقياس العربي والمفياس الأوروبي، الأمر الذي نتج عنه أخطاء جسيمه أعان أحدها على إكتشاف أمريكا (للعالم القديم ـ ز. م.). فقد حسب

كرستفر كلمبس الدرجة بمقدار ستة وخمسين ميلاً إيطالياً وثلثي الميل، والذي كان يقل عن الميل العربي بثلاثماية وأربعة وثمانين متراً. وعلى ذلك، فإن الدرجة الواحدة كانت تقل وفق حسابات كرستفر كلمبس، بمقدار إثنين وعشرين كيلومتراً عن الدرجة العربية. بذلك كان تقديره للمسافة بين سواحل أوروبا الغربية وسواحل آسيا الشرقية أقل بكثير من الواقع. ولعله لو أن كلمبس كان يعلم بحقيقة هذا الأمر منذ البداية، لما أقدم على ركوب المحيط على سفنه الصغيرة التي لم يكن بوسعها حمل المؤن الكافية لمثل هذه المهمة». أنظر أغناطيوس كراتشكوفسكي: «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي. الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٧، ص ٩٨٠.

٧ ـ أي، Calvinist.

٨ ـ جنرال ورجل سياسية بريطاني (١٥٩٩ ـ ١٦٥٨). كان ينتمي لطائفة (المتطهرين ـ Puritans) البروتستانتية الأصولية، والتي ظهرت في بريطانيا ونيوإنجلند بالولايات المتحدة تحت شعار «لتدمر قرطاج»، أي هولندا، والتي كانت مركز التسليف المالي في أوروبا. وتعتبر هذه الطائفة نفسها (شعب الله المختار). ومن الجدير بالذكر أن مركزها الرئيسي الحالي في الولايات المتحدة الأمريكية وينتمي إليها العديد من الرؤساء السابقين للبلاد، أنظر الملاحظة رقم ١٦ في هذا الفصل.

٩ ـ Assembly of the Devines.

١٠ ـ حالياً في جنوب إفريقيا.

١١ ـ «The Colonial Bishop of the Church of England».

١٢ ـ «Identitication of the British Nation with the Lost Tribes».

١٣ ـ أي «لستم شعبي».

١٤ ـ أي سبطي أفرايم ومنسي!.

١٥ ـ في الترجمة العربية التقليدية (الرنم)، وبالانجليزية «unicorn».

١٦ ـ هذه الفكرة لم تكن معزولة أبداً عن السياسة وإفرازاتها الاستعمارية والدينية الأصولية التي وصلت إلى ذروتها بعد انتصار الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر. وقد تعاملت بإسهاب مع بعض جوانب هذه المسألة في دراسة نشر جزء منها في عدد صحيفة (القبس الدولي) الصادر بتاريخ غرة آب ١٩٩٠.

خلاصة

لقد قمت في الفصول السابقة باستعراض مقاطع أساسية من العهد القديم من وجهة نظر قاريء تاريخ عربي، موظفاً الحد الأدنى الممكن من المفردات العلمية المرتبطة بهذا الموضوع المعقد. وقد قدمت في الفصل الأول براهين من كافة الأسفار تثبت أن إنجاز قراءة نقدية للكتاب المقدس لليهودية والمسيحية بلغته الأصلية ليس أمراً مشروعاً علمياً فحسب، وإنما لايمكن الإستغناء عنه عند محاولة فهمه في وحدته الداخلية.

وفي الفصول اللاحقة قمت بتحليل جذور شعوب التوراة ضمن إطار التراث العربي العتيق وجغرافية جزيرة العرب. وفي عملية ربط لإحساسي الفطري باللغة العربية المدعوم بالمعارف الموثقة عن التراث الديني الماقبل إسلامي للعرب. أعتقد أني تمكنت من الوصول إلى معلومات فتحت أوسع الأبواب أمام التعرف على شعوب التوراة وديانتها الأصلية التي لم يعرف العهد القديم إسم لها. كما فسحت هذه المنهجية المجال الواسع للتعرف على جذور التوحيد اليهوِيَّة، كاشفة في الوقت نفسه عن فصول منسية أو مجهولة من تاريخ جزيرة العرب.

وفي عملية تلخيص للنتائج التي توصلت إليها أقول أن بني إسرائيل كانوا من أقوام جزيرة العرب ذات الأصول العربية (الأعرابية) الذين عُرفوا في التوراة بأنهم (عبريم) أي عرب. وباستثناء تعبدهم الجماعي لإله أعلى ثم تحولهم للتوحيد، فإنهم لم يتباينوا قومياً عن محيطهم «الإثني» لأنهم تحدثوا بنفس لغة جيرانهم

وشاركوهم في العادات والتقاليد. لكن من الصحيح القول بأن الرابطة الدينية لبني إسرائيل أسهمت إلى حد ما في صقل تلك العادات والتقاليد العربية بما أدى لنشوء بعض التباين بينهم وبين جيرانهم. ومما لاشك فيه أن الروابط التعبدية الموحدة ساعدت في تأسيس درجة من الوعي الجماعي لذلك الشعب المندثر بما مكنه من تأسيس مملكة صغيرة في عسير في فترة تاريخية كانت فيها مصر وبابل تمر بحالات ضعف وإنهاك مادي وروحي. لكن حيث أن تلك المملكة كانت قد قامت على تخوم ممالك المشرق العربي العظيمة دائمة التطلع نحو التوسع والهيمنة، فلم يكن بمقدور بني إسرائيل من المحافظة على أي نوع من الاستقلال السياثقافي لأية فترة زمنية تستحق الذكر. وهنا أؤكد أن علم التوراة لايختلف معي في وجهة النظر هذه. كما أن أية قراءة متمعنة للعهد القديم تثبت هذه النقطة بصريح العبارة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الطبيعة البدوية القبلية لبني إسرائيل، فما كان لوحدتهم الداخلية أن تستمر لفترة طويلة حيث أن صراعهم الداخلي العشيري والشخصي أدى في نهاية الأمر إلى تقسيم مملكة داود فور وفاة ابنه ووريثه سليمان.

وفي الوقت الذي أشير فيه إلى التمثل «الإثني» لبني إسرائيل مع محيطهم الأقوامي، وجدنا أن العهد القديم يشير، وإن بصورة غامضة، إلى أن قسماً من الأخيرين كان آرامي الانتماء. ومن وجهة نظري، فإن هذا العامل الأخير أسهم إلى حد كبير في انشقاق الديانة اليهويَّة واندلاع الصراع بين أنبياء بني إسرائيل من جهة، وبين الكهنة من جهة أخرى. وقد تبين لنا من استعراض المسألة أن كافة أنبياء بني إسرائيل دونما استثناء، لم يعيروا مسألة الأصول العرقية أية انتباه. هذا عنى أن تعاليمهم وعلى عكس رديفها الكهنوتي، كانت منفتحة وكونية، وهو الأمر المتوقع من أي نبي. وهذا يقودنا إلى الاستنتاج الصحيح بأن فكرة الصفاء العرقى هى من نتاج الكهنة فقط. وقد تبين لنا من مختلف مقاطع العمل أن الكهنة أو قسماً هاماً منهم، وقف ضد إنتشار اليهوية بين الأقوام المجاورة. وعلى الرغم من أن العهد القديم لايعطي أي سبب لهذا الموقف الغريب، فمن غير الخطأ الاستنتاج بأن الكهنة شكلوا طبقة منفصلة فوق المجتمع. فأي تحول لليهوية كان سيهدد مصالحهم وسلطتهم الهائلة حيث أنه من الطبيعي أن المتحولين أو المهتدين الجدد كانوا

سيقبلون بالمساواة في الواجبات فقط عندما يُعترف بحقوقهم أيضاً. ومن الممكن أن ذلك القسم من الكهنة الذي وقف ضد توسع اليهوية بين أقوام جزيرة العرب كان يحاول الحفاظ على نفسه كأقلية «قومية» آرامية ضمن محيط كنعاني.

ولكن حيث أن التطور الحضاري الطبيعي يعني أن البشر يستمرون أفراداً وجماعات في البحث عن، والأخذ بتعاليمهم خلفية أكثر ارتقاء، فإن الكهنة لم يتمكنوا من منع تحول الكثير من جيرانهم لليهوية. هذا جعل أولئك الكهنة يقيمون مؤسسات دينية - اجتماعية لم تعرف من قبل ولم ينادي بها الأنبياء، كما قاموا في الوقت نفسه بتأويل تاريخ بني إسرائيل وتعاليم أنبيائهم بما يخدم مصالحهم كطبقة فوق المجتمع تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة.

لقد قادت عملية إعادة بنية اليهوية لظهور تعاليم جديدة أضيفت للكتاب المقدس وتعرف في هذا التهذيب العلمي باسم التقليد الكهنوتي والتقليد التثنوي. كما أن هذه التعاليم حاولت حصر منصب الكهنوتية في عشيرة واحدة انتمت أو ادعت الانتماء لبيت هارون من آل عمران - في التوراة «عمرم». ولكن حيث أن الكهنة اعتبروا أنفسهم الحماة الوحيدين لليهوية والورثة الشرعيين لتعاليم أنبياء بني إسرائيل، فقد كان من الطبيعي أنهم اضطروا لإضافة التراث الاجتماعي للأقوام المتعبدة لليهوية إلى كتبهم المقدسة. ومن هذا التراث مايعرف بقصص «الآباء الأولين» والكثير من الخرافات والأساطير ومنها خرافة الخلق والطوفان والشعر الملحمي والجنسي الإثاري. وفي محاولة لإرساء رابطة داخلية مُوحَّدة، أدخل الكهنة العديد من المصطلحات ومنها (الشعب المختار)، و(أرض الميعاد)... إلخ. وإذا نظرنا إلى هذه التطورات في شموليتها ووحدتها الداخلية، فقد نشأت تعاليم جديدة ربما يمكن وصفها بأنها مُجدِّدة أومُجَدَّدة عرفت تاريخياً بالاسم اليهودية نسبة لأصول مبتدعيها الكهنة الآراميين من يهوذا.

وقد جاءت هزيمة بقايا بني إسرائيل من يهوذا وترحيل أعيانهم إلى بابل ومايروى عن تعاطف الفرس معهم، لتساعد في إقامة نوع من وعي موحد، لكنه يفتقد إلى أية مقومات إثنية أو عرقية. رغم ذلك، فإن ذلك الشعور بالانتماء الواحد كان قصير الأمد حيث أن الحقائق التاريخية الموثقة تثبت أنه لم يوجد أي وعي يهوذي

«يهودي» جماعي. فالأخيرون كانوا منشقين على بعضهم البعض، وانقسما إلى مجموعات تحاربت وتقاتلت فيما بينها بنفس القوة والضراوة التي حاربت فيها جيرانها.

وفي غياب سلطة مادية مركزية، لم يكن بمقدور الكهنة فرض سيطرتهم المباشرة على الطوائف اليهوذية المختلفة التي أقامت في فلسطين وفي غيرها من أقاليم المشرق العربي. وفي محاولة لفرض هيمنتهم الروحية، وبالتالي المطلقة على مختلف الطوائف والاتجاهات، قامت مجموعات محددة من الكهنة بوضع تأويلاتها لليهوية في كتاب عرف بالتلمود. وقد هدف هذا «التجديد» أيضاً للتكيف مع المحيط الحضاري الدائم التغير من جهة. لكننا نعرف بفشل تلك المحاولة التوحيدية والسلطوية على كافة اليهوذيين حيث نشأ تلمودان عرف أحدهم بأنه بابلي بينما أطلق على الثاني الاسم التلمود الفلسطيني. في الوقت نفسه، فإننا نعلم بوجود طوائف يهوذية أخرى لم تعترف بأي من التلمودين عرفت باسم القرائيين أو القرآنيين. وبالإضافة لذلك، وجد الصدوقيين وجماعة قمران وغيرها. لكن معظم هذه المجموعات اندثرت تقريباً أيضاً لعدم تمكنها من التكيف مع الأوضاع المحيطة بها. ومع مرور الزمن، فقدت هذه الطوائف تأثيرها داخل الديانة اليهودية أو اليهوذية وتحولت إلى مجموعات صغيرة معزولة. أما الطائفة الوحيدة التي تمكنت من المحافظة على نفسها فهي التيار المعروف باسم الفريسيين، أي المعتزلة.

هذا يقودنا للادعاء بالصفاء العرقي لليهود والذي تتجلى غوغائيته بشكل واضح من خلال تناقضه الداخلي. فمن ناحية، فإن ممثلي نظرية الصفاء العرقي لايترددون أبداً في التصريح بأن اليهود ذوي أصول عرقية واحدة، وأنهم بالإضافة لذلك منحدرون من بني إسرائيل. لكن القراءة المتمعنة للعهد القديم أثبتت لنا بشكل واضح أن بني إسرائيل أنفسهم لم يشكلوا أي مجموعة قومية مستقلة عن محيطها الثقافي والقومي في جزيرة العرب. كما تَوضَّح أن العهد القديم ينقل معلومات مفصلة عن متحولين لليهوية، وبأن الأنبياء رحبوا بذلك وشجعوا عليه. ومن ناحية أخرى، بينا وجود مؤسسات حتى أيامنا هذه تحاول كسب متهودين جدد. هذا يثبت برأيي أن المرتكز الوحيد لمقولة الصفاء والانحدار العرقي الموحد هو الهوس العنصري ليس إلا.

وفي القسم الأخير من العمل قمت بوضع بحثي الثقافي / التاريخي لأصول بني إسرائيل على المحك العملي من خلال التعامل مع مسألة شاول وفلشتيم. إن بحثي الجغرافي الذي تمكنت فيه من تقديم تحديد غاية في الدقة للمواقع التي واجه فيها شاول نهايته الحزينة أثبت أمرين هامين أولهما دقة رواية العهد القديم عن المسألة. أما الأمر الثاني فهو صحة موضوعة أن العهد القديم هو رواية تجربة بني إسرائيل التاريخية الدينية في عسير وليس في أي مكان آخر. وهنا لا أمل من تذكير القاريء أنه بعد مرور أكثر من قرن ونيف على التنقيب الأثري الذي لم يترك شبراً أو حجراً من أرض فلسطين دون قلبها، لم يُعثَر على أثر واحد يربط العهد القديم بها، وأي ادعاء بغير ذلك غير صحيح على الإطلاق وتزوير للحقائق، وهذا أمر يعرفه كل من يبحث في الموضوع.

وقد يطرح البعض السؤال المشروع عن دوافع التمسك بالادعاءات التقليدية السائدة. لقد عملت على تفادي إعطاء جواب على هذه المسألة وتركت للقارىء الوصول للاستنتاجات من خلال التعرض لمقولة (الأسباط الضائعة). لقد أضفت هذا الفصل للعمل لأبين للقاريء أن هذا التهذيب العلمي لم يفصل أبداً عن السياسة، وهو الأمر الذي يشرح الأزمة التي واجهت علم وعلماء التوراة عندما طرح كمال الصليبي موضوعته للمرة الأولى في كتابه الأول (التوراة جاءت من جزيرة العرب). وفي مواجهة الحقائق العلمية التي قُدِّمت، لم يبق أمام أهل الاختصاص والمتنفذين في أوروبا بشقيها سوى التحايل على الحقائق بتجاهل المسألة قدر الإمكان. لكن الباحث المتخصص العامل في المجال يعلم مدى عنف الهزة التي لحقت بالتفكير التقليدي، وأن العديد من أهل الاختصاص المبدعين والمتحررون من عقد النقص بدأوا يقتنعون بصحة الموضوعة. لكن جوهر هذا الموقف الغريب يتضح من خلال الفضائح التي انتشرت عالمياً بالارتباط مع مسألة لفائف البحر الميت حيث انحدر مستوى النزاع بين بعض أهل الاختصاص إلى درجة الأحقاد الشخصية بما يبين بشكل واضح المستوى الذي هبط إليه هذا التهذيب علمياً وخلقياً على يد البعض من مدعي احتكار الحقيقة المطلقة.

الفصل السابع

ملاحق

القيمة العددية لأبجدية لغة التوراة

ء	(א)	١	ب	(ב)	٢
ج	(ג)	٣	د	(ד)	٤
هـ	(ה)	٥	و	(ו)	٦
ز	(ז)	٧	ح	(ח)	٨
ط	(ט)	٩	ي	(י)	١٠
ك	(כ ך)	٢٠	ل	(ל)	٣٠
م	(מ ם)	٤٠	ن	(נ ן)	٥٠
سامك	(ס)	٦٠	ع	(ע)	٧٠
ف	(פ ף)	٨٠	ص	(צ ץ)	٩٠
ق	(ק)	١٠٠	ر	(ר)	٢٠٠
ش، س	(ש)	٣٠٠	ت	(ת)	٤٠٠

الأبـوكـريـفـا: المتحولة

الاِسم مشتق من المفردة اليونانية apokryphos ، بمعنى «المخبأ» ، غير الظاهر، وقد وظفت المفردة في الكتابات الكنسية اليهودية والمسيحية للدلالة على علم بالمستقبل محصور في مجموعة محددة من الناس.

أما الأسفار التي كتب معظمها باليونانية في الفترة الواقعة بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول من التأريخ المعتمد فهي على النحو التالي :

١) أسدرس ١ .

٢) أسدرس ٢ .

٣) طوبيا بالكنعانية .

٤) يهودية بالكنعانية .

٥) تتمة سفر أستير

٦) حكم سليمان

٧) يسوع بن سرك بالكنعانية .

٨) باروك مع رسالة إرميا بالكنعانية .

٩) أنشودة الفتيان الثلاثة تسمى مع سوسن وبعل والتنين «إضافات دانيال» .

١٠) سوسن .

١١) بعل والتنين .

١٢) صلوات منسي .

١٣) المكابيين الأول بالكنعانية .

١٤) المكابيين الثاني .

وقـد رفض قبـول الاعتـراف بهـذه الكتب من التيـارات الـرئيسية لليهودية لأن أسـماءهـا تعطي الانطبـاع بأن كاتبيهـا هـم الـذين تسمت الكتب بهم ، وهـذا مالم يقبل . هذا من ناحيـة ، ومن ناحيـة أخـرى ، أعتقـد أنـه هذه الكتب هامة فقط من ناحية أنها تعكس وجـود تيـارات يهـوديـة متعـددة في فتـرة زمنيـة سابقـة . وقد ذكرنا أن الكنيسة البـروتستـانتيـة لم تعترف بهذه الكتب ، وإن حوى كتابهم المقدس لبعض منها حتى مطلع القرن الماضي ، والذي وضع في النهاية في قسم خاص به .

أمـا النسخـة اليونانية من العهد القديم ، أي «السبعونية» فقد حوت العديد من كتب الأبـوكـريفـا . وحيث أن اليـونـانية أضحت اللغة المحكية لمعظم اليهود خارج فلسطين والعـراق ، فقـد استمـر الإنتاج الديني اليهودي في التطور منتجاً بذلك كتباً جديـدة بتلك اللغـة التي وجـدت بدورهـا طريقها للسبتواجنت ، ثم للنسخة اللاتينية المسماة «الفولجاتا» ، أي (الشعبية) .

أعيـاد اليـهــوديــة

قبل التعامل مع أعياد اليهودية وإظهار اختلافها عما ورد في العهد القديم، من المفيد التعامل أولاً مع مسألة التقويم السنوي المعمول به في إطار تلك الديانة.

لقـد رأينـا من الفصـل المـدخـل أن بني إسرائيل لم يعرفوا أسماءاً خاصة بهم للشهـور، وأنهم أخـذوا ماتـوفر من محيطهم الحضاري. أما الانتقال إلى تقويم دائم فقد تم في السبي البابلي حيث أخذت أسماء الأشهر الأكادية، وعلى النحو التالي:

البابلي التوراتي	عدد الأيام	العربي «المشرقي»	الميلادي «الجيورجاني»
١) نيسان «نيس ءن»	٣٠	آذار / نيسان	مارس / أبريل
٢) إيار «ءيءر»	٢٩	نيسان / أيار	أبريل / مايو
٣) سيوان «سيوءن»	٣٠	أيار / حزيران	مايو / يونيو
٤) تموز «تموز»	٢٩	حزيران / تموز	يونيو / يوليو
٥) أب «ءب»	٣٠	تموز / آب	يوليو / أغسطس
٦) إيلول «ءيلول»	٢٩	آب / أيلول	أغسطس / سبتمبر
٧) تشري «تشري»	٣٠	أيلول / تشرين ١	سبتمبر / أكتوبر
٨) مرخيشفان «تشيوان»	٢٩ (٣٠)	تشرين١ / تشرين ٢	أكتوبر / نوفمبر
٩) كيسلو «كسلو»	٣٠ (٢٩)	تشرين ٢ / كانون ١	نوفمبر / ديسمبر
١٠) تبت «تبت»	٢٩	كانون ١ / كانون ٢	ديسمبر / يناير
١١) شباط «شبءت»	٣٠	كانون ٢ / شباط	يناير / فبراير

١٢) أدار «ءدءر»	٢٩	شباط / آذار	فبراير / مارس
ءدءر ١	٣٠		
ءدءر ٢	٢٩		

ومن الجدير بالملاحظة أن السنة اليهودية قمرية / شمسية، لكن أشهرها تسير وفق التقويم القمري المكون من ٢٩ يوم - ٢٩ يوم و١٢ ساعة ٤٤ دقيقة ٢ , ٩ ثانية. هذا يعني أن كل من أشهر السنة المعمول بها في اليهودية يتكون من ٢٩ أو ٣٠ يوم، مما يجعل السنة تتكون من ٣٥٣، ٣٥٤ أو ٣٥٥ يوم.

ومما عقد مسألة وضع تقويم مستقيم وثابت، هو محاولة التوفيق بين الروايات المنقولة في التوراة. فسفر التكوين ينقل في الإصحاح ١٤ : ١ (وقال ألوهيم «في الترجمة العربية الله ز. م» لتكن أنوارا في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لمواسم وأيام وسنين). ويضاف لذلك أن التوراة فرضت أيضاً الاحتفال بأيام مرتبطة بالحصاد، ومنها عيد الفصح تحديداً الذي يقع في الربيع، وكذلك شووت الذي هو عيد الفصح في الديانة المسيحية، وغيرها.

وحيث أن أشهر السنة اليهودية هي قمرية، فقد نشأت الحاجة لترتيب الأمر مع السنة الشمسية المكونة من ٣٦٥ يوم وربع اليوم ٣٦٥ يوم، ٥ ساعة، ٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية. وهنا تم اللجوء إلى النسيء أو / والكبس[١].

ومن المهم التذكير أن بعض الطوائف اليهودية، ومنها السمرة والقرآنيون - أو «القرائيون» لاتقبل بالتقويم المعمول به حيث يناسب العام الحالي ٣٥٧٥ من الخلق، وترجعه لفترة أبكر.

أما أهم أعياد اليهودية فهي على النحو التالي:

١) عمرء بتوبت — يحتفل به في العاشر من شهر تبت (شباط) - أنظر سفر أستير ٢ : ١٦.

٢) روش هشنه لء نوت: رأس السنة المخصص للأشجار - أنظر سفر الملوك الأول ٢٥ : ٤؛ في النص الأصلي سفر الملوك الأول ٥ : ٥، وسفر التثنية ٢٠ : ١٩.

٣) ٧ آذار — يوم ولادة ووفاة موسى التوراة.

٤) ١٣ آذار — «تعنيت أستير».

٥) ١٤ آذار — عيد الفوريم

٦) ٢٩ آذار — الخروج من مصر ويوم الانعتاق. كما في التقويم البابلي، فإن شهر نيسان هو الشهر الأول من العام.

٧) ١٠ نيسان — «سبت هجدول» (السبت الأكبر).

٨) ١٣/ ١٤ نيسان — تحضير العجين غير المخمر إستعداداً لعيد الفصح.

٩) ١٤/ ١٥ نيسان — «ءرو فصح»، أي «ليلة الفصح».

١٠) ١٥ نيسان — عيد الفصح ـ يوم التحرر من العبودية من مصر وكذلك عيد الربيع ـ أنظر سفر الخروج ١٢ : ٢١ ـ ٥١.

١١) ١٦ نيسان — فترة الخمسين يوماً بين «الفصح» و«شووت». يحتفل بها حزناً لذكري تلاميذ الرابي عقبة، وانتفاضة «بر كوكبة»، أي «إبن كوكبة» ضد الرومان.

١٢) ٢١ نيسان — آخر أيام عيد الفصح.

١٣) ٢٥/ ٢٦ نيسان — يوم يشوع ـ يعتبر يوم الولادة والوفاة.

١٤) ٣ أيار — يوم «هوني مءجل» الذي يرد ذكره في التلمود كقديس.

١٥) فصح شتي — الفصح الثاني مخصص ليهود لم يتمكنوا من الحج المقدس وإحتفالاً بالرابي «مءير بءل» الناسيء المذكور عمله للأعاجيب.

١٦) لج بءومر — يوم وفاة الرابي سمعان بن يحي (القرن الثاني للميلاد)، الذي يعتبر مؤلف كتاب سحر من الكابالا.

١٧) ٢٩ أيار — يعتبر يوم وفاة صموئيل.

١٨) سبعت — عيد السبعة» ـ أنظر سفر الخروج ١٩ : ١ ـ ٢٩ : ٢٦، والذي يعتبر يوم تسلم التوراة، كما أنه يحسب يوم ولادة ووفاة داود.

١٩) ٥ آب — يوم القديس «أري»، والذي يعتبر من أهم من عمل الكابال في القرن السادس عشر.

٢٠) تشع بءب	التاسع من آب ـ يوم تدمير الهيكل الأول! والثاني.
٢١) نكمو ـ أي (عَزُّوا)	١٢ آب ـ الاسم مأخوذ من سفر إشعيا ٤٠ : ١ ـ ٣ أنظر سفر إرميا ٤٩ : ١ ـ ٢. زيارة قبر النبي أرميا لأنه وعد بالانعتاق.
٢٢) ١ أيلول	«شهر التوبة» حيث من المفترض أن موسى التوراة قضى فيه ٤٠ يوم في السماء ليتلقى التوراة. لكن اليهود الشرقيين (السفارديم)، يحتفلون به في هذا اليوم بينما يرى اليهود الغربيين (الأشكناز) بأنه في يوم ١ تشرين.
٢٣) روش هشنه	«رأس السنة» في ١/ ٢ تشري.
٢٤) صوم جداليا	٣ تشري يوم مقتل جدليا بن أخيقام؛ أنظر سفر الملوك الثاني ٢٥ : ٢٥.
٢٥) يوم كفور	«يوم الكفارة» أو «يوم الغفران» ويحتفل به في ١٠ تشري.
٢٦) عيد سكوت	١٥ تشري.
٢٧) ٢٩ تشري	يوم الكاهن الأعظم سمعان العادل إبان هيكل حرد ـ أنظر سفر سرك ٥٠ : ١ ـ ٣.
٢٨) عيد حنوكه	ذكرى انتصار الحشمونيين.

القـرائيــون «الدعــاة»

معنى الاسم غيـر واضـح وإن سجـل «بعلي مقـرء» ، بمعنى «رجـال القرآن» ؛ «بني مقرء» ، أي (أبناء القرآ»؟ «فرءيم» «القرآنيون» . وهناك من يسجل الاسم بصيغة «(القـرآنيـون) . كمـا يرى البعض بأن معنى الاسم هو «الـدعـاة» من المفردة «قرء» ، وبالعربية (دعا) .

المقصود تيار يرى البعض أنه يعود لبدايات القرن الثامن من التأريخ الحالي ، وينتمي لمجـموعـة السبي البـابلي . وهـذا التيـار لا يؤمن بالتلمـود ويرفضه ، ويدعو لاعتماد مبدأ (الإجماع) «عده» .

هنـاك إعتقـاد لدى بعض أهـل الاختصـاص بأن أصول التيار تعود لـ«مجموعة قمـران» صاحبـة (لفـائف البحـر الميت) . لكن القـرآنيين يعيدون أصولهم إلى عهد يربعام بن ناباط أول ملوك مملكة إسرائيل . أما اسمهم الأصلي فقد كان «العنانيون» نسبة لمؤسسة الحركة عنان بن داود .

وقـد ضم هذا التيـار طوائف عديـدة منهـا «العيسويون» ، وهـم أتباع أبو عيسى الأصفهـاني و«الصـدوقيين» . ويـرى بعض أهـل الاختصـاص بأنهم تأثـروا ـ تأثيـراً متبـادلاً ـ ببعض تعـاليم تيـارات منبثقـة عن الإسـلام ، ومنها الإيمان بتناسخ الأرواح وتحريم أكل اللحوم .

وقـد اختلف القـرآنيـون مع التيـار الفريسي حول قضايا وتعاليم عديدة ، ومنها المسألـة بُعـد التقيـد بعـدم العمـل يوم السبت ، الـزواج بين الأقارب ، العلاقات مع اليهود ، زيادة أيام الصوم والصلوات . وقد عرف أنهم أخذوا بمبدأ القياس عن أبي حنيفة .

أمـا نقـدهـم للتيار الكهنوتي السائد ، أي التلمودي ، فيتمركز حول مقولة أن الخلاف

بين الكهنة حول بعض التفسيرات يثبت أن التلمود غير مُنَزَّل، وبالتالي وجب رفضه. في المقابل حصل خلاف بين القرآنيين نتيجة اعتماد مبدأ (الإجتهاد) الفردي غير الملزمة للجماعة. ومن الجدير بالذكر أنهم رفضوا التحريك المسوري للعهد القديم.

وقد عرف هذا التيار انشقاقات عديدة بدءاً من النصف الثاني من القرن التاسع، وقاد أحدها إسماعيل العكبري[١] في عهد الخليفة العباسي المعتصم. وقاد واحدة أخرى موسى الزعفراني (من ضواحي بغداد) المسمى أيضاً (أبو عمران التفليسي)، وذلك نسبة لمدينة تفليس في جورجيا. ثم مجموعة مالك الرملي التي نشأت في مدينة الرملة الفلسطينية. أما أحد أهم المجموعات المنشقة فقد كان بنيامين بن موسى النهاوندي[٢]، وهو الذي أعطى الاسم القرآنيين للمجموعة التي عرفت في الكتابات العربية المعاصرة لهم باسم (أصحاب عنان وبنيامين).

أنتجوا أهم علماء اللغة التوراتية والفقه. ومنهم يوسف يعقوب الكركساني، داود بن بوعاز، يافث بن علي من البصرة. وقد أنجز الأخير ترجمة مجمل التوراة العربية مع تعليقاته عليها. ويضاف لذلك داود بن إبراهيم الفاسي من المغرب الأقصى، وأبو فرج هارون الذي عرف باسم (نحوي القدس).

وقد تم القضاء على قرآنيي فلسطين من قبل الصليبيين حوالي عام ١٠٩٩م، عندما جمعوا في الكنيس وأحرقوا أحياء. لكنهم إستمروا في الوجود في أقطار أخرى وخاصة في مصر. وقد انتقل مركز ثقلهم في القرن السابع عشر الثامن عشر إلى بلدان بحر البلطيق ولتوانيا تحديداً، ومنها انتشروا في روسيا القيصرية. وقد وجد جزء منهم في بعض الأقطار العربية حتى قيام الكيان الصهيوني حيث هاجروا إلى هناك. ويعترف حالياً بهم كطائفة مستقلة لها «بيت دين» خاص بها يدير أمور الزواج والطلاق والختان. ومن الجدير بالذكر أنهم لايتزوجون من خارج طائفتهم.

ويقوم مبدؤ هم الديني على النقاط التالية:

١) حرفية نصوص التوراة «كتب مشمع».

٢) الإجماع «عده».

٣) القياس «هكيش».

٤) المعرفة قائمة على الاستنتاج المنطقي «حكمت هدعت».

الفـريسيـون

يرى أهـل الاختصـاص أن أصـل الاسم مشتق من المفـردة الآرامية «فرش»، بمعنى «ورع»، «عـزل»، برأي أن هذا التفسيـر غيـر دقيق لأن المقصـود بلاشـك هو الانعـزال عن الشـرور والذنوب، أي المعتزلة. المعني الأقرب للمعقول هو الاشتقاق من كلمة «فرشء» الآرامية، بمعنى «واضح» «دقيق»[4]. كما أنه توجد أصول للكلمة في المفـردة الآراميـة «فتر» ـ بالأحرى «فثر»، و«فشره»، بمعنى «شرح»، والواردة في سفر يسوع سيرك ٣٨: ١٤، وكذلك في الترجوم. كما توجد أصول بهذا المعنى في المفردة الآشورية «فش ءرو ـ فث ءرو»[5]، أيضاً بمعنى «شرَح». أما الفريسيون فقد عرفوا أنفسهم بأسماء مختلفة منها «صديق»، «كاتب»، «حكماؤ نا».

ومن الجـديـر بالـذكـر أنـه لاتتـوفـر حاليـاً كتـابـات أصليـة تعود لهم، ومعظم المعلومات عنهم مستقاة من كتابات يوسفوس فلافيوس ومؤلفات الكهنة.

ومن الــواضـــح أن الفـريسيين الـذين تشكلوا من الطبقـات الـوسطى بشكـل أسـاسي، أثـروا على الكهنة وشكلوا الاتجاه الديني الوحيد بعد هدم هيكل حرد عام ٧٠م. أمـا نقطـة الارتكاز الرئيسية لمعتقد الفريسيين فهو الإيمان بالتوراة الشفهية التي يقـولـون بأنهـا أنزلت على موسى ونقلت من جبل لجبل شفهياً حتى لقيت موقعها في المشنا. كما أنهم، وعلى عكس الصدوقيين، يؤمنون بأن الإنسان وبشكل عام، مُسيَّر.

الصدوقيون

إحدى الطوائف الدينية / السياسية التي كانت في فلسطين إبان الحكم الروماني هناك، ولايعرف عنهم الكثير حيث لاتتوفر كتابات تعود لهم، وإن يعتقد أن سفري يسوع سيرك[6] والمكابيين الأول يعود لهم، لكن هذا غير مؤكد.

يبدو أنهم ادعوا أصولهم إلى الكاهن صدوق الذي يروي العهد القديم أنه نشط إبان حكم داود وسليمان؛ أنظر مثلاً سفر الملوك الأول ١ : ٨[7]. كما رُبط بينهم وبين البوتيسيين في الاسكندرية الذين كانوا من سلالة الكاهن الأعظم التي ظهرت بقوة إبان حكم حرد الأكبر، وقدمت الكاهن الأعظم في العهد الروماني. أي أنهم كانوا يمثلون الأرستقراطية الدينية ـ أنظر الأعمال ٤ : ١ و٥ : ١٧ . ومن الجدير بالذكر أن حاكم فلسطين الرومانية حرد الأكبر أحضرهم ككهنة من مصر لمواجهة نفوذ الحشمونيين.

ومن خلال مراجعة مانشر حتى الآن من «لفائف البحر الميت»، رأى بعض أهل الاختصاص أنه نشبت منافسة بينهم وبين «جماعة قمران» حول شرعية الأحقية بالاسم. كما أن العهد الجديد يسجل في إنجيل متي ٢٢ : ٢٣ محاورتهم السيد المسيح، ومسجلاً عدم إيمانهم بالبعث. كما أن تعاليمهم، وعلى عكس الفريسيين، قامت حول رفض التلمود (التوراة الشفهية) بما في ذلك يوم القيامة والملائكة والمصير المقرر للفرد، أي رفضهم لمقولة المسيح. هذا يعني أنهم تبنوا الرأي بأن الفرد مخير وليس مسيراً. يوجد تأكيد إضافي حول مذهبهم في الإصحاح ٢٣ : ٨ من سفر أعمال في العهد الجديد، والذي يسجل عدم إيمانهم بالقيامة والملائكة والروح ـ أنظر أيضاً أعمال ٥ : ١٧ و(يوميات يوسفوس ٢٠ : ١٩٩).

السنهدرين

الاسم مشتق من اليونانية syn (مع) و hedra ، أي (مكان الجلوس)، أي (مكان الذين يجلسون مع بعضهم البعض)، ويعتبر السنهدرين Senhedrion المحكمة اليهودية العليا بعد السبي، وتشكل من كهنة و«أعيان» المجتمع.

وقد ورد الاسم بعدة صيغ منها «المجلس»، «قدوشين»، «السنهدرين الأعلى»، وكذلك باسم «المجمع»[٨]. وقد سمى في المشنا «بيت دين هجدول» بمعنى (بيت الدين الأكبر).

رغم أن التقاليد الأحبارية تعيد تشكل هذا المجلس إلى عهد موسى التوراة ـ أنظر سفر العدد ١٢ : ١٦ حيث يرد (فقال يهوه لموسى اجمع إلى سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل . . إلخ)، إلا أن هذا غير مقبول من قبل أهل الاختصاص حيث أن أقدم إشارة له تحت إسم «gerousia» ، ترد في كتاب يوسفوس فلافيوس المسمى (يوميات اليهودية ـ Antiquitates Judaica) حيث يرجعه لفترة حكم الإنطاكي الأكبر ٢٢٣ ـ ١٧٨ ق.م. أما فترة تكونه الأكيدة فغير معروفة، ولكن البعض يرى أنها تعود لفترة الحكم الفارسي الذي أعطى السبي بعضاً من الإدارة الذاتية.

عدد أعضاء السنهدرين كان سبعين[٩]، ويضاف لهم الرئيس كي لا يحصل تعادل في الأصوات عند الاختلاف. وكان هناك «سنهدرين أصغر» مشكل من ٢٣ عضواً لكل مدينة بها أكثر من ١٢٠ يهودياً عاقلاً.

وتشترط المشنا أن يكون الشخص المرشح لعضويته مكتمل النمو، حسن المنظر، واع في التفكير، يفهم السحر واللغات العالمية، بالإضافة لمعرفة التوراة.

كان السنهـدرين خاضعاً لفترة طويلة للعائلات الكبيرة الأرستقراطية من الصدوقيين، لكن الفريسيين بدأوا يدخلونه إبان عهد حرد.

ولم تكن سلطـة السنهـدرين محصـورة في الأمـور الـلاهـوتية فحسب، حيث منحهم الـرومـان فرصة الحكم في القضايا الدنيوية أيضاً، ومنها مثلاً الحكم بصلب السيد المسيح. وقد كان له حق إصدار ـ وليس تنفيذ ـ الأحكام بالإعدام عبر الرجم[10]. الحرق، سلخ الجلد، الخنق وغيرها. وقد كان للسنهدرين شرطة خاصة بهم لها حق إعتقال اليسوعيين الأولين[11].

وقـد انتهت فتـرة حكم السنهدرين بعد القضاء على تمرد اليهود في بلاد الشام وتدمير هيكل حرد عام ٧٠م.

التــرجـــوم

المقصـود هنـا النسـخ الآراميـة من العهد القديم، ويبدو أن أصل الإسم يعود للمفـردة الأكـاديـة «رجمـانـو»، بمعنى «متـرجـم»، أوللأوغـاريتيـة «رجمو»، بمعنى (يقول، يتحدث).

المفردة نفسها لاتظهر في التوراة كإسم، وإن تظهر بصيغة الفعل في سفر عزرا ٤ : ٧ على النحــو التــالي «. . . وكتب هنستـون كتـوب ءرميت ومتـرجم ءرميت»، والمترجمة تقليدياً إلى «. . . . . وكتابة الرسالة مكتوبة بالآرامية ومترجمة بالآرامية».

أمـا النسخـة الأقـدم من العهـد القـديم المسجـل بالآرامية هي «لفائف البحر الميت». ومن الجـديـر بالإنتبـاه أن بعض نسـخ التـرجوم ليست ترجمة حرفية للنص الكنعاني، وإنما تحوي تفسيرات إضافية.

النسخ:

ترجوم أونكلوس Onkelos : يحـوي الخمـاسية فقط، أي أسفار التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية. ويعتقد بأن هذه النسخة نشأت في بابـل، لكن لايـوجـد إجماع لاحول أصول الاسم أو مكان نشوء النسخة.

الترجوم اليروشليمي (١)[١٢]: يبــدو أنـه خضـع لتحـريـرات مستمـرة لأنـه يطلق على زوجات إسماعيل بن إبراهيم التوراة أسماء خديجة وفاطمة.

الترجوم اليروشليمي (٢): ويسمى أيضاً (The fragments Targum)، أي «الترجوم المبعثر».

ترجوم جنيزه: وهي قطع عثر عليها في كنيس يهودي بالقاهرة قرب نهاية القرن الماضي.

ترجوم توسفتا: يحوي مواد تعتبر من مفاهيم الكهنة، أي الـ«هجدا».

ترجوم نيوفيتي: هي نسخة كاملة من الترجوم الفلسطيني عثر عليها عام ١٩٥٦، وتعود النسخة لسنة ١٥٠٤. الاسم يعود لشخص هدى نسخة من وثائق «عبرية» وآرامية للفاتيكان.

ترجوم يوناثان للأنبياء.

ترجوم للكتب[١٣].

ترجوم للـ«اللفائف»[١٤].

ترجوم لكتابي أخبار الأيام.

التلمود

يعود أصل الاسم للمفردة «لدم»، بمعنى «علَّم»، والواردة في سفر ميخا ٤ : ٣. وهناك من يرى أن أصل المفردة أشوري، أي «لمدو»، والعربية «لمد»، ومنها تلميذ.

التلمود هو قسم من أعمال الكهنة يحوي تعليقات على وتوسيع للـ«مشنا»[١٥].
ويسود الرأي أن اسم الأخيرة إشتقاق من كلمة «شني»، أي «ثاني»، بمعنى «التثنية»[١٦]، أما الجزء الثاني فيسمى «جمارا»، بمعنى «الإتمام» أو «الإكمال»، علماً بأنه يوجد نسختان من تعاليم الكهنة. وحيث أن الأولى نشأت في العراق بين يهوذيي السبي، فيطلق عليها اسم «التلمود البابلي» ـ «تلمود بابلي». أما النسخة الأخرى فقد كتبت في فلسطين، وتعرف بالإسم «التلمود الفلسطيني».

وقد نشأ التلمود الأول حوالي عام ٤٠٠م. في فلسطين، وهو المعروف بالاسم «التلمود الفلسطيني»، ويغطي ٣٩ من أصل ٦٣ مقالة[١٧] تحويها «المشنا». أما التلمود الثاني، أي البابلي، فقد نشأ قرب مدينة بغداد في العراق حوالي عام ٦٠٠م، ويتعامل مع ٣٧ مقالة. ويحوي كلا التلمودين قسمين أولهما يضم شروحات لمفردات وجمل واردة في المشنا. أما القسم الثاني الذي يعرف باسم «جمارا»، فيضم توسيع لشروحات المشنا. ومن الجدير بالذكر أن التلمود البابلي يحوي بالإضافة لما سبق، عرض لمباديء التوراة والمشنا.

قبل إستعراض مكونات التلمود، من المفيد التذكير بأن الرأي التقليدي يعيد أسباب نشوئه تعود لرغبة كهنة يهوذي السبي ـ نسبة ليهوذا ـ في تأسيس تعاليم هدفت إلى أقلمة، وبالتالي لتغيير تعاليم التوراة تتناسب مع محيطها الحضاري دائم التقدم

والتغير، لكني مقتنع بأن سبب نشوء التلمود هو تثبيت سلطة الكهنة على الأتباع ، وهو الأمر الذي لم يتسن لهم قبيل السبي . ومما يساعد في التثبيت من هذا الأمر استشارة العهد القديم وقصة الخلق تحديداً كما هي واردة في سفر التكوين. ودون التوغل في تفاصيل حول هذه المسألة ، أسمح لنفسي أن أرجع القاريء لكتاب الأستاذ كمال الصليبي «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» ص ٢٦ - ٣٣. ويتضح من القراءة الصحيحة للمقاطع ذات العلاقة ، أن مهمة الكهنة - في النص التوراتي «كروبيم»[١٨] كانت ، ومازال، الوقوف بين الإنسان والآلهة لمنع الأول من إقامة اتصال مباشر معها ، مما يجعل الكهنة عاطلين عن العمل وليس للناس بهم حاجة . بهذا، فإن هذه التعاليم الإضافية من إنتاج الكهنة أو الأحبار، والذين يعرفون حالياً باسم «الرابي» - («رءبي» ؛ من المفردة ربي)، بمعنى (سيدي)، قارن بالعربية التعبير (رب البيت)، (رب العائلة) .

وتظهر أهمية التلمود[١٩] بالنسبة للكهنة على لسان الحبر يوحنان الذي سجل أن («القدوس»، أي إله التوراة (ز.م)، عمل عهداً مع إسرائيل بسبب التعاليم الشفوية فقط) . وهناك محاولة من قبل الكهنة لإعطاء الانطباع بأن تعاليمهم مستوحاة من التوراة ذاتها ، إن لم تكن من إلههم يهوه . وتأتي محاولة الربط هذه من خلال الإشارة لسفر عزرا ٧ : ١٠ حيث يرد فيه «لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء» . ومن الجدير بالذكر أن المفردة الأصلية المترجمة للعربية (يُعلِّم)، هي «درش»، بمعنى «شرح». برأي أن الترجمة الدقيقة للمفردة الأصلية وجب أن يكون «الدرس»، أي (الطريق الخفي)، وذلك بما يظهر الدور الحقيقي للكهنة .

وتُرجع تعاليم الكهنة ضرورة نشوء التعاليم الشفوية إلى انتهاء النبوة في بني إسرائيل وانتهاء الروح القدس فيها ، هذا رغم بناء هيكل حرد في مدينة القدس . ووفق هذا الرأي ، ظهرت ضرورة لالتزام جديد من قبل إله التوراة بشعبه الذي إختاره من دون كل البشر للتعبد له ، عبر اتصالات جديدة معه من خلال مايسمى بـ«بت قول» ، أي «وحي» أو «صدى» - حرفياً «بث كلام» ، يتسلمه فقط مجموعة مختارة من الأحبار. وهنا يتم التمييز بين النبوة والوحي عبر التشديد على أن الأول لايظهر مثل

النبوة بشكل فوري، وإنما بعيد مجادلات جادة من مجموعة منتقاة من كبار الأحبار للوصول لحل معضلة ما. لكن تعدد الآراء والإجتهادات حول مسألة ما، استدعت استثناءاً لذلك حيث يقال بأن الوحي هذا لايظهر بشكل دائم مما يفسح المجال أمام اجتهادات متباينة في مواجهة مشكلة معينة.

وبالعودة إلى المشنا المكتوبة أصلاً بالآرامية، والتي يقال أنها تعود للمفردة التوراتية «شني»، والآرامية «تنى» - بالأحرى «ثني»، بمعنى «ثان»، أو «تثنوي»، أو كما أعتقد من المفردة العربية «سنّة»، فإنها تقسم إلى ستة أقسام.

ومع تصاعد التطور الحضاري للمجتمعات التي عاش فيها يهود، وُجدت ضرورة لتعديل تعاليم الأحبار من جديد، ووضع إضافات أخرى من قبل مجموعة من مجتهدي الأحبار أطلق عليهم بلغة التوراة الأسم «تنيين»، أي «تثنويين»، «أهل السنة»، والذين أنجزوا علمهم خلال القرنين الأول والثاني في كتب جديدة أطلق عليها اسم «توسفتء»، بمعنى «مضافة»، و«بريتء»، بمعنى «خارجية» أو «لارسمية»[20]، وفي القرن السادس، أضيف لكلا التملودين مجموعة أخرى من التعاليم أطلق عليها وكما ذكرنا آنفاً، الاسم «جمار».

وبالإضافة لكل ماسبق، هناك موارد أخرى يستقي الأحبار تعاليمهم منها، وهي «مدرشيم»[21]، و«ترجوميم»، أي النسخة المترجمة للآرامية من العهد القديم.

أخيراً، فمن الضروري ذكر أن التلمود يقسم إلى جزء قانوني يعرف بالاسم «هلكء»، وقسم روائي «هجدء»، علماً بأن الأخير يحوي أحاديث وتقاليد مسجلة في «الأبوكريفا» غير المعترف بها في التراث الديني اليهودي.

ترتيب التلمود(*)

أ) زرعيـم (مزروعـات)

١) بركوت ـ (بركات).

الموضوع : بركـات الكـاهن الثمـانية عشر؛ صلاة المائدة؛ صلوات اخرى. أنظر سفر التثنية ٦ : ٤.

٢) فـءه (زاوية).

الموضوع : التقـاط فضـلات الحصـاد. أنظـر سفر اللاويين ١٩ : ٩ ـ ١٠، ٢٣ : ٢٢؛ سفر تثنية ٢٤ : ١٩.

٣) دم ءي ـ (شكّ).

الموضوع : انتاج غير مؤكد خضوعه للضريبة العشرية... إلخ.

٤) كلء يـم ـ (صنفين).

الموضوع : الأصنـاف المحـرم خلطها. أنظر سفر اللاويين ١٩ : ١٩؛ سفر التثنية ٢٢ : ٩.

٥) شبيعيت ـ (سبعيَّة).

الموضوع : تحريم زرع الأرض في السنة السابعة. أنظر سفر لاويين ٢٥ : ١ ـ ٧؛ سفر التثنية ١٥ : ١ ـ ٣.

٦) تروموت ـ (نصيب الكهنة).

الموضوع : أنظر سفر العدد ١٨ : ٨؛ سفر التثنية ١٨ : ٤.

٧) معسروت ـ (عُشريَّة).

الموضوع : الضريبة العشرية الأولى. أنظر سفر العدد ١٨ : ٢١.

٨) معسر شني ـ (عشرية ثانية).

الموضوع : الضريبة العشرية الثانية، أنظر سفر التثنية ١٤ : ٢٢ ـ ٢٤.

٩) حله ـ (عجينة).

الموضوع : التقدمة لإله التوراة ليهوه. أنظر سفر العدد ١٥ : ١٨ ـ ٢٢.

١٠) عرله ـ (غرلة).

الموضوع : تحريم استهلاك ثمار الأشجار البكرة. أنظر سفر اللاويين ١٩ : ٢٣ ـ ٢٥.

١١) بكوريم ـ (بكريات).

الموضوع : الثمار الأولى. أنظر سفر الخروج ٢٣ : ١٩ ؛ سفر التثنية ٢٦ : ١ ـ ٣.

ب) موعد (عيد)

١) شبت ـ (سبْت).

الموضوع : مسألة يوم السبت. أنظر سفر الخروج ٢٠ : ١٠ ؛ سفر التثنية ٥ : ١٤ وغيرهما.

٢) عروبين ـ (خَلْط).

الموضوع : التنسيق الأمثل بين المحليات بهدف إحترام السبت.

٣) فصحيم ـ (فصح).

الموضوع : عيد الفصح. أنظر مثلاً سفر التثنية ١٦ : ١ وغيره.

٤) شقليم ـ (شقل).

الموضوع : المال الذي وجب منحه للهيكل. أنظر سفر الخروج ١٢ ـ ١٤ ؛ سفر نحميا ١٠ : ٣٢.

٥) يومه ـ (يوم).

الموضوع : يوم الكفارة. أنظر سفر اللويين ١٦.

٦) سوكه ـ (مَظال).

الموضوع : عيد المظال للسقيفة. أنظر سفر التثنية ١٦ : ١٣ ـ ٥١.

٧) يوم طوب ـ (يوم طَيِّب)، ويسمى أيضاً «بيصه» أي (بيضة).

الموضوع : تحديد أيام الأعياد ومنها مثلاً الفرق بين السبت والعيد. أنظر سفر الخروج ١٢ : ١٠.

٨) روش هشنه ـ (رأس السنة).

الموضوع : احتفال رأس السنة. أنظر مثلاً سفر العدد ٢٩ : ١ ـ ٣.

٩) تعنيت ـ (صيام).

الموضوع : أيام الصيام.

١٠) مجيله ـ (لفائف).

الموضوع : قراءة سفر أستير وغيره في عيد الفوريم. سفر أستير ٩ : ٢٨.

١١) موعد قطن ـ (عيد صغير).

الموضوع : الأيام الواقعة بين اليوم الأول والأخير من الفصح والمظال.

١٢) هجيجه ـ (عطايا العيد).

الموضوع : أعياد الحج الثلاثة، أي «الفصح»، «السبع» وأخيراً «المظال». أنظر سفر التثنية ١٦ : ١ ـ ١٧.

ج) نشيم ـ (نسوة)

١) يبموت ـ (زوجة الأخ).

الموضوع : تعليمات الكهنة التي تُجبر أخ المتوفي دون نسل على الزواج من أرملة الأخير. أنظر مثلاً سفر التثنية ٢٥ : ٥ ـ ٧ وسفر روث ٤ : ٥.

٢) كتوبوت ـ (وثيقة مكتوبة).

الموضوع : وثائق الزواج.

٣) ندريم ـ (النذور).

الموضوع : النذر وطريقة إبطاله. أنظر سفر العدد ٣٠.

٤؛ نزير ـ (النذر).

الموضوع : النذر. أنظر سفر العدد ٦.

٥) سوطه «بالسامك» ـ (زنًا).

الموضوع : التعامل مع المشتبه بالزاني والزانية. أنظر سفر العدد ٥ : ١١ ـ ٣١.

٦) جيطين ـ (وثيقة).

الموضوع : الطلاق. أنظر سفر التثنية ٢٤ : ١.

٧) قيدوشين ـ (رَسَامة).

الموضوع : الخطوبة.

د) نــزقــين (أذى، تعـويـض)

١) بـء ب قمء ـ (باب أول).

الموضوع : الضرر، التعويض والمسؤولية.

٢) بـء ب مصيع ء ـ (باب وسط).

الموضوع : الأملاك المفقودة، حراسة أملاك الغير، الربا، استخدام العمال.

٣) بـء ب بتره ـ (باب أخير).

الموضوع : الأملاك غير المنقولة.

٤) سنهدرين ـ (المجلس الحاخامي الأعلى).

الموضوع : تشكل المحاكم وإصدار الأحكام وعلى رأسها الإعدام.

٥) مكوت ـ (جَلْد).

الموضوع : عقـاب شهـادة الـزور، مدن اللجـوء، الجلد. أنظـر سفر التثنية ١٩ : ١٩، و٢٥ : ١ ـ ٣.

٦) شبو عوت ـ (قَسَم).

الموضوع : القَسَم. أنظر سفر اللاويين ٥ : ١ ـ ٣.

٧) ءديوت(*) ـ (شهادات، بَيِّنَات).

الموضوع : شهادات من التقاليد.

٨) عبوده زره ـ (وثنية).

الموضوع : الوثنية والتجارة مع الوثنيين.

٩) ءبوت(*) ـ (آباء).

الموضوع : مُثُل أو أحكام أخلاقية.

١٠) حرءيوت ـ (تَعليمات).

الموضوع : مخصص للقرارات الخاطئة والتكفير عنها. أنظر سفر اللاويين ٤ : ١ ـ ٢١.

هـ) قـدشـيم(*) (أقـداس)

١) زبحيم ـ (ذبائح).

الموضوع : التقدمة من الذبائح. أنظر سفر اللاويين ١ ـ ٣.

٢) منحوت ـ (مِنح، قرابين).

الموضوع : أصول العطايا أو التقـدمات من الأكل. أنظر سفر اللاويين ٢ : ٥ وغيره.

٣) حولين ـ (أشياء عادية).

الموضوع : أصول ذبح الحيوانات للإستهلاك العادي.

٤) بكروت ـ (بَكُورِيَّات).

الموضوع : مسألة البكر. أنظر مثلاً سفر الخروج ١٣ : ٢.

٥) عركين ـ (تقييم).

الموضوع : مسألة تثمين أو تخمين قيمة الأشياء. أنظر سفر اللاويين ٢٧.

٦) تموره ـ (إستبدال).

الموضوع : إستبدال العطايا العادية بأخرى مقدسة. أنظر سفر اللاويين ٢٧ : ١٠ مثلاً.

٧) قرتوت ـ (طَرْد).

الموضوع : الآثـام التي تؤدي لاستئصـال الفـرد من اليهـوديـة. أنظـر مثـلاً سفـر الخروج ١٢ : ٥، وسفر اللاويين ١٨.

٨) ميله ـ (إنتهاك).

الموضوع : تدنيس المقـدسـات وإنتهـاك حرمتهـا. أنظـر سفر اللاويين ٥ : ١٥ ـ ١٦، وغيره.

٩) تميد ـ (إستمرار).

الموضوع : مسألة القرابين اليومية. أنظر سفر الخروج ٢٩ : ٣٨ ـ ٤٢؛ سفر التثنية ٢٨ : ١ ـ ٨.

١٠) مدت - (قياسات).

الموضوع : هيكل حرد قبيل تدميره عام ٧٠م.

١) قتيم - (أعشاش).

الموضوع : تقديم اليمام كقربان. أنظر سفر اللاويين ١ : ١٤ - ١٧ وغيره.

و) طـهـروت (طـهـارة)

١) كليم(*) - (أوعية).

الموضوع : مسألة الأشياء المشكوك في طهارتها من ملابس وأدوات منزلية وغيرها.
أنظر سفر اللاويين ٦ : ٢٧ - ٢٨ ؛ سفر العدد ١٩ : ١٤ - ٢٢.

٢) ءهلت(*) - (خَيمة).

الموضوع : نجاسة الأشياء بسبب تعرضها لظِّل أشياء دنسة. أنظر سفر العدد ١٩ : ١٤.

٣) نجيم(*) - (أوبئة).

الموضوع : داء البرص. أنظر سفر اللاويين ١٣ - ١٤.

٤) فره(*) - (عِجْل).

الموضوع : إستخدام رماد العجلة الحمراء للتطهر. أنظر سفر العدد ١٩ : ١ - ٢٢.

٥) طهروت(*) - (طهارة).

الموضوع : طقس التعامل مع الطعام المشكوك في طهارته.

٦) مقبعوت(*) - (بِرْكَة).

الموضوع : طقس التطهر للأشخاص والأشياء. أنظر سفر اللاويين ١٥ : ٥ - ٧.

٧) نده(*) - (نجاسة).

الموضوع : الحائض. سفر اللاويين ١٥ : ١٩ - ٢٤.

٨) مكشرين - (مَيل، نزرع).

الموضوع : سبع سوائل تؤدي إلى تنجيس الطعام. أنظر سفر اللاويين ١١ : ٣٨.

٩) زبيم(*) - (جَريَان، تَدفُّق).

الموضوع : نجاسة الرجال والنساء. أنظر سفر اللاويين ١٥.

١٠) تبل يوم(*) - (غطس يوم).

الموضوع : مسألة الشخص الذي تنجس ورغم تطهره يبقى في نفس الحالة حتى غروب الشمس. أنظر سفر اللاويين ١٥: ٥.

١١) يديم(*) - (يَدين).

الموضوع : حول طقس تطهير الأيدي الدنسة.

١٢) ءكتزين(*) - (سيقان).

الموضوع : مسألة أجزاء من النباتات تعتبر نجسة.

جدول زمني بمحطات رئيسية في تاريخ المشرق

٢٢٥٠ ق.م	تدمير إيبلا .
١٨٠٠ ق.م	تدمير ماري .
١٤٠٠ ق.م	رسائل تل العمارنة .
١٣٦٥ ـ ١٣٤٧ ق.م	أخناتون في مصر.
١٣٠٠ ق.م	رمسيس الثاني في مصر.
	تدمير أوغاريت .
١٤٥٠ ـ ١١٩٠ ق.م	الدولة الحثية .
١٠٥٠ ق.م	ضعف الدولة المصرية .
١٢٠٠ ـ ١٠٥٠	شاول
١٠٠٠ ـ ٩٦١	داود
٦٠٩	ضعف آشور

شيشنق في مصر ٩٦١ ـ ٩٣١ سلبان بن داود

٩٣١	إنقسام الملكة إلى يهوذا وإسرائيل
يهوذا	إسرائيل

٩٣١ ـ ٩١٠ رحبعام بن سليمان ٩٣١ ـ ٩١٠١ يربعام الأول بن ناباط

شيشنق يغزو يهوذا

٩١٠ أبيام بن رحبعام

٧٢٨ ـ ٦٩٩	حزقيا بن آحاز ـ سرغون الثاني يهاجم يهوذا ويحاصر أورشليم .
٦٤١ ـ ٦٠٩	يوشيا بن أمون ـ يقتل في مجدوعلى يد نحو الثاني فرعون مصر.

٦٢٥ ـ ٥٣٨	الدولة البابلية الجديدة.
٦٢٥	السقوط الأول لنينوى عاصمة آشور.
٦١٢	السقوط الثاني لنينوى
٦٠٥	معركة كركميش بقيادة نبوخذنصر.
٥٩٨ ـ ٥٩٧	يهواكين بن يهواقين ـ السبي الأول ليهوذا.
٥٩٧ ـ ٥٨٦	صدقيا بن يوشيا ـ السبي النهائي وإحراق أورشليم.
٥٥٥ ـ ٥٣٩	نبونيد آخر حكام بابل.
٥٤٥	سقوط ساردس عاصمة ليكيا لإمبراطور فارس قورش الثاني.
٥٣٩	سقوط بابل للفرس.
٥٣٠	الفرس بقيادة الإمبراطور قميز الثاني يحتلون مصر.
٥٢٢ ـ ٤٨٦	داريوس الأول إمبراطور في فارس.
٤٩٠	الحرب الفارسية اليونانية الأولى في ماراثون قرب أثينا.
٤٨٦ ـ ٤٦٥	كسيركس الأول إمبراطور فارس.
٤٨٠	الحرب الفارسية اليونانية الثانية في سلاميس.
٤٧٩	إنتصار اليونان النهائي على الفرس في معركة بالاتيه.
٤٦٤ ـ ٤٢٣	أرتيكسركس الأول إمبراطور فارس.
٤٢٣ ـ ٤٠٤	داريوس الأول إمبراطور فارس.
٤٠٤	إستقلال مصر عن فارس.
٤٠٤ ـ ٣٥٩	أرتيكسركس الثاني إمبراطور فارس.
٣٤١	سقوط مصر الثاني لحكم فارس.
٣٣٢	إنتصار الاسكندر المقدوني على الفرس في معركة إسوس.
٣٣٢	سقوط بلاد الشام للاسكندر المقدوني.
٣٣٠	إحتلال الإسكندر المقدوني لعاصمة الفرس بيرزوبوليس.
٣٢٣	وفاة الإسكندر المقدوني.
	إنقسام إمبراطورية الاسكندر المقدوني بين البطالمة والسلوقيين.

البطالمة	السلوقيين
٣٣٢ ـ ٢٨٥ بطليموس الأول	٣١٢ ـ ٢٨٠ السلوقي الأول في مصر.
٢٨٥ ـ ٢٤٦ بطليموس الثاني	

٢٧٤ ـ ٢٧٢	حرب البطالمة والسلوقيين ـ الحرب السورية الأولى.
٢٦٠ ـ ٢٥٣	حرب البطالمة والسلوقيين ـ الحرب السورية الثانية.
٢٤٦ ـ ٢٤١	حرب البطالمة والسلوقيين ـ الحرب السورية الثالثة.
٢٢١ ـ ٢١٧	حرب البطالمة والسلوقيين ـ الحرب السورية الرابعة.
٢٠٢ ـ ١٩٨	حرب البطالمة والسلوقيين ـ الحرب السورية الخامسة في بانياس بسوريا وسقوط فلسطين للحكم السلوقي.
٢٠٢	انتصار روما على هنيبعل.
١٦٦ ـ ١٦١	تمرد يهوذا المكابي في أجزاء من فسطين.
١٤٢ ـ ٦٧	حكم الأسرة الحشمونية في بعض فلسطين.
٧٦ ـ ٦٧	سالومي ألكسندرا.
٦٤	سقوط سوريا للحكم الروماني.
٦٣	بومبيوس يحتل القدس.
٤٩ ـ ٤٥	الحرب الأهلية الأولى في الإمبراطورية الرومانية.
٤٤ ـ ٣٠	الحرب الأهلية الثانية في الإمبراطورية الرومانية.

حكام فلسطين الرومانية

٥٥ ـ ٤٣	أنتيباتر
٤٧ ـ ٤٠	هيراكونس
٤٦ ـ ٤٤	قيصر إمبراطور روما.
٤٣ ـ ٣٦	أنطونيوس، لبيدوس وأكتافيان حكام الإمبراطورية الرومانية. فصايل في إقليم اليهوذية.
٤٣ ـ ٤٠	حرد حاكم الجليل.
٤٠ ـ ٣٧	أنتيجونيس ملك وكاهن أعظم.
٣٧ ـ ٤	حرد حاكم فلسطين الرومانية.

يهوذا والسامرة	الجليل وبيريا	شرق الأردن
٤ ق.م - ٦م أركيلوس	٤ق.م - ٣٩م حرد أنتيباس	فيليبوس
٢٦ - ٣٦م بيلاتوس		٣٤ - ٣ م تحت سلطة حكام سوريا.

٢٧ - ٣٠ نشاط يسوع بن يوسف النجار.

٣٧ - ٤١ كاليغولا إمبراطور روما.

٤١ - ٤٤ م أجربيا الأول

فلسطين

٤١ - ٥٤ م كلاوديوس إمبراطور روما.

٤٤ - ٤٦م كاسبيوس فادوس.

٥٢م حرب الجليليين والسُمرَة.

٥٤ - ٦٨م نيرون إمبراطور روما.

٦٦ - ٧٤ م التمرد اليهوذي الأول ضد روما.

٧٠ م تدمير هيكل حرد.

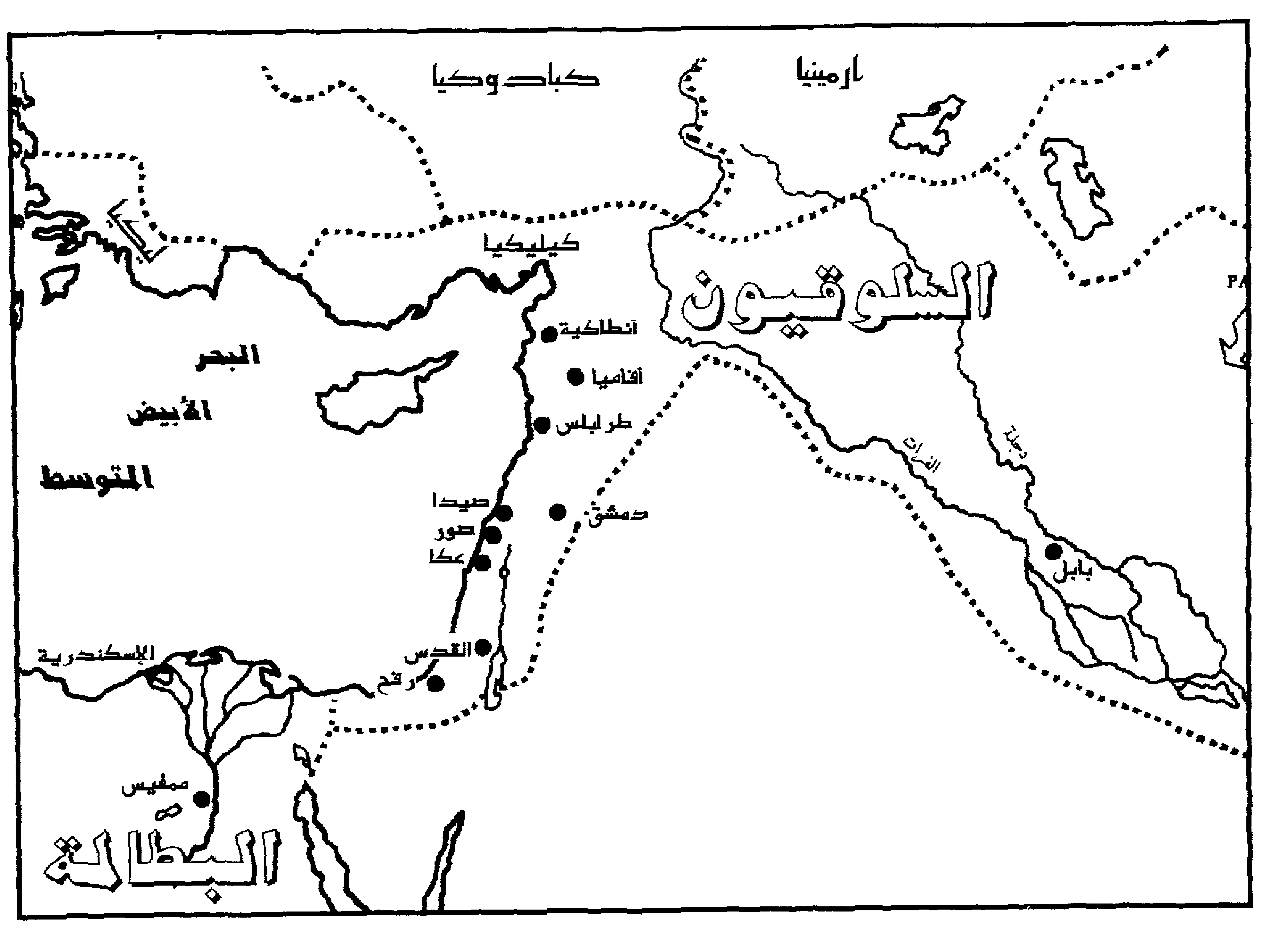
٦٩ - ٧٩ م فاسباسيان إمبراطور روما.

٧٤ م مسعدة.

١١٧ - ١٣٨ هادريان إمبراطور روما.

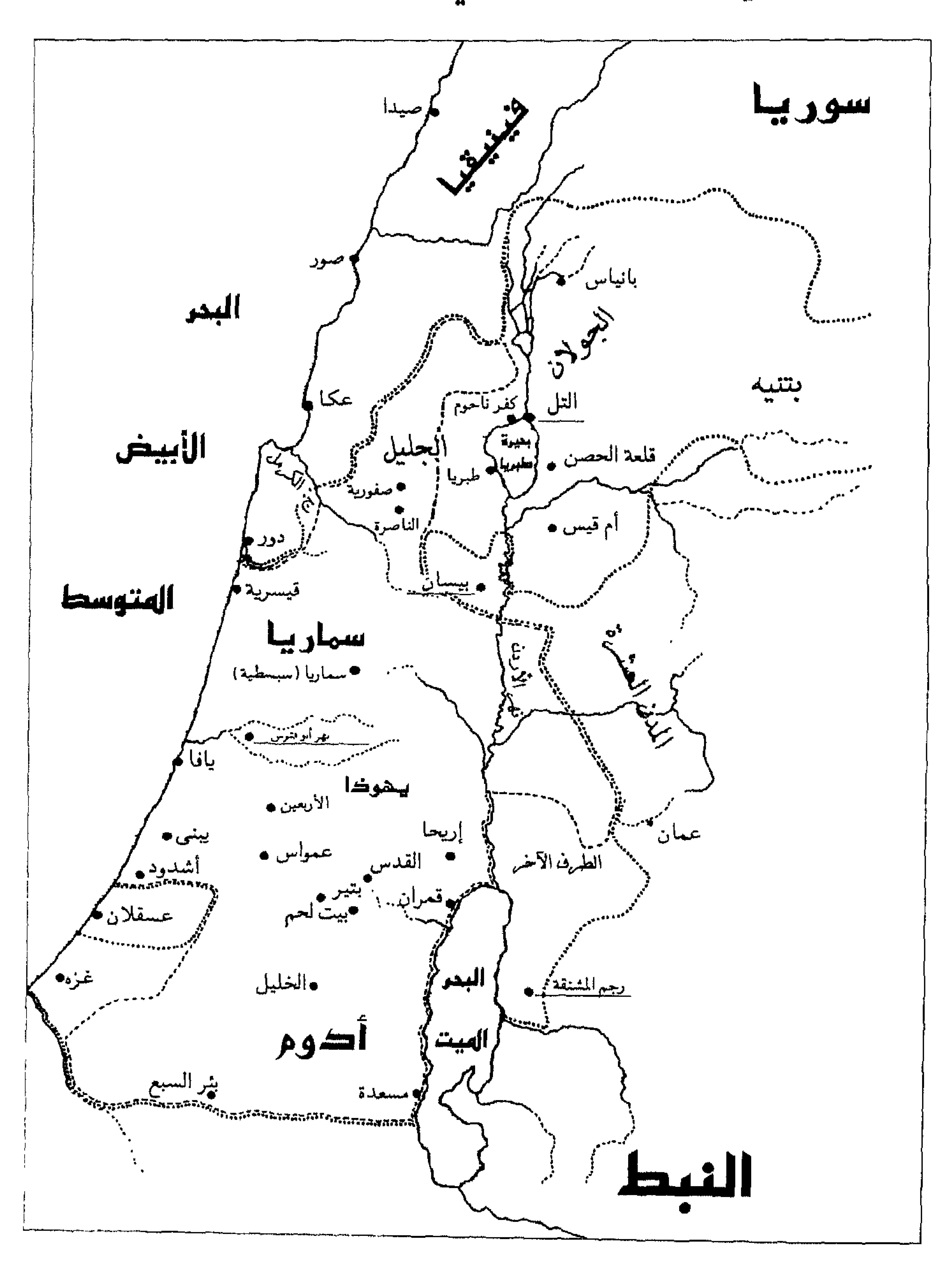
١٣٣ - ١٣٥ م تمرد بار كوكبا / التمرد اليهوذي الثاني ضد روما.

١٣٥ م القضاء على يهوذا وإستعادة الإقليم إسم «فلسطين».



المشرق العربي بين السلوقيين والبطالمة

فلسطين في العهد الروماني



منطقة الحكم الذاتي لحرد الأكبر (حتى عام ٤ م) . . . .

حكم روماني مباشر — — — — — —

هوامش الفصل السابع

١ ـ للمزيد من التفاصيل عن الموضوع، يمكن للقاريء المهتم إستشارة المؤلف الدكتور جواد علي «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، الطبعة الثانية، بيروت وبغداد، مارس / آذار ١٩٨٧ ـ المجلد الثامن ٤٨٨ ـ ٥٠٨.

٢ ـ نسبة لمدينة (عكبرة) قرب بغداد.

٣ ـ نسبة لمدينة نهاوند الفارسية.

٤ ـ لكن دون أن يعني ذلك استبعاد أنهم عُرفوا بالاسم الأول من قبل الغير، أي «المعتزلة».

٥ ـ أنظر المفردة العربية «فُسْرَ».

٦ ـ الإسم مسجل بصيغة «يشوع بن سيرخ» في النسخة العربية من (الكتاب المقدس) الصادر عام ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧ بإشراف إبراهيم اليازجي. المطبعة الكاثوليكية ـ عاريا، لبنان ١٩٨٥.

٧ ـ في النسخة آنفة الذكر، «سفر الملوك الثالث».

٨ ـ في النسخة اليونانية من العهد الجديد gerousia ؛ أنظر سفر أعمال ٥ : ٢١.

٩ ـ تذكر أن «السبعونية» كتبها سبعين شخص؛ السيد المسيح أرسل سبعين رسول ـ إنجيل لوقا ١٠ : ١ . . . . . إلخ.

١٠ ـ أنظر العهد الجديد ـ سفر أعمال ٧ : ٥٤ ـ ٥٨.

١١ ـ أنظر مثلاً العهد الجديد سفر أعمال ٢ : ٩، ٢٢ : ٥ وغيرهما.

١٢ ـ ويسمى أيضاً Pseudo- Jonathan to the Pentateuch .

١٣ ـ وبالانجليزية Targurns for the Hagiographa .

١٤ ـ أنظر ص ٤٩ .

١٥ ـ «المشنا» هي مبادىء وتشريعات فلسفية ذات صبغة قانونية ظهرت في فلسطين إبان الحكم الروماني والي عام ٢٠٠ م، أما بنيتها فهي عبارة عن سؤال لحكيم يعقبه جواب وتعليق، لكن نادراً ماكان يدعم بشهادة من التوراة.

١٦ ـ برأيي أن الرديف العربي هو «سنة».

١٧ ـ تعرف في هذا التهذيب العلمي باسم «tractate» المشتقة من المفردة اللاتينية tractatus بمعنى «كُتيِّب».

١٨ ـ قارن المصطلح «مكرب» في النصوص العربية الجنوبية، والذي يرد بمعنى «كاهن». أنظر إشارة القرآن الكريم لكون عيسى بن مريم من «المقربين» ـ سورة الأعراف ٤٥ .

١٩ ـ أي «التعاليم الشفوية» بلغة التوراة «توره شب عل فه» ـ حرفياً، «ترئية التي على الفاه»؛ وهي غير «التعاليم المكتوبة» ـ «توره شب كتب» أي «التوراة».

٢٠ ـ قارن «برًّة» باللهجة المحلة في المشرق العربي، بمعنى «خارج».

٢١ ـ من الفعل «درش» وتعرف بالعربية بالاسم (المدراس).

* ـ كافة الأقسام الملحقة بالعلامة (*)، غير واردة في التلمود الفلسطيني.

* The Israelites - Geography of the Roots
* Dr. Ziad Muna
* First print, January 1995.
* All rights reserved.
* Al-Ahaly Printing, Publishing and Distribution.
  PO Box 9503, Damascus, Syria
  Tel. 332 02 99
  Fax 333 54 27
  Telex. 412416
* Distributed by: Distribution Department, Al-Ahaly Publishing and Distribution
  PO Box 9223, Damascus
  Tel. 221 39 62.

Cover designed by: Zakariah Sharif.

to Gudrun

بنو اسرائيل : جغرافية الجذور/ زياد منى . ـ دمشق : الأهالي، ١٩٩٥ .
ـ ١٠٠، ٢٤٠ ص : مص؛ ٢٤ سم .
١ ـ ٢٢١,٦ م ن ى ب ٢ ـ العنوان ٣ ـ منى مكتبة الأسد
ع ـ ١٣٤٨/ ١٢/ ١٩٩٤

يعرض المؤلف أسفار العهد القديم، ويقدم قراءة نقدية للكتاب المقدس بلغته الأصلية، ويعتمد على الوثائق للتعرف على شعوب التوراة وجذورها وديانتها الأصلية، وعلى جذور التوحيد اليهوي، وانشقاق الديانة اليهوية، واندلاع الصراع بين أنبياء بني إسرائيل من جهة وبين الكهنة الذين نادوا بفكرة الصفاء العرقي من جهة أخرى، ويبرهن أن هؤلاء الكهنة هم الذين أقاموا مؤسسات دينية ـ اجتماعية لم تعرف من قبل ولم يناد بها الأنبياء، وأوّلوا تاريخ بني إسرائيل وتعاليم أنبيائهم، ووضعوا تعاليم جديدة أضعفت الكتاب المقدس، وحصروا الكهنوتية بعشيرة واحدة.

يشير المؤلف للتأويلات اليهوية التي وضعت في كتاب عرف باسم التلمود للتكيف مع المحيط الحضاري دائم التطور، ونشوء التلمودين: البابلي والفلسطيني إضافة لطائفة القرائين.

لعل هذا الكتاب مفيد لكل قاريء، وخاصة لأولئك المهتمين بتاريخ شعوب التوراة وديانتها الأصلية وتطور هذه الديانة وانشقاقاتها.

الناشر

السعر: ٢٢٥ ل.س